جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعضٍ

«دراسة نحويّة تحليليّة »

الدكتورة

أسماء حسين علي أبو يوسف

مدرس اللغويات

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

هذا البحث بعنوان : استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعضٍ " دراسة نحويّة تحليليّة " وهو يتناول قضية خروج حرف العطف عن معناه الأصلي الذي وُضِع له واستعماله بمعنى حرف عطف آخر ، وحروف العطف على قسمين: القسم الأول : ما يُشرك المعطوف مع المعطوف عليه في اللفظ والحكم وحروفه هي : الواو وأوْ والفاء وثُمَّ وحتى وأم المتصلة ، والقسم الثاني : ما يُشرك المعطوف مع المعطوف عليه في اللفظ فقط وحروفه هي : بلْ ولا ولكنْ ، ومع هذا المعنى العام الذي يجمعُ بين حروف كلِّ قسم إلا أنَّ كلَّ حرفٍ من حروف العطف اُختُص بالدلالة بطريق الأصالة على معنى وُضِع له ، ولكن مع اختصاص كلِّ حرفٍ بمعنى وجدنا بعضَ حروفِ العطف قد اُستُعملت بمعنى غيرها من حروف العطف الأخرى ، وقد ظهر هذا الاستعمال جليًا من المعنى ، ودل عليه السياق ، وسيناقش هذا البحث هذه القضية ؛ لبيان حروف العطف التي اُستُعملت بمعنى غيرها من حروف العطف الأُخرى ،والشواهد التي ورد فيها هذا الاستعمال، مع ذكرِ آراءِ النحاة في هذه القضية ، وأدلةِ كلٍّ على ما يراه ، مع التحقق والتوثق من صحة نسبة هذه الآراء لأصحابها ، ثُمَّ أعقبْتُ ذلك بذكر أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذا البحث .

الكلمات المفتاحية للبحث: استعمال ، حروف ، العطف ، بعضها بمعنى بعض ، دراسة نحويّة تحليليّة .

الدكتورة

أسماء حسين علي أبو يوسف

مدرس اللغويات

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

Email: Asmaa.Hussein20@azhar.edu.eg

Research Summary

This paper is entitled: The use of conjunctions in the sense of each other "analytical grammatical study" and deals with the issue of the departure of the conjunctive from the original meaning that was developed for him and the use of the meaning of another conjunctive, and the conjunctive characters in two parts: Section I: What engages the victim with the victim in the pronunciation And its characters are: Waw or O and loyalty and then and even mother related, and the second section: What engages the victim with the victim in the word only and his letters are: but no, but, and with this general meaning that combines the letters of each section, but each letter of sympathy is concerned with significance Authenticity has a meaning set for it, but with the competence of each free In the sense that we found some conjunctive has been used in the sense of other conjunctive other, this use has been evident from the meaning, and indicated by the context, and this research will discuss this issue; to indicate the conjunctive that was used in the sense of other other conjunctions, and the evidence in which this Use, with the views of grammarians in this case, and evidence of all what he sees, with verification and validation of the proportion of these views to their owners, and then followed by mentioning the most important findings I have reached through this research.

Research keywords: usage, letters, kindness, meaning, analytical grammatical study.

Researcher

Asma Hussein Ali Abu Yousef

Teacher of Linguistics Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria.

Email: Asmaa.Hussein20@azhar.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ،والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ،وعلى آلِه وصحابتِه أجمعينَ .

وبعدُ :

فهذا البحث بعنوان : استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعضٍ " دراسة نحويّة تحليليّة " وسبب اختياري لهذا الموضوع هو:أنِّي وجدتُ النحاةَ قد وضعوا لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنى يدل عليه بطريق الأصالة ، ومع ذلك جاء في كلام العرب بعضُ حروف العطف مستعملةً في غير المعاني التي وُضِعت لها في الأصل ، فأحببتُ أنْ أدرسَ قضيةَ استعمالِ حروف العطف بعضَها بمعنى بعضٍ ، وأتبيَّنَ موقف النحاة منها ؛ لذا قمتُ بدراسة هذا الموضوع دراسة وافية ، وسأقوم أثناء الدراسة بالتحقق فيما نُسِب للنحاة من مذاهب وأقوال فيما يتعلق بهذه القضية .

وكانت خطة البحث على النحو التالي :

- المقدمة .
- تمهيد .
- الدراسة وتشمل خمسة مباحث :
- المبحث الأول : استعمال" الواو " بمعنى غيرها من حروف العطف:
  - * استعمال " الواو " بمعنى" أوْ " .
  - * استعمال " الواو " بمعنى" ثُمَّ " .
  - * استعمال "الواو" بمعنى" الفاء " .
- المبحث الثاني : استعمال " أوْ" بمعنى غيرها من حروف العطف :
  - * استعمال " أوْ" بمعنى " الواو" .
  - * استعمال " أوْ " بمعنى" بلْ " .
- المبحث الثالث : استعمال " ثُمَّ " بمعنى غيرها من حروف العطف .

* استعمال "ثُمَّ " بمعنى " الواو" .
* استعمال " ثُمَّ " بمعنى " الفاء" .

ـ المبحث الرابع : استعمال " الفاء " بمعنى غيرها من حروف العطف .

* استعمال " الفاء " بمعنى " الواو " .
* استعمال "الفاء " بمعنى " ثُمَّ " .

ـ المبحث الخامس: استعمال " بلْ" بمعنى " لكِنْ " و " لكنْ " بمعنى " بلْ "

* استعمال " بلْ " بمعنى " لكنْ " .
* استعمال " لكنْ " بمعنى " بلْ " .

*الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج التي توصلتُ إليها .
* ثبت المصادر والمراجع .
* فهرس الموضوعات .

الدراسات التي سبقت هذه البحث :

سبق هذا البحث دراسة بعنوان : التناوب في المعنى بين حروف العطف " دراسة في القرآن الكريم " للدكتور / حجاج أنور عبد الكريم .

تمهيد :

حروفُ العطفِ المتفق عليها بين النحاة تسعةُ أحرفٍ هي : الواو ، أم المتصلة ، أوْ ، ثُمَّ ، حتى ، الفاء ، بلْ ، لا ، لكنْ وحروف العطف هذه على قسمين : القسم الأول : ما يُشرِك المعطوف مع المعطوف عليه في اللفظ والحكم ، وحروف هذا القسم هي : الواو ، أم المتصلة ، أوْ ، ثُمَّ ، ، حتى ، الفاء ، والقسم الثاني: ما يشرُك المعطوف مع المعطوف عليه في اللفظ فقط ، وحروف هذا القسم هي : بلْ ، لا ، لكنْ (١)، ثم بعد هذا الاشتراك بين حروفِ كلِّ قسمٍ في هذا المعنى العام الذي يجمع بينها ، انفرد كلُّ حرفٍ من حروفِ العطف بمعنى خاصٍ به يدلُ عليه بطريق الأصالة ، ويتميز به عن غيره ، ومع أنَّ كلَّ حرفٍ انفرد بمعنى إلا أنَّه قد جاء في كلام العرب العديدُ من الشواهد التي اُسْتُعملتْ فيها بعضُ حروف العطف في غير معناها الأصلي الذي وُضِعت له ، واُسْتُعملتْ بمعنى غيرها من حروف العطف ، وللنحاة في استعمالِ حروف العطف بعضَها بمعنى بعض مذهبان مشهوران في كتب النحو :

المذهب الأول : ما نُسِب لجمهور البصريين من أنَّهم منعوا استعمال حرف عطف بمعنى حرف عطف آخر ، وأنَّهم احتجوا لذلك بأنَّ الأصلَ استعمالُ كلِّ حرفِ عطفٍ فيما وُضِع له ؛ لئلا يُفضي إلى اللبس وإسقاط فائدة الوضع ، والأصل في كل حرف عطف ألّا يدلَ إلا على ما وُضِعَ له ، ولا يدلُ على معنى حرف عطف آخر [٢] .

المذهب الثاني : وهو للكوفيين وذهبوا إلى أنَّه يجوزُ استعمالُ بعض حروف العطف بمعنى بعضٍ ، واحتجوا لما ذهبوا إليه بورود العديد من الشواهد التي اُسْتُعملتْ فيها بعضُ حروفِ العطف بمعنى غيرها من حروف العطف الأُخرى، وهذا الأمر يدلُ عندهم على أنَّ استعمالَ بعض حروف العطف بمعنى بعضٍ جائزٌ [٣] .

---

١ ــ ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ــ القاهرة ، الطبعة : العشرون :١٤٠٠هـ ــ١٩٨٠م : ٣ / ٢٢٥.

٢ ــ ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات كمال الدين الأنباري ، المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٤ه ــ ٢٠٠٣م : ٢ / ٣٩٣ ، اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري بتحقيق د /عبد الإله النبهان ، دار الفكر ــ دمشق ، الطبعة: الأولى: ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م :١ / ٤٢٤ ، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبداللطيف بن أبي بكر الزبيدي بتحقيق د / طارق الجنابي ، عالم الكتب ــ مكتبة النهضة العربية ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م : ١٤٩.

٣ــ ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩١ ، اللباب : ١ / ٤٢٤ ، ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي بتحقيق د / رجب عثمان محمد ، ومراجعة د / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨ م : ٤ / ١٩٩١، ائتلاف النصرة : ١٤٨، ١٤٩.

استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعضٍ " دراسة نحويّة تحليليّة "

المبحث الأول : استعمال "الواو" بمعنى غيرها من حروف العطف :

من حروف العطف الواو ، وهي تُعد الأُمَّ لهذا الباب ، ومعناها عند البصريين مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه من غير ترتيب ، وليس فيها دليلٌ على أيُّهما كان أولًا فإذا قلت: "جاء زيدٌ وعمرٌو " دل ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء إليهما ، واحتمل كون عمرو جاء بعد زيد ، أو جاء قبله ، أو جاء مصاحبًا له ، وإنما يتبين ذلك بالقرينة نحو : " جاء زيدٌ وعمرٌو بعده "، و "جاء زيدٌ وعمرٌو قبله " ، " وجاء زيدٌ وعمرٌو معه " ، فيعطفُ بها اللاحقُ والسابقُ والمصاحبُ ، بينما ذهب بعضُ الكوفيين والبصريين إلى أن الواو تكون للجمع مع الترتيب ، والصحيح ما ذهب إليه البصريون ومن تبعهم من أن الواو لمطلق الجمع ولا تفيدُ الترتيب (١) .

وقد ورد في كلام العرب استعمال الواو لمعان أخرى غير كونها لمطلق الجمع :

أولًا : استعمال الواو بمعنى" أو " :

من حروفِ العطف" أوْ " وهي موضوعة في الأصلِ لأحد الشيئين أو الأشياء(٢)عند شك المتكلم أو قصده أحدَهما ، فالأول : وهو الشك نحو :

١ــ ينظر في هذه المسألة : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق د /عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، الطبعة : الأولى ١٤٢٨ هـ ــ ٢٠٠٨ م : ٢ / ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام بتحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة : الحادية عشرة : ١٣٨٣م : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م : ٢ / ١٥٦ ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي بتحقيق/ عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ــ مصر، بدون تاريخ : ٣ / ١٨٥ ، معجم قواعد اللغة العربية في النحو والتصريف لعبد الغني الدقر ، دار القلم ــ دمشق ، الطبعة : الأولى: ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م : ٥٤٢.

٢ــ ينظر : المقتضب لأبي العباس المبرد بتحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ــ بيروت ، بدون تاريخ : ٣ / ٣٠١ ، معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج بتحقيق / عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م : ٤ / ٣١٤ ، الإيضاح لأبي علي الفارسي بتحقيق د / كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ =

" جاءني زيدٌ أو عمرٌو ، والثاني : وهو قصد أحد الأمرين ويكون بعد الطلب إمَّا للتخيير نحو: " خذ من مالي درهمًا أو دينارًا " ، وإمَّا للإباحة نحو : " جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين " ، والفرق بين الإباحة والتخيير : أن الإباحة لا تمنع الجمع بين المعطوف عليه والمعطوف ، والتخيير يمنعه ، وتستعمل أيضًا للتقسيم نحو : " الكلمةُ اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ "، وتستعمل

للإبهام على السامع نحو : " جاء زيدٌ أو عمرٌو " إذا كنت عالمًا بأيُّهما جاء وقصدت الإبهامَ على السامع ، و تستعملُ أيضًا للشك نحو : " جاء زيد أو عمرو "إذا كنت شاكًا في أيُّهما جاء(١).

وقد اُستُعملت الواو لعدة معان من معاني" أو" ، ومنها : الإباحة والتقسيم والتخيير والتفصيل وكونها لأحد الشيئين أو الأشياء وفيما يلي الحديث عن هذه المعاني :

* استعمال " الواو" بمعنى" أو " للإباحة :

أجاز الزمخشري استعمال الواو للإباحة فقال في أثناء تفسيره لقوله تعالى (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)(٢): "فإن قلتَ فما فائدة الفذلكة ؟ قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك : "جالس

= ــ ١٩٩٦ م : ٢٢٣ ، علل النحو لابن الوراق بتحقيق / محمود جاسم الدرويش ، مكتبة الراشد ــ الرياض ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩م : ٤٥٣ ، الخصائص لأبي عثمان بن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : الرابعة ، بدون تاريخ : ٢ / ٤٦٢ ، نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٢ه ــ ١٩٩٢ م : ١٩٨ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام بتحقيق د / محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١م : ١ / ٨٠ ، التصريح بمضمون التوضيح : ٢ / ١٥٦.

١ ــ ينظر : الأصول في النحو لابن السراج بتحقيق / عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، بدون تاريخ : ٢ / ٥٥ ، ٥٦ ، حروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي بتحقيق / علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٩٨٤ : ٥٠ ، ٥١ ، توضيح المقاصد:٢ / ١٠٠٧ ــ ١٠٠٩ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٣٢.

٢ ــ سورة البقرة من الآية : ١٩٦.

الحسن وابن سيرين" ، ألا ترى أنَّه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا منهما كان ممتثلًا ففذلكت نفيًا لتوهم الإباحة "(١).

وقد فسَّر الدماميني ما ذكره الزمخشري في قوله السابق قائلًا : " أتى بالفذلكة يُعني : (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) دفعًا لأن يتوهم أنَّه لو صام الثلاثة فقط أو السبعة فقط أجزأه ، والفذلكة في الحساب أن تذكر تفاصيل ثم تُجمل فيُقال فذلك كذا وكذا "(٢) .

وقد علق ابن هشام على قول الزمخشري السابق قائلًا : " ولا تعرف هذه المقالة لنحويّ "(٣) .

ويقصد ابن هشام بقوله هذا إنَّه لا تُعرف مقالة كون الواو تأتي للإباحة لنحوي .

وقد ردَّ الدماميني ما قاله ابنُ هشام عن ما ذهب إليه الزمخشري قائلًا(٤): " بل هي معروفة لبعض النحاة فقد قال السيرافي في شرح الكتاب : " وممّا يقع فيه " أو " والواو بمعنى واحد : ما كان من التخيير بمعنى الإباحة كرجل أنكر على ولده مجالسة ذوي الزيغ والريب ، وأراد أن يعدل به إلى مجالسة غيرهم فقال له: " دعْ مجالسة أهل الريب وجالسْ الفقهاء والقُراء و أصحاب الحديث " ، أو قال له: "جالسْ الفقهاء والقراء أو أصحاب الحديث " ، فذلك كله بمعنى واحد "(٥) .

وهنا أودُّ القول إنَّ ما ذكره ابن هشام من أنَّ القول بجواز استعمال الواو بمعنى " أو " للإباحة لم تعرف من قبل من نحوي إلى حين قال بها الزمخشري ، وما ذكره الدماميني من أن السيرافي قد سبق إلى القول بهذا فيه نظرٌ ؛ لأن

١ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة : ١٤٠٧ هـ : ١ / ٢٤١.

٢ــ شرح الدماميني على المغني لمحمد بن أبي بكر الدماميني صححه وعلق عليه / أحمد عناية ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى: ١٤٢٨ هـ ــ ٢٠٠٧ م : ١/ ٢٥٣.

٣ ــ المغني : ١ / ٧٦.

٤ ــ ينظر : شرح الدماميني على المغني : ١ / ٢٥٣.

٥ــ شرح كتاب سيبويه للسيرافي بتحقيق / أحمد حسن مهدلي ، علي سيد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٩ هـ ــ ٢٠٠٨ م : ٣ / ٤٤٠.

سيبويه هو من سبق إلى القول بجواز استعمال الواو بمعنى" أو" للإباحة ، وليس الزمخشري كما قال ابن هشام ، ولا السيرافي كما قال الدماميني ، وما كان قول السيرافي الذي حكاه الدماميني إلا تفسيرًا منه لقولي سيبويه اللذين أجاز فيهما استعمال " أو " و الواو بمعنى واحد للإباحة(١) ، وسيتأكد لنا هذا أثناء الحديث عن مذهب سيبويه في استعمال " أو " بمعنى الواو(٢) .

* استعمال الواو بمعنى" أوْ" للتقسيم :

ذهب ابنُ مالك وجماعة إلى جواز استعمال الواو بمعنى" أو" للتقسيم وجعل من ذلك قولهم :" الكلمة اسمٌ و فعلٌ وحرفٌ " ؛ لأنَّه قد يُقال: " الكلمة اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ "(٣) ، وجعل ابن مالك من ذلك قول الشاعر(٤) :

---

١ ــ ينظر : الكتاب لسيبويه بتحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : : ٣ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦.

٢ ــ ينظر ص : ٦٣ ــ ٧٠ من هذا البحث.

٣ــ ينظر :شرح الكافية الشافية لابن مالك حققه وقدم له الدكتور / عبد المنعم هريدي ، جامعة أم القرى ــ مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ : ٣ / ١٢٢٥ ، الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق / د فخر الدين قباوة ، أ / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان : الطبعة: الأولى : ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢ م : ١ / ١٦٦ ، المغني : ٢ /٤١٢ ، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان الطبعة : الأولى : ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م : ٢ / ٣٨٢ ، الهمع : ٣ / ١٩٠.

٤ــ من الطويل لعمرو بن براقة في : الأمالي لأبي علي القالي ، عنى بترتيبها / محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، الطبعة : الثانية : ١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٦م : ٢ / ١٢٢، حماسة الخالديين لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي ، أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي بتحقيق / د محمد علي دقة ، وزارة الثقافة ــ الجمهورية العربية السورية ، طبعة سنة : ١٩٩٥ م : ١٧ ، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري بتحقيق/ عبد العزيز الميمني ، طبعة : دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، بدون تاريخ :١ / ٧٤٩ ، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى لبدر الدين محمود العيني بتحقيق أ د/ علي محمد فاخر ، أ. د / أحمد محمد توفيق ، أ. د / عبد العزيز محمد فاخر ، دار السلام ــ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ م : ٣ / ١٢٦٣، التصريح : ١ / ٦٦٦ ، شرح شواهد المغني للسيوطي ذُيل بتصحيح / محمد محمود الشنقيطي ، لجنة التراث العربي ، بدون تاريخ : ١٩٨ ، و بلا نسبة في : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٥ ، الجنى الداني : ١٦٦ ، المغني : ١ / ٧٧ ، ٢ / ٤١٢ ، شرح ابن عقيل :٣ / ٣٥ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٨٢ ، الهمع : ٢ / ٤٧٦.

ــ اللغة : المجروم: المعتدى عليه ، الجارم : المعتدي.

ــ المعنى: يقول : إننا نناصر من يوالينا ظالمًا كان أو مظلومًا.

ــ الشاهد : قوله " مجروم عليه وجارم " حيث استدل به ابن مالك وجماعة على استعمال الواو بمعنى " أو " للتقسيم.

وَنِنصرُ مَوْلَانَا ونَعْلَمُ أنّهُ كَمَا النَّاس مَجْرومٌ عَلَيْهِ وجَارِم

أيّ : بعضهم مجروم عليه ، وبعضهم جارم ، أو منهم مجـــروم عليـــه ، ومنهم جارم (١) .

وقد ردَّ ابن هشام القول بأنَّ الواو في البيت بمعنى" أو" للتقسيم قائلًـــا :" والصواب أنَّها في ذلك على معناها الأصلي ؛ إذ الأنواع مجتمعة في الدخول تحت الجنس ، ولو كانت" أو" هي الأصل في التقسيم ، لكان استعمالها فيه أكثر من استعمال الواو "(٢) .

وهنا أقول :حتى لو كانت الأنواعُ مجتمعةً في الدخول تحت الجـــنس كمـــا يقول ابن هشام إلا أنَّنا عندما نقول: " الناس مجروم وجارم " نجـــد الـــواو قـــد قسَّمت الناس قسمين ، وبذلك تكون قد أفادت التنويع أو التقسيم .

وأرى أنَّ" أو" هي الأصل في إفادة التقســـيم وليســـت الـــواو ؛ لأنَّ " أو " أوضح وأجلى في إفادة معنى التقسيم من الـــواو ، فـــإبراز الأقســـام والأنـــواع وتمييزها تفيده " أو " أكثر من الواو ، فإذا ما قلنا : " الكلمة اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ " بـــــــ" أو" ، وقلنا : الكلمة اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ " بالواو كانت " أو " قد ميزت لنا أنَّ هذه هي أقسام الكلمة بوضوحٍ ، بخلاف ما إذا استعملنا الواو .

وهنا أودُّ القول : ما المانع أن تكون " أو" هي الأصل في إفادة التقســـيم ، ويكثر استعمال الواو بمعناها ؟؟ فهذا لا يمنع أبدًا كونها الأصل في إفادة معنـــى التقسيم ، وبمعنى آخر عدم استعمال" أو" بكثرة في إفادة التقسيم لا ينكر كونهـــا الأصل في هذا المعنى .

١ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٥.
٢ ــ المغني : ٢ / ٤١٢.

* استعمال الواو بمعنى " أو " للتخيير :

ذكر ابن هشام أنَّ الواو قد استُعملت بمعنى" أو " التخيير ، وقال إنَّ البعض جعلوا من ذلك قول الشاعر(١):

وَقَالُوا نَأَتْ فاخترْ لَهَا الصَّبْرَ والبُكا فَقلتُ البُكَا أَشْفَى إِذَن لِغَلِيلِي

قالوا معناه : من الصبر أو البكا ؛ إذ لا يجتمع الصبر مع البكاء(٢) .

وقد ذكر ابن هشام(٣) أنَّه يحتمل أنَّ الأصل : فاخترْ من الصبر والبكاء أيّ : أحدهما ، ثم حذف " مِنْ " كما في قوله تعالى وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَه)[٤] ، ويؤيده أنَّ البعض رواه بـ " من " [٥] .

وهنا أودُّ القول إنَّ البيت بالرواية المذكورة بدون لفظ " مِنْ " ظاهر الدلالة على أنَّ المراد من الواو معنى التخيير،كما أنَّ لفظ " اختر" نفسه يدل على أنَّه يخيره بين أمرين ، وعليه أنْ يختار أحدهما ، وقد الجواب باختياره أحد الأمرين وهو" البكا " ، وبذلك تكون الواو قد اُستُعملت بمعنى" أو " للتخيير ؛ لأنَّ التخيير من معاني" أو " .

---

١ ــ من الطويل لكثير عزة في ديوانه بشرح د/ إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ــ لبنان ، طبعة سنة : ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م : ١١٤، ولكنه ورد بلفظ : " فاخترْ من الصبر والبكا " ، أمالي القالي : ٢ / ٦٤ ، التذكرة الحمدونية لأبي المعالي محمد بن الحسن بن حمدون بهاء الدين البغدادي ، دار صادر ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٧ هـ : ٦ / ٥٥ ، المقاصد النحوية :٣ / ١٣٢٤ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٥٨١ ، وبلا نسبة في : المغني : ٢ / ٤١٣ ، شرح شذور الذهب لابن هشام بتحقيق / عبد الغني الدقر ، طبعة : الشركة المتحدة للتوزيع ــ سوريا ، بدون تاريخ : ٤٨٠.

ــ اللغة نأت: ارتحلت وبعدت ، الغليل: شدة العطش ، والمراد منهن هنا:حرقة الفؤاد.

ــ المعنى : يقول الشاعر : قالوا لي إنَّها ارتحلت وبعدت عنك ، فاختر ما بين الصبر على الفراق والبكاء، فقلت لهم : إنَّ البكاء أجدى لحرقة الفؤاد.

ــ الشاهد : قوله: "الصبر والبكا " حيث استدل به بعض النحاة على استعمال الواو للتخيير بمعنى " أو ".

٢ ــ ينظر : المغني : ٢ / ٤١٣ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٨٣.

٣ ــ ينظر : المغني : ٢ / ٤١٣.

٤ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٥٥.

٥ ــ ممَّن روى البيت بـ " من " أبو علي القالي في الأمالي وأبو المعالي محمد بن الحسن بن حمدون. ينظر : أمالي القالي : ٢ / ٦٤ ، التذكرة الحمدونية : ٦ / ٥٥.

وإنْ سلمنا أنَّ البيت في الأصل بلفظ :" من الصبر والبكا " وأنَّ " الواو جاءت على أصل وضعها للجمع ، و ليست في البيت للتخيير وأنَّ المعنى : اختر من مجموع الصبر والبكا ، فهذا لا يعني أنَّ الواو لا تستعمل بمعنى " أو " للتخيير ؛ فقد اُسْتُعملت الواو بمعنى " أو " للتخيير في البيت الذي ذكره ابن خروف وهو قول الشاعر[١] :

وِلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وأَخْلَقَا

والمعنى : البس ثياب الدهر لبسته مجدًّا أو مُخْلقًا .

وقد ذكر ابن خروف أنَّ الواو في البيت السابق اُسْتُعملت بمعنى " أو " ، ولكنه لم يذكر المعنى الذي اُسْتُعملت له الواو ، وأرى أنَّ الواو هنا اُسْتُعْملت بمعنى" أو " للتخيير .

---

١ ــ من الطويل لعقيل بن علّفة المريّ في ديوانه الذي جمعه د / شريف راغب علاونه ، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان ــ الإردن ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤ م : ٨٤ والبيت في : تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لأبي الحسن علي بن محمد النعروف بابن خروف بتحقيق د/خليفة محمد ، كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي الجماهيرية الليبية ــ طرابلس ، الطبعة : الأولى :١٤٢٥ هـ ــ ١٩٩٥ م : ٢٧٧ ، شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني بتحقيق / غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م : ٨٠٤ ، شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ،كتب حواشيه / غريد الشيخ ، وضع فهارسه / أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى: ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م : ٧٠٦ ، التذكرة الحمدونية : ٢٦٨ ، الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج بن الحسن أبو الحسن البصري بتحقيق / مختار الدين أحمد ، عالم الكتب – بيروت ، بدون تاريخ : ٢ / ٥٢ ، التذكرة السعدية في الأشعار العربية لمحمد بن عبدالرحمن العبيدي بتحقيق / عبدالله الجبوري ، المكتبة الأهلية بغداد ، طبعة سنة : ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢م : ٢٧٣ ، ونسب لماجد الأسدي في مجالس ثعلب بتحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ــ مصر ، بدون تاريخ :١٠ / ٤٣٤ ، وبلا نسبة في : البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ ، دار الهلال ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٤٢٣ هـ : ١ / ٢٠٦ ، ٣ / ٢٥٧

ــ اللغة : أثواب : يراد بها تلون الدهر بأهله وتصرفه بأحداثه وتاراته ، أجدّ : جعل ثوبه جديدًا ، أخلق : بالي وممزق.

ــ والمعنى : البس ثياب الدهر جديدة كانت أو بالية ، والقصد أن يوافق المخاطب الناس في دهرهم ويتوافق معهم ويتخلق بأخلاقهم ، ويدل على هذا ما ذكره الشاعر في البيت التالي لهذا البيت حيث قال :

وكنْ أكيسَ الكيسي إذا كنتَ فيهُم وإنْ كنتَ في الحمقى فكنْ أنتَ أحْمقَا

ــ الشاهد قوله : " أجدّ وأخلقا " حيث اسْتُعملتَ الواو بمعنى " أو " للتخيير.

استعمال الواو بمعنى " أو " لأحد الشيئين أو الأشياء :

ذكر بعض المفسرين وهم الثعلبي والواحدي وبرهان الدين الكرماني المعروف بـ" تاج القراء" والبغوي والنيسابوري أنَّ الواو في قوله تعالى(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ)(١) قد جاءت بمعنى" أو " ، وذكروا أنَّ معنى الآية : "مَنْ كان عدوًّا لأحد هؤلاء فإن الله عدوٌّ له ، لأنَّ عدوَّ الواحد عدوٌّ الجميع "(٢) .

وأرى أنَّ المعنى الذي اُسْتُعْمِلت له الواو في الآية السابقة هو كونها لأحد الشيئين أو الأشياء .

كما ذكر الثعلبي والواحدي والفيروزآبادي أنَّ الواو في قوله تعالى (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)(٣) قد اُسْتُعملت بمعنى " أو " ، والمعنى عندهم : ومَنْ يكفر باللَّه أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا ؛ لأنَّ الكافرَ بالواحد كافرٌ بالكلِّ(٤) .

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٩٨.

٢ــ ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي حققه/ أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م : ١ / ٢٤١ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، بتحقيق/ صفوان عدنان ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٥ هـ : ١٢٠ ، غرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج الوقار برهان الدين الكرماني ويعرف بتاج القراء ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، بدون تاريخ : ١ : ٢٨٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي بتحقيق/ عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، الطبعة : الأولى :١٤٢٠هـ : ١ / ١٤٦ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، تحقيق / الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة : الأولى :١٤١٦ هـ : ١ / ٣٤٣.

٣ ــ سورة النساء من الآية : ١٣٦.

٤ــ ينظر : : الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي : ١ / ٢٤١ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي : ١٢٠ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، بتحقيق / محمد علي النجار ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة، طبعة سنة : ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م : ٥ / ١٤٧.

وقد جعل ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ وأبو منصور الماتريدي أيضًا الواو بمعنى " أو" في الآية الكريمة السابقة إلا أنَّهما لم ينصا على ذلك صراحةً ، ولكن التفسير الذي ذكراه لمعنى الآية دل على جعلهما الواو بمعنى " أو " ، فقد فسَّر ابن عباس الآية الكريمة بقوله : " ومَنْ يكفر بالله أو بملائكته أو بكتبه أو برسله أو بالبعث بعد الموت فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا " (١) .

وذكر أبو منصور الماتريدي عند حديثه عن معنى الآية أنَّه يحتمل أنْ يكونَ المعنى : " من يكفر باللَّه أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر؛ فقد كان ما ذكر ؛ لأنَّ الكفر بواحد من ذلك كفْرٌ بالكل "(٢).

وأرى أنَّ " الواو" في الآية السابقة قد جاءت بمعنى " أو " والمعنى الذي دلت عليه الواو ههنا هو كونها لأحد الشيئين أو الأشياء .

وهناك أمرٌ أودُّ الإشارة إليه وهو : أنَّ هناك شواهدَ ذكرها مَنْ أجاز استعمال الواو بمعنى" أو " من النحاة إلا أنَّهم لم يذكروا معنى " أو " الذي اُسْتُعملت له الواو ، ومن هؤلاء النحاة ابن خروف فقد ذكر حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، حَتَى يَكُوْنَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانُ يُهَوِّدَانِهِ و يُنَصِّرَانِهِ و يُمَجِّسَانِهِ)(٣) كشاهد على استعمال الواو بمعنى " أو " ، إلا أنَّه لم يذكر معنى" أو " الذي اُسْتُعملت له الواو .

١ــ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس جمعه : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، طبعة : دار الكتب العلمية ــ لبنان ، (د. ت) : ٨٢.

٢ــ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي بتحقيق د/ مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة :الأولى: ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م : ٣ / ٣٨٧.

٣ ــ أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بتحقيق د/ محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر ، الطبعة : الأولى: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م حديث رقم "٢٥٥٥ " : ٤ / ١٧٩ ، ولكنه أخرجه بلفظ " يُشَرِّكَانِهِ " بدلًا من " يُمَجِّسَانِهِ " ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم " ٧٧١٢ " : ١٣ / ١٣٨ ، ١٥ / ٥٠ ، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه المسمى بـ(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) بتحقيق/ محمد زهير ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢هـ ،كتاب " الجنائز " باب " إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، وهل يُعرض على الصبي الإسلام " ، حديث رقم " ١٣٥٩ " : ٢ / ٩٥ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه المسمى بـ(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بتحقيق / محمد فؤاد ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، بدون تاريخ ، كتاب " القدر " ، باب " معنى كل مولد يولد على الفطرة " حديث رقم " ٢٦٥٨ " : ٤ / ٢٠٤٧، وأخرجه أبو داود في سننه بتحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا=

وأرى أنَّ الواو في الحديث الشريف يحتمل فيها معنى التخيير أو التفصيل ، فإن جُعلت للتخيير كان المعنى : فأهل كلِّ ديانة يختارون لابنهم نفس ديانتهم : فإن كانا من اليهود اختارا له اليهودية ، و وإن كانا من النصارى اختارا له النصرانية ، وإنْ كانا من المجوس اختارا له المجوسية .

وإنْ جُعِلت الواو بمعنى" أو" للتفصيل كان المعنى : فمنهم من ينصِّرانه إنَّ كانوا نصارى ، ومنهم من يهودانه إن كانوا يهودًا ، ومنهم من يمجسانه إن كانوا مجوسًا ، فالواو بذلك قد فصَّلت عقيدة الأبوين لكل من يُولد ، فهناك اليهود، وهناك النصارى ، وهناك المجوس .

ومن الشواهد التي ذكرها ابن خروف أيضًا لاستعمال الواو بمعنى " أو" قول الشاعر :

وِلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

ولم يذكر ابن خروف ــ كما أشرتُ من قبل ــ معنى " أو " الذي اُسْتُعملت له الواو ، وقد ذكرتُ أنَّني أرى أنَّ الواو قد اُسْتُعملت للتخيير بمعنى " أو " .

ومن هؤلاء النحاة أيضًا ابن مالك الذي أجاز استعمال الواو بمعنى " أو " وقد جعل من ذلك قوله تعالى(مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) دون أنْ يُبين المعنى الذي اُسْتُعِملت فيه الواو نيابة عن " أو " .

وسأتحدث أولًا عن قوله تعالى (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)(١) التي في سورة النساء :

= – بيروت ، كتاب" السُنة " ، باب " في ذراري المشركين " حديث رقم "٤٧١٤" : ٤ / ٢٢٩ ، ولكنه لم يذكر لفظ " يُمَجِّسَانِهِ".

ــ وقد ورد هذا الحديث في بعض الروايات بـ " أو " بدلا من الواو. ينظر : مسند الحميدي للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي المكي بتحقيق / حسن سليم أسد الدَّارَانيّ ، دار السقا دمشق – سوريا ، الطبعة : الأولى: ١٩٩٦ م : ٢ / ٢٦٧ ، مسند الإمام أحمد : ١٢ / ١٠٤ ، ٤١٣ ، ١٤ / ٢٣٣ ، وأخرجه الترمذي في الجامع الكبير تحقيق /بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، طبعة سنة : ١٩٩٨ م ، باب في ما جاء في كل مولد يولد على الفطرة ، حديث " ٢١٣٨ " : ٤ / ١٥.

ــ وورود هذا الحديث الشريف في بعض الروايات بـ " أو " وفي بعضها بالواو يؤيد القول بأنَّ الواو في الحديث الشريف بمعنى " أوْ ".

١ ــ سورة النساء من الآية : ٣.

وأقول : من المفسرين من جعل الواو بمعنى" أو" للتخيير كالباقلاني والبغوي(١) ، ومنهم من جعلها بمعنى" أو " دون أن يحدد المعنى الذي اُستُعِملت له كأبي القاسم برهان الدين الكرماني المعروف بتاج الوقار والسمين الحلبي(٢).

وأميل إلى جعل الواو في الآية الكريمة بمعنى" أو " للإباحة أيّ : لإباحة أيِّ الأعداد شاء ، وأرى أنَّ المراد بقوله تعالى (فَانْكِحوا) الإباحة ، ولا أميل إلى جعلها للتخيير كما قال البعض ؛ والعلة في ذلك هي نفس العلة التي ذكرها الزمخشري حين علل للعطف في الآية الكريمة بالواو وعدم العطف بـ " أو " ، يقول الزمخشري : " فإن قلت : فلم جاء العطف بالواو دون أو ؟ قلت : كما جاء بالواو حين تقول للجماعة : اقتسموا هذا المال- وهو ألف درهم- درهمين درهمين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين ، أو ثلاثة ثلاثة ، أو أربعة أربعة : أعلمتَ أنَّه لا يسوغ لهم أنْ يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة ، وليس لهم أنْ يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية ، وبعضه على تثليث ، وبعضه على تربيع ، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو ، وتحريره : أنّ الواو دلت على إطلاق أنْ يأخذَ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ، إنْ شاءوا مختلفين في تلك الأعداد ، وإنْ شاءوا متفقين فيها ، محظوراً عليهم ما وراء ذلك "(٣) .

فالزمخشري في قوله السابق يرى أنَّ الواو في الآية على أصل معناها وليست بمعنى " أو " ، و يعلل للعطف في الآية الكريمة بالواو وعدم العطف بـ " أو " ، و يرى الزمخشري أنَّه إذا كان العطف في الآية بـ" أو " لما ساغ

---

١ ــ ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : ١ / ٥٦٤ ، الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب بتحقيق د / محمد عصام القضاة ، دار الفتح ــ عَمَّان ، دار ابن حزم ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م : ٢ / ٥٩١ ، ٧٩٠.

٢ ــ ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم برهان الدين الكرماني : ١ / ٢٨٢ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي بتحقيق د / أحمد محمد الخراط ، دار القلم ــ دمشق ، بدون تاريخ : ٢ / ٣٢١.

٣ ــ الكشاف للزمخشري : ١ / ٤٦٨.

لمن أراد النكاح من الرجال إلا أحد أنواع العدد التي ذكرها في الآيــة الكريمــة ، ولما ساغ لهم الجمع بين أنواع القسمة ، وعلى هذا لا يجوز لمن تزوج اثنتين أنْ يتزوجَ الثالثةَ ، ولا يجوز أيضًا لمن تزوج ثلاثًا أنْ يتزوجَ الرابعةَ ، وأمَّا الــواو فهي تُبيح لهم نكاح من أرادوا من النساء بشرط عدم الزيادة على أربعِ نساءٍ .

وبإمعان النظر فيما قاله الزمخشري عن معنى " أو " نجد أنَّه قــد حصــر إفادة " أو " في كونها لأحد الشيئين أو الأشياء ؛ ولذا لم يجز العطف بهــا فــي الآية ، ومن المعلوم أنَّ " أو" لها في واقع الأمر عدة معانٍ غيــر كونهــا لأحــد الشيئين أو الأشياء ، ومنها الإباحة ؛ لذا أقول : إنَّنِي أميل و بشدة إلى أنَّ الــواو قد اُستُعْمِلت في الآية بمعنى" أو" للإباحة ؛ إذ قد ورد استعمال الواو

بمعنى" أو" للإباحة في عدة شواهد أشار إليها سيبويه ــ كما ذكرتُ مــن قبل ــ وتبعه السيرافي وابن خروف في بعضها ، بل أنَّ الزمخشري نفسَه قد جعل الواو تستعمل بمعنى " أو " للإباحة كما في قوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام وسبعة إذا رجعتم)(١)، وهذا يدل على أنَّ الواو قد اُستُعملت بمعنى " أو " للإباحــة فــي غير هذا الموضع، فما المانع من جعلها في الآية الكريمة بمعنى " أو" للإباحة؟؟!! خاصة وأن المعنى في الآية : أنَّه يُباح للرجل أنْ ينكح اثنتين وثلاثة وأربعــة، و الإباحة في الأصل من معاني " أو " وليست من معاني الواو ، ولو جُعِلــت الــواو على أصل معناها وهو مطلق الجمع كما قال الزمخشري لكان في هذا فتحٌ للمجال لإقوال الرافضة وغيرهم الذين ذهبوا إلى أنَّ المراد بالآية نكاحُ تسعٍ، بــل ذهــب البعضُ إلى أنَّ هذه الأعداد تدل على جواز نكاح ثمانِ عشرةَ امرأةً ؛ لكون العطف بينها قد وقع بالواو التي تدل على مطلق الجمع ؛ لأنَّ كلَّ عدد منها معدولٌ عــن مُكررٍ مرتين، وإذا جُمعت تلك المُكررات كانت ثمانيَ عشرة امرأةً(٢) .

---

١ ــ ينظر : الكشاف : ١ / ٢٤١.

٢ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢ / ١٠ ، تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بــن محمــد السمعاني بتحقيق/ ياسر بن إبراهيم ،/ غنيم بن عباس ، دار الوطن الرياض – السعودية ، الطبعــة : الأولى: ١٤١٨هـــ- ١٩٩٧م : ١ / ٣٩٦ ، تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني بتحقيق د/ محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر : كلية الآداب ــ جامعــة طنطا ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م: ١٠٨٨/٣ ، مفاتيح الغيب لأبي عبدالله محمد بن عمــر فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٠ هـ: ٩ / ٤٨٨.

لذا أميل إلى جعل الواو بمعنى" أو" للإباحة ؛ لأنَّه ــ عزَّ وجلَّ ــ أباح للرجل نكاح أيّ الأعداد شاء : المثنى أو الثُلاث أو الرُباع ، ويجوز له أيضًا الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه مع العلم بأنَّ كلَّ عدد داخلٌ فيما بعده المثنى داخل في الثُلاث والثلاث داخل في الرُباع ، وعلى هذا فمن تزوج أربعًا فقد جمع بين المثنى والثُلاث والرُباع .

وأمَّا عن قوله تعالى (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)[1] فقد جعل ابن مالك الواو بمعنى" أو" ، ولكنه لم يذكر المعنى الذي دلت عليه .

و أميلُ إلى جعل الواو هذه الآية الكريمة بمعنى" أو" للتفصيل والمعنى ــ والله أعلم ــ : أولي أجنحة مثنى أو ثُلاث أو رُباع ، أي أنَّ الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم مَنْ له ثلاثة أجنحة ، ومنهم مَنْ له أربعة أجنحة .

ويدل على ذلك ما ذكره المفسرون في تفسير الآية الكريمة من أنَّ المرادَ بها : من الملائكة من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربع(٢)

فالمفسرون في تفسيرهم للآية قد بينوا أنَّ المراد تفصيل وبيان عدد أجنحة الملائكة ، وهذا يتماشى مع جعل الواو بمعنى " أو " .

ولستُ مع جعل الواو على أصل معناها للجمع المطلق ؛ لأنَّ هذا يجعل المقصود بها الجمع بين مثنى وثلاث ورباع فيكون المجموع تسعًا ، وهذا ليس

---

١ ــ سورة فاطر من الآية : ١.

٢ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي بتحقيق / عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٣هـ : ٣ / ٥٥١ ، تفسير يحيي بن سلام : ٢ / ٧٧٤ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري بتحقيق= =أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م : ٢٠ / ٤٣٤ ، بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي بدون طبعة ، بدون تاريخ : ٣ / ٩٨ ، المحرر الوجيز في تفسيرالكتاب العزيز لابن عطية أبو محمد عبدالحق بن غالب بتحقيق / عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢ : ٤ / ٤٢٩ ، زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرح عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي بتحقيق/ عبد الرازق المهدي ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢هـ : ٣ / ٥٠٥.

مقصودًا بحال من الأحوال ؛ لأنَّ الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات ، وليس من شأن البليغ أنْ يعبر في العدد عن التسعة باثنين وثلاثة وأربعة فمن قال: أعط زيدًا اثنين وثلاثة وأربعة وهو يريد تسعة كان ذلك أعيا كلام(١).

لذا فأنا أؤيد ابن مالك في جعل الواو بمعنى " أو" ، وأميل إلى جعلها للتفصيل .

تعقيب :

وممَّن سبق يتضح لنا أنَّ الواو قد اُستُعمِلت بمعنى " أو " لعدة معانٍ منها: الإباحة والتخيير والتقسيم والتفصيل ، ومنها أيضًا كونها لأحد الشيئين أو الأشياء (وهو أصل المعاني التي وُضِعت لها أو) ، وقد ورد هذا الاستعمال العديد الشواهد نثرًا ونظمًا .

ثانيًا : **استعمال الواو بمعنى" ثُمَّ "** :

من حروف العطف " ثُمَّ " وهي تفيد التشريك والترتيب والتراخي ، فهي تدل على مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في اللفظ والحكم ، كما تدل على أن المعطوف عليه هو المتقدم والمعطوف هو المتأخر ، وتدل أيضًا على أنَّ الثاني ليس متصلًا بالأول اتصالًا مباشرًا بل بينهما مهلة زمانية ، وقد قيل إنَّ "ثُمَّ" إنَّما اختصت بالتراخي لأنّها أكثر من حرفٍ فتراخى معناها كتراخي لفظها[٢] ، قال تعالى(وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ)(٣) فخلق آدم ــ عليه السلام ــ من

---

١ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢ /١٠ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي بتحقيق وتعليق/ عادل أحمد عبد الموجود / علي محمد معوض ،د/ أحمد محمد صيرة ، د / أحمد عبد الغني الجمل، د / عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م : ٢ / ٨ ، تفسير القرآن لأبي مظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني بتحقيق / ياسر بن إبراهيم ، غنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن الرياض ــ السعودية ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ م : ١ / ٣٩٦.

٢ ــ ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ : ٨ / ٩٦ ، اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن الحسن المعروف بابن الصائغ بتحقيق / إبراهيم الصاعدي ، الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٤ : ٢ / ٦٩٣.

٣ ــ سورة فاطر من الآية : ١١.

تراب متقدمٌ وسابق على خلق أول مولود له من نطفة ، وبين المعطوف عليه والمعطوف مهلة زمانية (١) .

وقد تستعمل الواو بمعنى" ثُمَّ " للترتيب والتراخي ومن الشواهد التي قيل فيها إنَّ الواو قد اُسْتُعملت بمعنى" ثُمَّ " قوله تعالى (فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ)(٢) ، وقوله تعالى(لأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)(٣) فقد ذهب أبوحيان وتاج الوقار والفيروزآبادي إلى أنَّ الواو في الآيتين السابقتين قد اُستُعملت بمعنى " ثُمَّ " ، وقالوا إنَّ الذي يدل على كون الواو فيهما بمعنى ثُمَّ " هو قوله تعالى(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)(٤) الذي ورد فيه العطف بين القطع والتصليب بـ " ثُمَّ " ، فدل على كون القطع وقع أولًا ووقع بعده بمهلة التصليب ، ولما وردت الآيتان المتقدمتان بالواو دلَّ هذا على أنَّ الواو فيهما بمعنى " ثُم " ، وعلى هذا فقد اتضح أنَّ المراد من معنى الآية بالرغم من العطف بالواو ــ التي لا تفيد الترتيب عند جمهور النحاة ــ أنَّ التصليب قد وقع بعد القطع وكان بينهما مهلة(٥) ، وورود القصة في قوله تعالى(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ

١ــ ينظر : الأصول : ٢ / ٥٥ ، معاني الحروف لعلي بن عيسي الرماني بتحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق للطباعة والنشر ، الطبعة : الثانية : ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م : ١٠٥، رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي بتحقيق / أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، بدون تاريخ : ١٧٣ ، الجنى الداني : ٤٢٦ ، المغني : ١ / ١٣٥، شرح ابن عقيل : ٣ / ٢٢٧ ، مصابيح المغاني في حروف المعاني لمحمد بن على بن عبد الله الخطيب الموزعي المعروف بابن نور الدين ضبطه د / يحيي مراد ، (د. ط) ، (د. ت) : ٩٠.

٢ ــ سورة طه من الآية : ٧١ .

٣ ــ سورة الشعراء من الآية : ٤٩.

٤ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٢٤.

٥ــ أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لأبي القاسم برهان الدين الكرماني المعروف بتاج القراء بتحقيق/ عبد القادر أحمد عطا ، طبعة : دار الفضيلة، بدون تاريخ : ١٢٩ ، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي بتحقيق /: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٤٢٠ هـ : ٥ / ١٤١ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١ / ٢١٩ ، دراسات لأسلوب القرآن للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة دار الحديث ــ القاهرة ، بدون تاريخ ، القسم الثالث من الجزء الأول : ١ / ٥٠٥.

لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) هو الذي بيَّن لنا أنَّ المعنى المراد في الآيتين اللتين وردتا بالواو هو أنَّ القطع وقع أولًا وأنَّ التصليب جاء بعده بمهلة .

وهنا أودَّ القول إنَّنِي أرى أنَّ الغرض من وجود مهلة بين القطع والتصليب هو : أنَّ التَرْك مدة بعد القطع فيه مزيدٌ من التعذيب لهم ؛ بسبب شعورهم في هذه المدة بالألم الناجم عن القطع ، ثُم بعد ذلك يقع الصلب .

ومن الآيات التي يحتمل فيها كون الواو بمعنى" ثُمَّ " قوله تعالى (إنَّا رادُّوهُ إلَيْكِ ، وجاعِلُوه من المُرْسَلين)(١)فقد ذكر أبو العباس أحمد بن محمد البسيلي التونسي في كتابه(التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد)وابن هشام والفيروزآبادي أنَّ الواو يجوز أن يكون بين معطوفيها تراخٍ واستشهدوا على وقوع التراخي بين معطوفيها بهذه الآية الكريمة ؛ لأنَّ الردَ بُعَيْد الإلقاء في اليم ، وأمَّا الإرسال فكان لموسى ــ عليه السلام ــ على رأس أربعين سنة (٢) .

وهنا أقول : إذا كانت الواو قد وقع بين معطوفيها تراخٍ فالواو على هذا قد اُسْتُعملت بمعنى" ثُمَّ " ؛ لأنَّ " ثُمَّ " هي الموضوعة في الأصل لمعنى التراخي مع الترتيب ، وكون الواو قد دلت على التراخي والترتيب فهذا يعني أنَّها قد اُسْتُعملت بمعنى" ثُمَّ " ؛ لأنَّ التراخي قد اختصت به " ثُمَّ " كما اختص كلُّ حرفٍ من حروف العطف بمعنى كان هو الأصل في الدلالة عليه .

تعقيب :

وبعد عرض الشواهد التي قيل إنَّ الواو قد اُسْتُعملت فيها بمعنى" ثُمَّ "، أودُّ القول إنَّنِي أميل إلى أنَّ استعمال الواو بمعنى" ثُمَّ " جائز ؛ وذلك لوروده في بعض الشواهد ، ولكنَّ قلة الشواهد التي ورد فيها استعمال الواو بمعنى " ثُمَّ " تجعلنا نقول إنَّ استعمال الواو بمعنى " ثُمَّ " قليلٌ .

---

١ ــ سورة القصص من الآية : ٧.

٢ ــ ينظر : التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد البسيلي ، طبعة : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ــ المملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ : ١ / ٣٠١ ، المغني : ٢ / ٤٠٩ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٥ / ١٤٨.

ثالثاً : استعمال الواو بمعنى الفاء :

من حروف العطف الفاء وهي من حروف العطف التي تُشرك المعطوف مع المعطوف عليه في الإعراب والحكم وهي تفيد ثلاثة أمور أولها : الترتيب ، والترتيب منه ما هو معنوي وهو أنْ يكونَ زمان وقوع المعطوف بعد زمان وقوع المعطوف عليه حقيقة نحو: قوله تعالى(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)(١)، ومنه ما هو ذكري وهو أنْ يكونَ المعطوف قد وقع بعد المعطوف عليه بحسب الذكر لفظًا، لا أنَّ الثاني وقع بعد زمان وقوع الأول ، وأكثر ما يقع الترتيب الذكري في عطف مفصل على مجمل نحو قوله تعالى(فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)(٢) ، وثانيها : التعقيب وهو تقدم الأول واتصال الثاني به بلا مهلة نحو قوله تعالى (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)(٣) والتعقيب في كلِّ شيءٍ بحسبه ، ألا ترى أنَّه يقال: " دخل البصرةَ فبغدادَ "، إذا لم يقم في البصرة ولا بين البلدين ، وثالثها : السببية وهي كون المعطوف بها متسببًا عن المعطوف عليه إنْ كان المعطوف بها جملة أو صفة ، فالأول نحو قوله تعالى فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)(٤)، والثاني نحو قوله تعالى (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ)(٥) ، فهذه هي الأمور الثلاثة التي تفيدها الفاء(٦) .

---

١ ــ سورة الأعلى آية : ٢.

٢ ــ سورة النساء من الآية : ١٥٣.

٣ ــ سورة عبس آية : ٢١.

٤ ــ سورة القصص من الآية : ١٥.

٥ ــ سورة الواقعة آية : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤.

٦ ــ ينظر : الأصول : ٢ / ٥٥ ، حروف المعاني والصفات للزجاجي : ٣٩ ، الجنى الداني : ٦١ ، ٦٢ ، مغني اللبيب : ١ / ١٨٣ ــ ١٨٥ ، شرح ابن عقيل : ٣ / ٢٢٧ ، مصابيح المغاني : ١٣١ ، ١٣٢ ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لشمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري القاهري الشافعي بتحقيق / نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٤م : ٢ / ٨٠٢ ، التصريح / ٢ / ١٦٠، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان، الطبعة : الأولى : ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧م : ٣ / ١٣٧.

وقد أرجع السهيلي معنى الترتيب والسببية إلى معنى التعقيب فقال : " أما " الفاء " فهي موضوعة للتعقيب ، وقد تكون للتسبيب والترتيب ، وهما راجعان إلى معنى التعقيب ؛ لأنَّ الثاني بعدهما أبدًا إنَّما يجيء في عقب الأول "[١] .

وقد تستعمل الواو العاطفة بمعنى الفاء العاطفة للترتيب والتعقيب وذلك في الخبر نحو : " أنت تأتيني وتكرمُني " ، " أنا أزورُكَ وأعطِيك " ، "لم آتِكَ وأكرمْكَ"، وتأتي الواو بمعنى الفاء أيضًا في الاستفهام وذلك إذا استفهمت عن أمرين جميعًا نحو: "هل يأتي خالدٌ ويخبرُنِي خبرَه ؟" ، "أين يذهبُ خالدٌ وينطلقُ عبدُالله ؟ "[٢] .

فالواو في الأمثلة السابقة قد اُستُعملت بمعنى الفاء وأفادت الترتيب ؛ لأنَّ ما بعد الواو (المعطوف) قد جاء في الترتيب بعد ما قبلها(المعطوف عليه) ،كما أنها أفادت التعقيب ؛ لأنَّ ما بعد الواو قد وقع مباشرة بعد ما قبلها بلا مهلة .

ومن الشواهد التي قيل فيها إنَّ الواو بمعنى الفاء قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّـجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)(٣) ، وقد اختلف المفسرون في معنى الواو في هذه الآية أهي بمعنى الفاء بدليل أنَّها قد وردت في قوله تعالى (ويَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا)(٤) بالفاء ، أم أنَّها لها معنى يغاير معنى الفاء ؟؟

ــ فذهب أبوحيان إلى أنَّ ورودَ قوله تعالى(فَكُلا) بالفاء دليلٌ على أنَّ الواو في قوله تعالى(وَكُلا) قد اُستُعملت بمعنى الفاء ؛ إذ القصة والقضية فيهما واحدة (٥) .

ــ بينما ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ كلًّا من الواو والفاء قد أفادت معنى مغايرًا لما أفادته الأُخرى ، وقد ناسب معنى كلٍّ منهما معنى الآية التي وردت فيها، ومن هؤلاء :

---

١ ــ نتائج الفكر في النحو : ١٩٦.
٢ ــ ينظر : معجم قواعد اللغة العربية لعبد الغني الدقر : ٥٤٢.
٣ ــ سورة البقرة آية : ٣٥.
٤ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٩.
٥ ــ ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٥٧.

ــ تاج الوقار الذي قال : " ذَكَر في سورة البقرة بالواو وذَكَر في الأعراف بالفاء ؛ لأنَّ الفاء للتعقيب ، ومعنى التعقيب أنْ يقع الثاني بعد الأول متصلًا بــه ، ولقوله : (اسْكُنْ) معنيان :

أحدهما : اتخذاها مسكنًا من قولهم: هذه الدار لك سكنى .

والثاني: لازمها ، والأول يحتمل لفظ الفاء ، لأنَّ له نهاية وتعقيبًا ، فكان ما في الأعراف أليق به ، لأنَّ ما قبله قوله تعالى لإبليس:

(اخرجْ منها)[١] فليست الجنة لك سكنى ، واتخذاها سكنى فــ " كُلا " عقيب اتخاذكماها سكنى من حيث شئتما[٢]، ولم يحتمل المعنى الآخر الفاء ، لأنَّه لا غاية له ، فعطف بــ " الواو " على معنى الجمع ، أي : اجمعا بين لزومكماها والأكــل من حيث شئتما ، وقيل: ما في البقرة خطاب قبل الدخول ، وما في الأعراف بعــد الدخول "[٣] .

فنجد الإمام تاج الوقار يقول إنَّ الفاء قد جاءت في سورة الأعراف لأنَّهــا المناسبة لمعنى الآية ؛ لأنَّ المراد هو اتخاذ الجنة سُكنى من قِبــل آدم ــ عليــه السلام ــ وزوجته ، لكن ليس على سبيل الدوام بل إلى غاية ونهاية ؛ لأنَّ مَــنْ يتخذ دارًا ليست ملكًا له في الأصل يكون إلى غاية ونهاية وليس مطلقًــا ؛ ولــذا جعل الأكل تعقيبًا لذلك ، وأمَّا قوله تعالى " اسكن " في آية البقرة فالمراد منه لا إلى غاية بل على سبيل الدوام واللزوم ، ولذا جاء بعده بالواو الدالة على معنــى الجمع بين لزوم السُكنى والأكل ، ولذا قال تعالى بعده " رَغدًا من حَيْثُ شِــئْتُمَا "، والمناسب لذلك المعنى هو الواو .

ــ وذهب أبو عبدالله محمد الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي إلــى أنَّ العلة في استعمال الواو في آية البقرة والفاء في آية الأعراف هي : أنَّ كــلَّ فعلٍ عُطِف عليه شيءٌ وكان الفعل بمنزلة الشرط ، وذلك الشيء بمنزلة الجــزاء فعطف الثاني على الأول يكون بالفاء دون الواو كما هو الحال في قوله تعالى(وَإِذْ

---

١ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٨.

٢ ــ أي : آدم وحواء.

٣ ــ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١ / ١٣٤ ، ١٣٥.

قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)(١) فقد عُطِف قوله تعالى (كُلُوا) على قوله تعالى (ادْخُلُوا) بالفاء ؛ لأنَّ وجود الأكل متعلقًا بدخول الجنة ؛ إذ الدخول مُوَصِّل إلى الأكل ، والأكل متعلق بوجود الدخول فكأنه قال : إنْ دخلتم أكلتم منها ، ويبين ذلك قوله تعالى عن هذه القصة أيضًا في آية أُخرى (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُم)(٢) فقد عُطِف قوله تعالى (كُلُوا) على قوله تعالى(اسْكُنُوا) بالواو دون الفاء ؛ لأن (اسكنوا) من السُّكنى وهي المُقام مع طول اللبث ، والأكل لا يختص وجودِه بوجود السُكنى ؛ لأنَّ مَنْ دخل بُستانًا قد يأكل منه وإنْ كان مجتازًا غيرَ مقيمٍ فيه ، فلمالم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء ، وإذا ثبت هذا فقوله (اسْكن) في آية البقرة قد يُقال لمن دخل مكانًا فيرادُ منه : " الزمْ المكان الذي دخلته ولا تنتقل عنه " ، ويُقال أيضًا لمن لم يدخل : " اسكن هذا المكان " أي : ادخله واسكن فيه ، وعلى هذا ففي سورة البقرة إنَّما ورد الأمر بالسُكنى بعد أنْ كان آدم ــ عليه السلام ــ في الجنة فكان المراد منه اللبث والاستقرار ، والأكل لا يتعلق به ، ولهذا ورد قوله تعالى(وكُلا) معطوفًا على قوله تعالى (اسكنْ) بالواو ،

وأمَّا قوله تعالى في سورة الأعراف(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) فالأمر بالسُكنى إنَّما ورد في حال إنْ دخل الجنة فكان المراد منه دخول الجنة ، والأكل يتعلق به ولذا ورد معطوفًا على(اسكنْ) بالفاء(٣) .

وكان الألوسي قد نسب هذا القول الذي ذكره الخطيب الأسكافي لفخر الدين الرازي ثم قام بالرد عليه قائلًا : " ويرد بمنع عدم تعلق الأكل بالسكنى ؛ لأنَّهم إذا سكنوا القرية تتسبب سكناهم للأكل منها ، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها ، فحينئذ لا فرق بين " وكُلُوا " و "فَكُلُوا " فلا يتم الجواب[٤]" .

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٥٨.

٢ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٦١.

٣ ــ ينظر : ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي بتحقيق د/ محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى ــ معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م : ١ / ٢٢٢ ــ ٢٢٤.

١ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي بتحقيق/علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة:الأولى:١٤١٥هـ : ٢٦٨/١، ٢٦٩.

وبذلك يكون الألوسي موافقًا لأبي حيان في جعل الواو والفاء بمعنى واحد في الآيتين ؛ لأنَّ الأكل في الحالتين متعلقٌ بالسُكنى .

والواقع أنَّ هذا القول الذي نسبه الألوسي للرازي إنَّما سبق إلى القول به الخطيب الأسكافي كما ذكرتُ ، والرازي قد نقل عنه هذا القول ؛ لأنَّ الخطيب الأسكافي متقدم في الزمان على الرازي .

وقد تبع الخطيب الأسكافي فيما ذكره لبيان علة استعمال الواو في آية البقرة ، واستعمال الفاء في آية الأعراف فخر الدين الرازي وأبو حفص سراج الدين عمر الحنبلي صاحب كتاب (اللباب في علوم الكتاب) والحسن بن محمد النيسابوري صاحب كتاب (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) و محمد جمال الدين القاسمي في كتابه(محاسن التأويل) (١) .

ــ ويرى فخر الدين الرازي أنَّ هناك وجهًا آخر بالإضافة إلى الوجه الذي تبع فيه الخطيب الأسكافي وهو : أنَّ علة استعمال الواو في آية البقرة و الفاء في آية الأعراف هو : أنَّ الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب ، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو أي : فكُلا من أيّ نوع من أنواع الجنة شئتما ، ولا منافاة بينهما ففي سورة البقرة ذكر الجنس و في سورة الأعراف ذكر النوع(٢).

ــ وذهب الإمام أبو السعود العمادي إلى الواو في قوله تعالى(وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) قد جمعت بين معناها ومعنى الفاء ، ويرى أن الفاء في آية الأعراف في قوله تعالى (فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) قد جاءت لبيان المرادِ ممَّا في

١ــ ينظر : مفاتيح الغيب للرازي : ٣ / ٤٥٣ ، اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي بتحقيق / عادل أحمد عبد الموجود ، / علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة: الأولى : ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م : ١ /٥٥١ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ١ / ٢٥٥ ، محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي بتحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٨ هـ : ١ / ٢٩٣.

٢ ــ مفاتيح الغيب للرازي : ١٤ / ٢١٧.

سورةِ البقرةِ في قوله تعالى (وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) من أن ذلك كان جمعًا مع الترتيب .

وما ذهب إليه الإمام أبو السعود العمادي يدل على أنَّ الواو بالإضافة لإفادتها لمعنى الجمع قد أخذت من الفاء جزءًا من معناها ، ولم تأخذْ معناها كاملًا؛ لأنَّ الواو قد دلت على معنى الجمع والترتيب دون التعقيب ، والواو بذلك قد جمعت بين معناها وجزء من معنى الفاء ، لا أنَّها اُستُعملت بمعنى الفاء كاملًا وتركت معناها وهو مطلق الجمع (١) .

ــ وذكر السيوطي أنَّه قيل إنَّ السبب في الإتيان بالواو في آية البقرة والفاء في آية الأعراف هو : أنَّ السكنى في البقرة المراد منها الإقامة ، وفي الأعراف المراد منها اتخاذ المسكن ، فلما نُسِب القول إليه تعالى في قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ) ناسب الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السُّكنى والأكل ؛ ولذا قال تعالى (رَغَدا) وقال تعالى (حَيْثُ شِئْتُمَا) لأنَّه أعم ، وفي سورة الأعراف قال تعالى (وَيَا آدَمُ) فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السُّكنى المأمور باتخاذها ؛ لأنَّ الأكل بعد الاتخاذ ، وقوله تعالى (مِنْ حَيْثُ) لا تعطي عموم معنى(حيثُ شِئْتُما)(٢) .

وهنا أودُّ القول إنَّ النداء في قوله تعالى (وَيَا آدم) أيضًا من الله تعالى ، والنداء بمثابة القول ؛ لأنَّه تعالى ناداه ثم أخبره بما ذُكِر في الآية فهو أيضًا بمثابة القول منه سبحانه وتعالى ، وإذا كان نسبة القول إليه سبحانه وتعالى يناسبها الإكرام بالواو الدالة على الجمع ، فهذا الأمر أيضًا موجود في حال النداء من الله عزَّ وجلَّ لآدم ــ عليه السلام ــ فكان المناسب أيضًا في آية الأعراف الإتيان بالواو، ومن ثَمَّ فأنا لا أؤيد هذا القول الذي حكاه السيوطي عن البعض .

١ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود العمادي ، طبعة :دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، بدون تاريخ : ٣ /٢٢٠.

٢ ــ ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٣ / ٣٩١.

وبعد عرض أقوال العلماء في معنى الواو في قوله تعالى (وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) وهل الواو فيها بمعنى الفاء في قوله تعالى (فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) أم أنَّ لكلٍّ منهما معنًى يغاير معنى الأُخرى ؟؟

أودُّ القول إنَّه على الرغم من استعمال الواو بمعنى الفاء إلا أنّني أؤيد أن لكلٍّ من الواو والفاء في الآيتين السابقتين معنًى مغايرًا لمعنى الأخرى ، و لا أميل إلى القول بأنَّ الواو في آية سورة البقرة بمعنى الفاء في آية سورة الأعراف ؛ وذلك لأنَّنا إذا أردنا أن نجعل الواو بمعنى الفاء قيل ولمَ لا تكون الفاء هي التي بمعنى الواو ؟؟!! طالما أنَّ القصة والقضية واحدة ، و أميل إلى القول بأنَّ سورة الأعراف كان الخطاب والنداء فيها لآدم ــ عليه السلام ــ قبل الدخول وقد أمره الله عزَّ وجلَّ باتخاذ الجنة سُكنى له ولزوجته ، واتخاذ الجنة سُكنى يترتب عليه الأكل ، ويكون الأكل تعقيبًا للدخول ، وفي هذه الآية الكريمة كان التركيز والاهتمام منصبًا على اتخاذ الجنة سُكنى من قِبل آدم ــ عليه السلام ــ وزوجته؛ لأنَّ اتخاذَ الجنة سُكنى لهما حدثٌ جللٌ وأمرٌ عظيمٌ ، فكأنَّه سبحانه و تعالى خاطبَ آدم وقال له إنْ سكنتَ الجنة أكلتَ منها ؛ فالأكل مترتبٌ على السُكنى وتعقيبٌ لها، ولكون الأعرافِ سابقةً على البقرة في النزول فقد حكت السورة بداية القصة قبل دخول آدم وزوجته الجنة ، ولكون سورة البقرة قد نزلت بعد سورة الأعراف فقد حكت بقية القصة بعد دخول آدم عليه السلام وزوجته الجنة ، وبعد أنْ دخلا الجنة امتن الله تعالى عليهما بأنْ يجمعا بين الإقامة واللبث والأكل منها رغدًا حيث شاءا؛ لأنَّها صارت سُكنى لهما على سبيل الإستقرار و الدوام ، فكأنَّه تعالى قال لهما هي لكما مسكنٌ على سبيل الدوام واللبث ، ومن ثَمَّ أجاز لهما الجمع بين كل ما في الجنة ، والمناسب لذلك معنى الواو ؛ لذا فأنا أؤيد أن معنى الواو في قوله تعالى (وَكُلَا) مغايرٌ لمعنى الفاء في قوله تعالى (فَكُلَا) ، وقد استدعى المقام في الآية الأولى الواو وفي الآية الثانية الفاء .

ومن ناحية أخرى حتى لا ندخل في هذه الدائرة هل الواو هي التي بمعنى الفاء أم العكس ؟؟؟

وقد ذهب الدكتور/ حجاج أنور إلى أنَّ من الشواهد التي وردت فيها الواو بمعنى الفاء قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُد وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)(١) وقد احتج على هذا بما ذكره من أنَّ من النحاة والبلاغيين من يرى أنَّ الواو في الآية الكريمة بمعنى الفاء ، وذكر أنَّ المعنى على إرادة التعقيب والتسبب وذكر أنَّ التقدير : ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله ، وذكر أنَّ الذي يؤيد كون الواو بمعنى الفاء هو أنَّ الشكر إنَّما يحسُن مسبوقًا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة ، وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات (٢) .

وهنا أودُّ القول : إنني لم أجدْ من النحاة والمفسرين ــ فيما تهيأ ليَّ الاطلاع عليه ــ من قال إنَّ الواو في الآية السابقة بمعنى الفاء ، ولكن وجدتُ من المفسرين مَنْ علل لاختيار الواو في هذا الموضع دون الفاء ، وسأعرض أولًا أقوال المفسرين في سر التعبير بالواو دون الفاء ثم أعلق بعد ذلك على الرأي الذي ذكره الدكتور / حجاج أنور موضحة ما أميل إليه .

أولًا : أقوال المفسرين في سر التعبير بالواو دون الفاء في قوله تعالى(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُد وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) :

ــ ذهب الزمخشري إلى أنَّ الأولى هو التعبير بالواو دون الفاء في الآية الكريمة السابقة فقال تعليقًا منه على الآية الكريمة السابقة : فإن قلت: " أليس هذا موضع الفاء دون الواو ، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعار بأنَّ ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه ، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد ، كأنه قال: ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه "(٣) .

---

١ ــ سورة النمل آية : ١٥.

٢ــ ينظر : التناوب في المعنى بين حروف العطف (دراسة في القرآن الكريم) بحثٌ للدكتور / حجاج أنور ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ، العدد الثاني عشر: ١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤م : ٢٢٣.

٣ ــ الكشاف : ٣ / ٣٥٢.

فالزمخشري في قوله السابق يقول : إنَّ البعض إذا توهم أنَّ هذا الموضع موضع الفاء ؛ لأنَّ الحمد والشكر يعقب العطاء مباشرة فالجواب أنْ يُقال : نعم هذا صحيح ، ولكن هناك داعٍ دعا إلى التعبير بالواو دون الفاء في هذا الموضع ، وهو أنَّ الحمد ليس هو الشيء الوحيد الذي أعقب إيتاءهما العلم ، ولكنه جزءٌ وبعضٌ بالإضافة إلى أمورٍ أخرى ، فأضمر هذه الأمور الأخرى وعطف عليه الحمد ، والمناسب لهذا المقام هو الواو وليس الفاء ، فالمقام كان أولى بالفاء إنْ لم يكنْ هناك حذفٌ لبعض الأمور التي أحدثها إيتاء العلم ، وكان ما بعد الفاء هو الوحيد المترتب على ما بعدها ، لكن لما وُجِدت هذه الأمور صار المقام مقام الواو، وصارت الواو هي المناسبة والأولى للعطف بها .

وقد اتضح لنا مِن كلام الزمخشري السابق أنَّ الواو عنده ليست بمعنى الفاء ، وأنَّ التعبير بالواو هو المناسب في هذا المقام دون الفاء .

وقد أيَّد ابن كمال باشا ــ وهو من النحاة المتأخرين ــ الزمخشري فيما ذهب إليه في قوله السابق ، وكان ابن كمال باشا قد أشار في مخطوطته (رسالة فيما يفيد واو العطف) ــ والتي تناولها الدكتور محمد حسين أبو الفتوح بالتحقيق في بحث له ــ إلى أنَّ الواو قد تفيد أمرًا غير معنى الاشتراك يقتضيه المقام ، وأنَّه ينبغي أنْ ينظرَ وجه العطف بها في الكلام ، وقد ساق شاهدًا على قوله هذا الآية الكريمة السابقة ، وذكر أنَّ الواو في هذه الآية الكريمة لم تفدْ فقط مجرد الاشتراك ، بل دلتْ على أمرٍ آخر دعا للعطف بها وإيثارها في هذا الموضع الذي يظن البعضُ أنَّه موضع الفاء دون الواو ، وهذا الأمر يتمثل في أنَّ الواو قد دلت على أنَّ في الكلام إضمار ، وأنَّ ما قاله دوادُ وسليمانُ ــ عليهما السلام ــ هو بعض ما أحدث إيتاء العلم فيهما وشيء من مواجبه ، و قد ساق ابنُ كمال باشا قولَ الزمخشري السابق ليؤكِّد ما قاله من أنَّ الواو قد أفادتْ أنَّ في الكلام إضمارًا اقتضى التعبير بها دون الفاء(١) .

١ــ ينظر : رسالة فيما يفيد واو العطف لابن كمال باشا ، وهي مخطوطة قام بدراستها وتحقيقها الدكتور / محمد حسين أبو الفتوح في بحثه المنشور بمجلة جامعة االملك سعود الرياض ــ المملكة العربية السعودية ١٤١٨ه ــ ١٩٩٨ م : ٤٤ ، ٤٥.

ــ كما علل الرازيُّ أيضًا لكون الواو هي المناسبة للمقام دون الفاء بتعليل قريب ممَّا ذكره الزمخشري فقال: " فإنْ قيل أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك: " أعطيته فشكر" و" منعته فصبر" فجوابه : " إنَّ الشكر باللسان إنَّما يحسُن موقعُه إذا كان مسبوقًا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية ، وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات ، ولمَّا كان الشكر باللسان يجب كونه مسبوقًا بهما فلا جرمَ صار كأنَّه قال : ولقد آتيناهما علمًا فعملا به قلبًا وقالبًا ، وقالا باللسانِ الحمد لله الذي فعل كذا وكذا [١] " .

فالرازي يقول إنَّ هناك أمورًا سبقت الحمد والشكر قد وقعت من سيدنا داود وسليمان ــ عليهما السلام ــ ، وهذه الأمور هي التي جعلت الشكر والحمد يقع موقعًا حسنًا ، ولولا سَبْق هذه الأمور السابقة للحمد لكان الموضع موضع الفاء .

وقد حكى البيضاوي والنسفي قول الزمخشري في سر التعبير بالواو دون الفاء في هذا الآية الكريمة السابقة دون أنْ ينسباه إليه[٢].

بينما نقل أبو حيان والسمين الحلبي و سراج الدين الحنبلي صاحب كتاب (اللباب في علوم الكتاب) قول الزمخشري السابق ونسبوه إليه[٣] .

على حين نجد النيسابوري يجمع بين ما قاله الزمخشري والرازي وينسبه لعلماء المعاني [٤].

ثم نجده بعد ذلك يعترض على قولهم إنَّ المَقَام مقام الفاء فيقول : " وقولهم هذا مقام الفاء ممنوع " [٥] .

---

١ ــ مفاتيح الغيب : ٢٤ / ٥٤٦ ، ٥٤٧.

٢ ــ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي بتحقيق / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت الطبعة : الأولى :ــ ١٤١٨ هـ : ٤ / ١٥٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي بتحقيق / يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م : ٢ / ٤٩٥.

٣ــ ينظر : البحر المحيط : ٢١٧/٨ ، الدر المصون : ٥٨١/٨ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٢٢/١٥.

٤ ــ ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٥ / ٢٩٨.

٥ ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٥ / ٢٩٨.

ثم يعلل النيسابوري لامتناع كون المقام مقام الفاء قائلًا : " وإنَّما يكون كذلك إذا أريد التعقيب والتسبيب ، فإنْ كان المراد مجرد الإخبار عمَّا فُعِل بهما وعما فَعَلا فالواو كقولك " أعطيته وشكر "(١).

فالنيسابوري يرى أنَّ التعبير بالفاء إنَّما كان يقع إذا أُريد أنَّ الحمد وقع عقيبًا وسببًا لإيتاء العلم ، ولكنَّ المرادَ في الآية الكريمة أنَّ الحمدَ ليس تعقيبًا لإيتاء العلم ومسببًا عنه ، بل أنَّ هناك أمورًا قد وقعت قبل الحمد ؛ ولذا كان المناسب العطف بالواو دون الفاء لكون المراد في الآية مجرد الإخبار عمَّا فُعِل بهما وعمَّا فَعَلا ، دون إرادة التعقيب والسببية .

ــ وذهب الأمام أبو السعو العمادي إلى أنَّ التعبير بالواو دون الفاء في الآية السابقة لوجهين : الوجه الأول : ما ذكره أبو السعود نفسُه وهو أنَّ العطف إنَّما وقع بالواو لأنَّ كلًا منهما إنَّما قالا : الحمد لله الذي فضلني ، إلا أنَّ القرآن الكريم عبَّر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير من باب الإيجاز ، فالآية الكريمة قد حكت قوليهما معًا بعبارة واحدة جامعة للكل وهي قوله تعالى (وَقَالَا الحَمْدُ للّهِ) ، والمناسب لذلك هو العطف بالواو التي أفادت معنى الجمع بين ما قاله كلٌّ منهما ، ولو كان العطفُ قد وقع بالفاء دون الواو لدلت على أنَّ حمدَ كلٍّ منهما مترتبٌ على إيتاءِ ما أوتي كلٌّ منهما ، لا على إيتاءِ ما أوتي نفسه فقط ، أيّ أنَّ الحمدَ قد وقع عن إيتائهما معًا ، وليس عمَّا أوتي كل واحدٍ لنفسه فقط ، وليس هذا هو المراد ؛ ولذا جاء العطف في الآية الكريمة بالواو دون الفاء .

وأمَّا الوجه الثاني الذي ذكره أبو السعود فليس للإمام أبي السعود نفسِه وإنَّما هو نفس القول الذي ذكره الزمخشري من قبل ، إلا أنَّ الإمام أبا السعود لم ينسبه للزمخشري بل قال : " وقد قيل" ثم حكى الإمام أبو السعود القول الذي ذكره الزمخشري من قبل(٢).

١ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٥ / ٢٩٨.

٢ــ ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٦ / ٢٧٦.

كما علل الشوكاني لإيثار التعبير في الآية الكريمة بالواو دون الفاء بما علل به الزمخشري والرازي من قبل لكنه لم ينسبه لأيٍّ منهما (١) .

ــ بينما علل الإمامُ ابن عاشور للعطف بالواو دون الفاء في الآية الكريمة السابقة بأنَّ قولَهما (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا) يدل على تفضيلهما بفضائل غير العلم ، بدليل قوله تعالى (عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) ومنهم أهل العلم وغيرهم ، ولأجل ذلك عطف بالواو دون الفاء ؛ لأنَّ الحمدَ هنا ليس حمدًا لمجرد الشكر على إيتاء العلم بل يدخل مع إيتاء العلم غيره من الأمور التي فضَّلهما بها الله تعالى على غيرهما (٢) .

وبناء على ما سبق من أقوال للمفسرين في سر التعبير بالواو دون الفاء يتضح لنا أنَّ الواو لم تستعملْ عندهم في الآية الكريمة بمعنى الفاء كما أشار إلى ذلك الدكتور / حجاج أنور .

ثانيًا :التعليق على ما ذكره الدكتور / حجاج أنور من أنَّ الواو في الآية السابقة بمعنى الفاء :

ذكر الدكتور/ حجاج أنَّ الواو في الآية الكريمة السابقة قد جاءت بمعنى الفاء وذكر أنَّ المعنى في الآية على إرادة التعقيب والتسبب وذكر أنَّ التقدير : ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله ، وذكر أنَّ الذي يؤيد كون الواو بمعنى الفاء هو أنَّ الشكر إنَّما يحسُن مسبوقًا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة ، وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات .

وهنا أقول ما ذكره الدكتور حجاج أنور / من أنَّ المعنى في الآية على إرادة التعقيب والتسبب لا يتأتي هنا في الآية الكريمة ؛ لأنَّ الحمدَ ليس تعقيبًا لإيتاء العلم ومسببًا عنه ، بل أنَّ هناك أمورًا قد وقعت قبل الحمد هي التي أعقبت

١ــ ينظر : فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٤ هـ : ٤ / ١٤٩.

٢ــ ينظر : التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية ــ تونس ، طبعة سنة : ١٩٨٤هـ : ١٩ / ٢٣٤.

إيتاء العلم وتسببت عنه ؛ ولذا كان المناسب العطف بالواو دون الفاء لكون المراد في الآية مجرد الإخبار عمَّا فُعِل بهما وعمَّا فَعَلا ، دون إرادة التعقيب والسببية ، وأيضًا نجد أنَّ التقدير الذي ذكره الدكتور/ حجاج ليؤيد به أنَّ الواو بمعنى الفاء هذا نفس التقدير الذي ذكره الزمخشري والرازي من قبل وأكدا به كون الواو هي المناسبة للمقام ، وأنها ليست بمعنى الفاء ، ونجد أنَّ الدكتور / حجاج حين ذكر تقدير الآية الكريمة قال: ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله فهو نفسه لم يجعل الواو في التقدير الذي ذكره بمعنى الفاء وأبقاها واوًا كما هي فهو لم يقلْ : فقالا الحمد لله ، وأيضًا ما ذكره من الذي يؤيد كون الواو بمعنى الفاء أنَّ الشكر إنَّما يحسُن مسبوقًا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة ، وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات هو في حقيقة الأمر ما أيَّد به الرازي كون الواو هي المناسبة لهذا الموضع دون الفاء ؛ لأن كون الحمد والشكر قد سُبِقَ بعمل القلب وبعمل الجوارح يدل على أن أمورًا وأعمالًا قد وقعت منهما قبل الحمد ، وأنَّ في الكلام إضمارًا ، وهذا الإضمار هو ما جعل الواو هي المناسبة لهذا الموضع دون الفاء .

وبناء على ما سبق فأنا لا أؤيد ما ذكره الدكتور / حجاج أنور من أنَّ الواو في الآية الكريمة السابقة بمعنى الفاء .

ومن الشواهد التي قيل فيها إنَّ الواو فيها بمعنى الفاء قوله تعالى(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا)(١) فقد جعل جماعة من المفسرين عند تفسيرهم لمعنى الآية الكريمة السابقة الواو فيها بمعنى الفاء ، وذكروا أنَّ المعنى : فلما دخلت الصرح ظنت أنَّه لُجَّة ماءٍ فكشفت عن ساقيها ، ولكنهم لم ينصوا صراحة على أنَّ الواو بمعنى الفاء ، لكن فُهِم ذلك من خلال تفسيرهم لمعنى الآية ومن هؤلاء : يحيي بن سلام والزجاج وابن أبي زَمَنين المالكي صاحب تفسير (تفسير القرآن العزيز) والقشيري والسمعاني وتاج الوقار و محمود بن أبي الحسن الشهير ببيان الحق صاحب تفسير (باهر

١ ــ سورة النمل من الآية : ٤٤.

البرهان فى معانى مشكلات القرآن) والرازي والبيضاوي وأبي القاسم وابن جزي صاحب تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل) والثعالبي والشوكاني(١) .

وقد كان ابنُ كمال باشا القول قد نسب القول بكون الواو في الآية الكريمة السابقة بمعنى الفاء للبيضاوي فقط دون غيره من المفسرين الذين ذهبوا إلى هذا القول، وبعد أن نسب ابن كمال باشا هذا القول للبيضاوي حكم عليه بالخطأ قائلًا :

" وقد أخطأ البيضاوي ههنا حين حسبَ أنَّ حقَ المقام الفاء دون الواو على ما كشف عنه قوله في تفسير قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) : فلما أبصرته ظنته ماء راكدًا فكشفت عن ساقيها "(٢) .

وذكر ابن كمال باشا أنَّ الواو ليست بمعنى الفاء في الآية السابقة ، وأنَّ الواو هي المناسبة لمعنى الآية دون الفاء ؛ وذلك لأنَّ في عطفه بالواو إشعارًا بأنَّ ما ذكر بعضٌ ما أحدث فيها حسبانه لجة وشيءٌ من مواجبه ، فأضمر ذلك ، ثم عطف كشف الساقين عليه ، كأنه قيل : فلما رأته حسبته لجة فشمرت ذيلها وكشفت عن ساقيها .

١ــ ينظر : تفسير يحيي بن سلام ليحيي بن سلام بن أبي ثعلبة البصري بتحقيق د/ هند شلبي ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤ م : ٢ / ٥٤٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ١٢٢ ، تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي حققه / أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، / محمد بن مصطفى الكنز ، دار الفاروق الحديثة مصر ــ القاهرة ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م : ٣ / ٣٠٤ ، لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن القشيري بتحقيق/ إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ مصر، الطبعة : الثالثة ، بدون تاريخ : ٣ / ٤١ ، تفسير القرآن للسمعاني : ٤ / ١٠٢ ، غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٢ / ٨٥٣ ، باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوريّ الغزنوي الشهير ببيان الحق بتحقيق / سعاد بنت صالح بن سعيد ، جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ، طبعة سنة : ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م : ٢ / ١٠٥٩ ، مفاتيح الغيب : ٢٤ / ٥٥٩ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤ / ١٦٢ ، التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي بتحقيق الدكتور/ عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت: الطبعة:الأولى : ١٤١٦هـ : ٢/ ١٠٣ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي بتحقيق الشيخ / محمد علي معوض والشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ :٤ / ٢٥٢ ، فتح القدير : ٤/ ١٦٢.

٢ ــ ينظر : رسالة فيما يفيد واو العطف : ٤٦

فابن كمال باشا يرى أنَّ في الكلام حذفًا ، وهذا الحذف هو الذي جعل الواو هي المناسبة للمقام دون الفاء ، ولذا حكم بالخطأ على ما ذهب إليه البيضاوي .

وهنا أودُّ القول إنَّني أؤيد ما ذكره ابنُ كمال باشا من أنَّ الواو لم تستعمل في الآية الكريمة بمعنى الفاء ؛ وذلك لأنَّ كشف الساقين لا يكون إلا بعد تشمير الذيل ، وعلى هذا فكشف ساقيهالم يعقب حسبانها الصرح لجة ولم يتسبب عنه ، وإنما الذي أعقبه وتسبب عنه تشمير ذيلها ، وليس المراد من قوله تعالى (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) التسبب والتعقيب ، وإنَّما المراد الإخبار أنَّها كشفت ساقيها بعد أنَّ شمرت ذيلها؛ ولهذا كان المناسب للمقام التعبير بالواو دون الفاء .

تعقيب :

وبعد عرض الشواهد التي قيل فيها إنَّ الواو قد اُستُعملت فيها بمعنى الفاء أقول : استعمال الواو بمعنى الفاء جائزٌ ولكن بقلة ؛ لأنَّ معظم الشواهد التي قال فيها البعض إنَّ الواو قد جاءت بمعنى الفاء قد حُمِلت على أوجهٍ أخرى تجعلها ليست بمعنى الفاء ، وهذه الأوجه هي الأنسب لمعنى الآية من جعل الواو بمعنى الفاء ؛ ولذا حكمت على استعمال الواو بمعنى الفاء بالقلة .

المبحث الثاني : استعمال " أوْ " بمعنى غيرها من حروف العطف :

المعنى الأصلي الذي وُضِعت له أوْ " هو أنْ تكونَ لأحد الشيئين أو الأشياء ، وقد ورد في كلام العرب استعمال " أوْ " بمعنى الواو ، وبمعنى" بلْ " .

أولًا : استعمال " أوْ " بمعنى الواو

ورد في كلام العرب استعمال " أوْ " بمعنى" الواو" ، وفي مجيء " أوْ " بمعنى الواو خلاف بين النحاة على عدة مذاهب :

المذهب الأول :

وهو ما ذهب إليه الكوفيون والجرمي من أنَّ " أوْ " تستعملُ للجمع بمعنى الواو في الإباحة وغيرها عند أمن اللبس (١) .

وقد نَسَبَ السيرافي هذا المذهب لقومٍ من النحاة دون تعيين فقال : " وقال قومٌ " أو " تكونُ بمعنى الواو "(٢).

ونسب ابن جني هذا المذهب لقطرب(٣).

ونسب أبو حيان والمرادي وابن هشام وابن عقيل وصاحب(مصابيح المغاني) والشيخ خالد والسيوطي هذا المذهب للأخفش(٤).

١ــ ينظر : البيان في شرح اللمع للشريف عمر بن إبراهيم الكوفي بتحقيق د / علاء الدين حموية ، دار عمار الأردن ــ عمان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢ م :١/ ٣٠٢ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/ ٣٩١ ، اللباب في علل البناء والإعراب : ١ / ٤٢٤ ، شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الشرح الكبير بتحقيق د/ صاحب أبو جناح ، بدون طبعة ، بدون تاريخ :١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي بتحقيق د /حسن هنداوي ، دار كنوز أشبيليا ــ الرياض ، الطبعة : الأولى : ١٤٣٧هـ ــ ٢٠١٦ م : ١٣ / ١٣٦، ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٤ / ١٩٩١ ، الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٣٠ ، مغني اللبيب : ١ / ٧٥ ، المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل بتحقيق / محمد كامل بركات ، دار الفكر ــ دمشق ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م : ٢ / ٤٥٩ ، مصابيح المغاني في حروف المعاني : ٥٢ ، التصريح : ٢ / ١٧٤ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤.

٢ ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي : ٣ / ٤٣٢.

٣ ــ ينظر : الخصائص : ٢ / ٤٦٢.

٤ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣/ ١٣٦ ، الارتشاف : ٤/ ١٩٩١ ، الجنى الداني: ٢٣٠، مغني اللبيب: ٧٥/١ ، المساعد : ٢/ ٤٥٩ ، مصابيح المغاني: ٥٢ ، التصريح : ٢/ ١٧٤ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤.

كما نسب أبو حيان وابن عقيل والسيوطي هذا المذهب للأزهري(١) .

وقد تبع محمد بن القاسم الأنباري والهَرَوي وابن الشجري والزركشي وابن الصائغ والسيوطي مذهب الكوفيين(٢) .

وقد تبع ابنُ مالك أيضًا مذهبَ الكوفيين في مجيء" أو" بمعنى الواو للجمع مطلقًا في كتابه(شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ)(٣).

بينما جعل في كتابه " شرح التسهيل " مجيء " أو " بمعنى الواو في الإباحة كثيرًا ، وفي عطف المصاحب والمؤكد قليلًا (٤) .

وجعل مجيء " أو " بمعنى الواو في كتابه " شرح الكافية الشافية " عند أمن اللبس ، وجعل الاعتماد في فهم المعنى على القرائن(٥).

حُجة أصحاب هذا المذهب : احتج القائلون بأن " أو تستعمل بمعنى الواو بأنها قد جاءت بمعنى الواو في العديد من الشواهد القرآنية والشعرية .

وفيما يلي ذكر الشواهد القرآنية والشعرية التي استشهد بها الكوفيون ومن تبعهم على جواز استعمال" أو " بمعنى الواو :

١ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨ ، الارتشاف : ٤ / ١٩٩١ ، المساعد : ٢ / ٤٥٨ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤.

٢ــ ينظر : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧م : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي بتحقيق / عبد المعين الملوحي ، الطبعة : الثانية : ١٤١٣ هـ ــ١٩٩٣ م : ١١٣، أمالي ابن الشجري لهبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي بتحقيق د/ محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م : ٣ / ٥٧ ــ ٧٧ ، البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد الزركشي بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة : الأولى : ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧ م : ٤ / ٢١٠ ، اللمحة في شرح الملحة : ٢/ ٦٩٥ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨م : ٢ / ٧٣.

١ ــ ينظر : شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك بتحقيق / عدنان الدوري ، مطبعة العاني ــ بغداد ، طبعة سنة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م : ٢ / ٦٢٧ ــ ٦٢٩.

٤ ــ ينظر : شرح التسهيل لابن مالك بتحقيق د/عبد الرحمن السيد ، محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة ، الطبعة : الأولى: ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠م : ٣ / ٣٦٤ ،٣٦٥.

٥ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك : ٢ / ١٢٢٢ ، ١٢٢٣.

أولًا الشواهد القرآنية :

استشهد الكوفيون ومن تبعهم على صحة ما ذهبوا إليه بالعديد من الشواهد القرآنية التي يرون أنَّ " أو " قد جاءت فيها بمعنى الواو ومنها :

ــ قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)(١)فقد ذكر الكوفيون ومن تبعهم أنَّ " أو " في الآية الكريمة قد جاءت بمعنى الواو ،

والمعنى : ولا تطع منهم آثمًا وكفورًا (٢) .

وقد أيَّد أبوعبيدة ما ذهب إليه الكوفيون من القول بكون " أو " في الآية السابقة قد جاءت بمعنى الواو فقال : " أراد : آثمًا و كفورًا "(٣) .

كما أيَّد جماعةٌ من المفسرين ما ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم من كون " أو " في الآية السابقة بمعنى الواو وهم : أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصَّاص والباقلاني والراغب الأصفهاني والبغوي وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي وابن عاشور في أحد قوليه والشنيقيطي(٤) .

على حين ذهب البغوي إلى أنَّ " أو" إنَّما هي الواو في حقيقة الأمر وقال إنَّ ألفَها صلةٌ أي : زائدة(٥) .

وقد ذكر الفراء أنَّ " أو " في الآية بمعنى" ولا " ، والمعنى عنده : ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا ، وذكر أنَّه على ذلك تكون" أو" قريبة المعنى من الواو[٦] .

---

١ ــ سورة الإنسان من الآية : ٢٤.

٢ ــ ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩٢ ، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : ١٤٩.

٣ ــ ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري بتحقيق/ محمد فؤاد ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٣٨١ هـ : ٢ / ٢٨٠.

٤ ــ ينظر : أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصَّاص بتحقيق / محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٤٠٥ هـ : ٢ / ١٣٦ ، الانتصار للقرآن للباقلاني: ٢ / ٧٢٦ ، تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٤٩٠ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ــ : ٢ / ٨٩ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ٢ / ٤٥٨ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ــ لبنان ، طبعة سنة : ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٩٥م: ٧ / ٥٢٣ ، ٥٢٤.

٥ ــ ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : ٥ / ١٩٤.

٦ــ ينظر : معاني القرآن للفراء بتحقيق / أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية ــ مصر ، الطبعة : الأولى بدون تاريخ : ٣ / ٢١٩، ٢٢٠.

وعلى تقدير الفراء السابق فـ " أو " بمعنى الواو ، وليست قريبة المعنى من الواو كما قال الفراء ، ويتضح ذلك لنا من تقديره للآية الكريمة ؛ لأنَّ كون " أو " بمعنى " ولا " يعني أنَّها في حقيقة الأمر بمعنى الواو ؛ لأنَّ " لا " إنَّما تجيء بعد الواو لتأكيد النفي كما قال ابن هشام(١) .

ـ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم أيضًا بقوله تعالى(وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ)(٢) فقالوا إنَّ " أو " قد جاءت في الآية السابقة بمعنى الواو(٣) .

وقد أيَّد جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي وفخر الدين الرازي مذهب الكوفيين وقالا إنَّ " أو " في الآية بمعنى الواو(٤).

وقد ذهب ابنُ مالك في شرح التسهيل إلى أنَّ " أو " في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ منْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) وقوله تعالى(وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ) بمعنى" ولا " والمعنى عنده فيهما :" لا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا "، " ولا على أنفسكم أنْ تأكلوا من بيوتكم ولابيوت آبائكم " (٥) .

وبذلك يكونُ ابن مالك موافقًا لما قاله الفراء من قبل في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) .

وأقول هنا : " أو " ههنا إنَّما هي بمعنى الواو ، وإنما تأتي (لا) منطوقًا بها في اللفظ الذي يفسرونها به في الآية بعد الواو لتوكيد النفي السابق ، وهي أيضًا في قوله تعالى (وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ) مانعة من توهم تعليق النفي بالمجموع لا بكلٍّ واحدٍ ، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الإجماع كما قال ابن هشام(٦) .

---

١ ـ ينظر : مغني اللبيب : ١ / ٧٦.
٢ ـ سورة النور من الآية : ٦١.
٣ ـ ينظر: الأزهية في علم الحروف : ١١٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨.
٤ ـ ينظر : زاد المسير في علم التفسير: ١ / ٣٨ ، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي : ٣ / ٥٥٥.
٥ـ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٥.
٦ ـ ينظر : مغني اللبيب : ١ / ٧٦.

وقد قال الدماميني معلقًا على ما قاله ابن هشام في قوله تعالى(وَلَاعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ) : " المقصود بقول ابن هشام : " من دليل خارجٍ عن اللفظ وهو الإجماع " أي : الإجماع القائم أنَّه لا حرجَ على الإنسان أنْ يأكلَ من بيت ولده ، ولا أنْ يأكلَ من بيت والده ، وأما اللفظ الواقع في الآية فلا دليلَ فيه على ذلك "(١).

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم أيضًا بقوله تعالى { فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا }(٢)فـ " أو" في الآية عند الكوفيين ومن تبعهم بمعنى الواو ؛ لأنَّ الذكرَ الملقى للعذر والنذر معًا ، لا لأحدهما ، والمعنى :" أُرسِلت بما أُرسِلت بِهِ إعذارًا من اللَّه وَإنذارًا "(٣).

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ يحيي بن سلام قد ذكر أنَّ " أو " في الآية السابقة إنَّما هي الواو وألفها صلة أي : زائدة ، والمعنى عنده : عذرًا ونذرا (٤) .

وما ذهب إليه يحيي بن سلام يقوي مذهب الكوفيين من أن " أو" في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو ، ويبين أنَّ المراد في الآية الكريمة معنى الجمع .

وقد جعل جماعة من المفسرين " أو " بمعنى الواو أثناء تفسيرهم لمعنى الآية السابقة فقالوا إنَّ معنى الآية السابقة : إمَّا عُذرًا من الله ونُذرًا إلى خلقه ، أو : الملقيات ذكرًا للإعذار والإنذار ، أو : حال كونهم معذرين ومنذرين ، ومنهم: مقاتل بن سليمان البلخي وأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني وابن جرير الطبري والسمرقندي وأبي إسحاق الثعلبي ــ الذي ذكر أنَّ إبراهيم التيمي(٥) قد

---

١ ــ شرح الدماميني على المغني : ١ / ٢٥٢.

٢ ــ سورة المرسلات آية : ٥ ، ٦.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٢٢ ، الأزهية : ١١٣، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٧ / ٥٢٣.

٤- ينظر : التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيي بن سلام بن أبي ثعلبة البصري بتحقيق د / هند شلبي ، الدر التونسية للتوزيع ، طبعة سنة : ١٩٧٩م : ٢٥٨.

٥- هو : إبراهيم بن يزيد بن شريك أبو أسماء التيمى تيم الرباب ، الإمام لقدوة الفقيه عابد الكوفة ، رَوى عن عمر وعائشة وأبي ذر والكبار رضى الله عنهم ، ومن أقواله : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه ، قيل مات في حبسه سنة ٧٢هـ ولم يبلغ أربعين سنة. ينظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي بتحقيق د / بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : الأولى: ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م:٢/٢٣٢، ٢٣٣. ينظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي تحقيق/مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة: ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م:٥/٦٠ ـــ ٦٢.

قرأ الآية السابقة بالواو(عُذْرًا و نُذْرًا) ــ وهذه القراءة تقوي ما ذهب إليه الكوفيون من كون " أو " في الآية

بمعنى الواو ، ومنهم أيضًا مكي بن أبي طالب وأبي الحسن الواحدي والبغوي وابن عطية وفخر الدين الرازي(١) .

وهذا إنْ دل علي شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ " أو " عندهم بمعنى الواو بدليل وضعهم الواو مكان " أو " في تقدير معنى الآية ، وإنْ لم ينصوا على ذلك صراحة .

و قد نصَّ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري والزركشي والشنقيطي صراحة على كون " أو " في الآية السابقة بمعنى الواو(٢) .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ الزجاج على الرغم من أنَّه من المنكرين لاستعمال " أو " بمعنى الواو إلا أنَّه في أثناء تفسيره للآية السابقة قد جعل " أو" بمعنى الواو فقال : " ونصب (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) على ضربين : أحدهما مفعول على البدل من قوله " ذِكرًا " ، والمعنى : فالملقيات عذرًا أو نُذْرًا ، ويكون نصبًا بِذِكر، فالمعنى : " فالملقيات أنْ ذكرت عذرًا ونذرًا " ، ويجوز أنْ يكونَ نصب عُذْرًا أَو نُذْرًا على المفعول له ، فيكون المعنى : " فالملقيات ذكرًا للإعذار والإنذار" (٣) .

١ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٥٤٣ ، تفسير عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني بتحقيق / محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ : ٣/ ٣٧٩ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري : ٢٤ / ١٢٨ ، بحر العلوم للسمرقندي : ٣ / ٥٣٢ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي : ١٠ / ١٠٩ ، مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي بتحقيق د / حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، الطبعة : الثانية : ١٤٠٥هـ : ٢ / ٧٩١ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: ١١٦١ ، معالم التنزيل للبغوي: ٥ / ١٩٦، المحرر الوجيز في تفسيرالكتاب العزيز لابن عطية: ٥ / ٤١٧ ، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي : ٣٠ / ٧٦٨.

٢ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق/ إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، بدون تاريخ : ٢٩٠، البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢١٠، أضواء البيان : ٧ / ٥٢٣.

٣ ــ معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٢٦٦.

وكذا الحال مع العكبري فعلى الرغم أنَّه من القائلين بأنَّ " أو " لا تكونُ بمعنى الواو ، إلا أنَّنا نجده في الآية السابقة قد جعل " أو" بمعنى الواو على القول بأنَّ عذرًا ونذرًا حالان من الضمير في الملقيات أي: معذرين ومنذرين [١].

وسيأتي الحديث بالتفصيل عن مذهب القائلين بأنَّ " أو " لا تكون بمعنى الواو ومنهم الزجاج والعكبري ، ولكن أحببت أنْ أبينَ مذهبهما في معنى " أوْ " في الآية الكريمة ؛ لأنَّ ما ذهبا إليه يؤيد ما ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم من كون " أوْ " في الآية بمعنى الواو .

ــ وقد استدل الكوفيون أيضًا بقوله تعالى(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)(٢) فقالوا إنَّ " أوْ" في الآية السابقة بمعنى الواو(٣).

وقد ذكر يحيي بن سلام أنَّ " أوْ " في الآية السابقة إنَّما هي الواو وقال إنَّ ألفَها صلة(٤) .

وقد ذكر ابن عطية أنَّ البعضَ أوَّل الآية بمعنى : " لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم عقابه "(٥) .

وبالنظر إلى هذا التأويل الذي حكاه ابنُ عطية عن البعض نجد أنَّهم قد جعلوا " أو " فيه بمعنى الواو ، كما هو ظاهر من تقديرهم لمعنى الآية الكريمة ، وهذا يؤيد ما قاله الكوفيون ومَنْ تبعهم من أنَّ " أو " في الآية السابقة قد جاءت بمعنى الواو .

١ــ ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري بتحقيق / علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى الحلبي ، بدون تاريخ : ٢ / ١٢٦٢.

٢ ــ سورة طه من الآية : ١١٣.

٣ ــ ينظر : الأزهية : ١١٣ ، أمالي ابن الشجري: ٣ / ٧٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨.

٤ ــ ينظر : تفسير يحيي بن سلام : ١ / ٢٨٢ ، التصاريف لتفسير القرآن : ٢٥٨.

٥ ــ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤ / ٦٥.

وقد أيَّد مذهب الكوفيين في كون " أو " في الآية السابقة بمعنى الواو:عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري والزركشي والسيوطي(١).

ــ وقد استدل الكوفيون أيضًا بقوله تعالى(فَقُوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخشَى)(٢) وقالوا إنَّ " أوْ " في الآية الكريمة قد جاءت بمعنى الواو(٣).

وقد ذهب يحيي بن سلام إلى أنَّ " أو " في الآية إنَّما هي الواو حقيقةً ، وقال إنَّ ألفها صلة أي : زائدة (٤) .

وقد وجدتُ السمعاني والبغوي وأبا حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي قد جعلوا " أو" بمعنى الواو أثناء تفسيرهم لمعنى هذه الآية الكريمة ، وقالوا إنَّ معنى الآية : لعله يتعظ ويخاف فيُسْلم (٥) .

وهذا يدل على أنَّ " أو " عندهم بمعنى الواو بدليل وضعهم الواو مكان " أو " في تفسير معنى الآية ، وإنْ لم ينصوا على ذلك صراحة .

وقد نصَّ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري و فخر الدين الرازي والزركشي وأبو البقاء الكفوي والسيوطي(٦) صراحة على أنَّ " أوْ " في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو .

ــ وقد استدل الكوفيون أيضًا بقوله تعالى(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)(٧) وقالوا إنَّ " أوْ " في الآية الكريمة بمعنى الواو ، والمراد من الآية الكريمة تشبيه المنافقين بهذين المثلين وهما : المَثل المذكور في هذه

١ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٢٩٠ ، البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٤ / ٢١٠ ، الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة: ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤ م : ٢ / ٢٠٩ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٢ / ٧٣.

١ــ سورة طه آية : ٤٤.

٣ــ ينظر : أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦ ، الأزهية : ١١٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨.

٤ــ ينظر : التصاريف لتفسير القرآن : ٢٥٨.

٥ــ ينظر : تفسير القرآن للسمعاني : ٣ / ٣٣٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : ٣ / ٢٦٣ ، اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي : ١٣ / ٢٥٤.

٦ــ ينظر : مشكل تأويل القرآن : ٢٩٠ ، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي : ٣ / ٥٥٥ ، البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢١٠ ، الكليات لأبي البقاء الكفوي بتحقيق / عدنان درويش ،/ محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، بدون تاريخ : ٢٠٦ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٠٩ ، معترك الأقران : ٢ / ٧٣.

٧ ــ سورة البقرة من الآية : ١٩.

الآية ، والمَثل المذكور في الآية السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)(١) ، والمعنى : وكمثل صيب(٢) .

وقد أيَّد الطبري والثعلبي مذهب الكوفيين ومن تبعهم في الآية السابقة وقالا : إنَّ " أو " في الآية السابقة بمعنى الواو ودالة على مثل الذي كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها(٣) .

وقد أجاز فخر الدين الرازي في " أو " في الآية عدة أوجة منها : كونها بمعنى الواو ، وهذا يدل على جواز حمل معنى الآية عنده على جعل " أو " بمعنى الواو ، و هو في هذا الوجه يوافق مذهب الكوفيين ومن تبعهم (٤).

وقد أجاز البيضاوي والنسفي جعل " أو " للإباحة بمعنى الواو في الآية الكريمة والمعنى عندهما : أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين ، وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما ، فبأيّتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعًا فكذلك ، و " أو " في حالة التمثيل بهما معًا بمعنى الواو للجمع(٥) .

وقد استشهد الهروي وابن مالك(٦)على مجيء " أو" بمعنى الواو بقوله تعالى(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يظهروا على عورات النساء)(٧) .

---

١ ــ سورة البقرة آية : ١٧.

٢ ــ ينظر : الأزهية : ١١٣، بحر العلوم للسمر قندي : ١ / ٣١ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: ١ / ٩١ ، فتح القدير للشوكاني: ١/ ٥٧.

٣ ــ ينظر : جامع البيان في تأويل آي القران للطبري : ١ / ٣٣٧ ، الكشف عن تفسير القرآن للثعلبي : ١ / ١٦١.

٤ ــ ينظر : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي : ٢ / ٣١٦.

٥ ــ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي : ١/ ٥١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: ١ / ٥٨.

٦ ــ ينظر : الأزهية : ١١٣، شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤.

٧ ــ سورة النور من الآية : ٣١.

وقد ذكر ابن مالك أنَّ " أوْ " في الآية الكريمة السابقة قد جاءت للإباحة ، ولكنها بمعنى الواو ، وذكر أنَّ علامة " أوْ " التي للإباحة هي استحسان وقوع الواو موقعها وقال إنَّه لو قيل : " ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن وآبائهن وآباء بعولتهن " لم يختلف المعنى(١) .

وقد أيد فخر الدين الرازي كون " أو " بمعنى الواو في الآية الكريمة وقال إنَّ المعنى : إلا لبعولتهن وآبائهن(٢).

ثانيًا : الشواهد الشعرية التي استشهد بها الكوفيون ومن تبعهم على استعمال " أو " بمعنى الواو .

استشهد الكوفيون ومن تبعهم على صحة ما ذهبوا إليه بالعديد من الشواهد الشعرية والتي اُستُعملت فيها "أو" بمعنى الواو ومنها قول الشاعر[٣] :

---

١ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤.

٢ ــ ينظر : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي : ٣ / ٥٥٥.

٣ ــ من البسيط للنابغة الذبياني في ديوانه بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة : الثانية ، بدون تاريخ :٢٤، ولكنه ورد برواية : ونصفه أي بالواو ، وليس بـ " أوْ " كما رواه الكوفيون ، وقد ورد البيت منسوبًا للنابغة برواية " أو نصفه " في : الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي بتحقيق / فخر الدين قباوة ، الطبعة : الخامسة : ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥م : ١٨٩، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي بتحقيق /محمد علي البجادي ، دار نهضة مصر ، بدون تاريخ : ١٤، معاني الحروف للرماني : ٨٩ ، الخصائص : ٢ / ٤٦٢ ، الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري بتحقيق / علي محمد البجاوي ، /محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت ، طبعة سنة ١٤١٩ هـ : ١٤٧ ، الأزهية : ١١٤ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢ / ٣٩٢ ، شرح الكافية الشافية : ١ / ٤٨٠ ، شرح عمدة الحافظ : ١ / ٢٣٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨ ، شرح شذور الذهب لابن هشام : ٣٦٢ ، مغني اللبيب : ١ / ٧٥ ، مصابيح المغاني : ٥٢ ، التصريح : ١ / ٣١٧ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي بتحقيق د/ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة : الرابعة : ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ : ١٠ / ٢٥٣ ، وقد ورد برواية " أوْ نصفه " ، و بلا نسبة في شرح قطر الندي وبل الصدى لابن هشام : ١٥١ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ١ / ٣١١.

ــ وقد رُوِي البيت برواية : " ونصفه " بالواو منسوبًا للنابغة في : الجمل في النحو للخليل : ١٢٠ ، الكتاب : ٢ / ١٣٧، اللمع في العربية لابن جني بتحقيق / فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ــ الكويت ، بدون تاريخ : ٢٣٣ ، شرح المفصل لابن يعيش : ٨ / ٥٨ ، رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢٩٩ ، اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ : ٢ / ٥٦٤ ، تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي بتحقيق د/ عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦م : ٣٥٣. =

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

فـ " أو " في البيت السابق بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم : ونصفه(١) .

وقد أيَّد ابنُ خروف أيضًا كون " أوْ" في البيت السابق بمعنى الواو(٢) .

ـ كما استشهد الكوفيون ومن تبعهم بقول الآخر(٣) :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

وقالوا إنَّ " أو " في البيت بمعنى الواو والمعنى عندهم : وعليها فجورها(٤) .

وقد ذكر الزجاجي أنَّ " أو" في البيت السابق قد جاءت بمعنى الواو ، ولكنه جعل مجيء " أو " بمعنى الواو شاذًا(٥) .

= ورُوِي برواية " ونصفه " بلا نسبة في : الأصول في النحو لابن السراج : ١ / ٢٣٣ ، لسان العرب لابن منظور الإفريقي ، دار صادر ـ بيروت ، الطبعة : الثالثة : ١٤١٤هـ : ٣ / ٣٤٧ ، الهمع : ١ / ٢٦٤.

ـ اللغة : فقد : اسم فعل بمعنى يكفي.

ـ الشاهد : قوله " أو نصفه " حيث اُسْتُعملت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم: ونصفه.

١ ـ ينظر : الأزهية : ١١٤ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩٣، مغني اللبيب : ١ / ٧٦ ، مصابيح المغاني : ٥٢.

٢ ـ ينظر : تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف : ٢٧٧.

٣ ـ من الطويل لتوبة بن الحُمَيِّر في : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري : ٢٧٩ ، الأمالي لأبي علي القالي : ١ / ٨٨ ، الأزهية : ١١٤ ، التبصرة والتذكرة لأبي محمد عبد الله بن إسحاق الصيمري بتحقيق د/ فتحي أحمد مصطفى ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م :١ / ١٣٢ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٤ ، الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج : ٢ / ٢٠٢ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩ ، المغني : ١ / ٧٥ ، الخزانة : ١١ / ٦٨ ، و بلا نسبة في : مصابيح المغاني : ٥٢ ، الهمع : ٣ /٢٠٥

ـ الشاهد : قوله " أو عليها " حيث استعملت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم: وعليها.

٤ـ ينظر : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري : ٢٧٩ ، الأزهية : ١١٤ ، المغني : ١ / ٧٥ ، مصابيح المغاني : ٥٢ ، الهمع : ٣ / ٢٠٥.

٥ ـ ينظر: حروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي : ٥٢ ، ٥٣.

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم بقول الشاعر(١) :

وكانّ سِيّان ألا يَسْرحُوا نَعَمًا أو يَسْرَحُوه بها واغْبَرَّتِ السُّوحُ

فقد جعل الكوفيون ومن تبعهم " أو " في البيت بمعنى الواو ؛ لأنّ " سيان " يطلب شيئين ، ولا يستعمل إلا بالواو ، ولو جُعِلت " أو " لأحد الشيئين لكان المعنى : سيان أحدهما ، وهذا كلام لا يجوز في اللغة [٢] .

وقد أيدَّ الرضي ما قاله الكوفيون في البيت السابق ، وجعل "أو " فيه بمعنى الواو ، وعلل ذلك بأَنَّ " سيَّان " بمعنى: مستويان ، وهو بين الشيئين [٣] .

١ــ من البسيط لأبي ذؤيب الهذلي في : المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيده بتحقيق/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة : الأولى : ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م : ٨ / ٦٣٩ ، أساس البلاغة للزمخشري بتحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م : ١ / ٤٨٠ ، تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد الزبيدي ، دار الهداية ، بدون تاريخ : ٢٨ : ٣٢٨ ، لسان العرب : ١٤ / ٤١٢ ، شرح شواهد المغني للسيوطي: ١٩٨ ، و بلا نسبة في الإيضاح لأبي علي الفارسي : ٢٢٢ ، الخصائص : ١ / ٣٤٩، المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني بتحقيق د / كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد ــ العراق ، طبعة سنة ١٩٨٢ :٢ / ٩٣٩ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧١ ، المغني : ١ /٧٥ ، مصابيح المغاني : ٥٣.

ــ اللغة : النعم : الإبل وسائر الماشية ، قوله " بها " يعني السنة المجدبة التي دلت عليها الحال ، والباء بمعنى : في ، اغبرت : اسودت في عين من يراها ، أو كثر فيها الغبار لعدم الأمطار ، السوح : جمع ساحة وهي فضاء يكون بين دور الحي.

ــ المعنى : وكان سيان رعي الإبل والماشية ، وعدم رعيها لوجود القحط

ــ الشاهد : قوله " أو يسرحوه " حيث استشهد به الكوفيون ومن تبعهم على استعمال " أو " بمعنى الواو ؛ لأنَّ " سيان " لا يستعمل إلا بالواو ، والمعنى عندهم : ويسرحوه.

ــ وقد ذكر السيوطي والبغدادي أنَّ البيت ليس كما رواه الكوفيون وإنما هو مُلفق من بيتين في قصيدة أبي ذؤيب الهُذلي وهما :

وَقَالَ رَائِدُهُم سِيَّانِ سَيْرُكُم وَأَنْ تُقِيموا بِهَا واغْبَرَّتِ السُّوحُ
وكَانَ مِثْلَيْنِ أَنْ لَا يَسْرحُوا نَعَمًا حَيثُ اسْتَرَادَتْ مَوَاشِيهم وَتَسْرِيحُ

وعلى هذا فلا شاهد للكوفيين في البيت. ينظر : شرح شواهد المغني : ١٩٩ ، خزانة الأدب : ٥ / ١٣٧.

٢ ــ ينظر : الخصائص : ١ / ٣٤٩ ، لسان العرب : ١٤ / ٤١٢ ، خزانة الأدب : ٥ / ١٣٤.

٣ ــ ينظر : شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي بتحقيق د / إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الثانية ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧ م : ٤ / ٤٢٣.

وقد أيدَّ المالقي أيضًا ما ذهب إليه الكوفيون من كون" أو " في البيتين السابقين بمعنى الواو ، ولكنه جعله قليلًا لا يُقاس عليه ، وذكر أنَّ الكثير ألَّا تأتي " أو " بمعنى الواو(١) :

ــ وقد استدل الكوفيون ومن معهم أيضًا بقول الآخر(٢) :

جَاءَ الخِلافَةَ أَوْ كانتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتى رَبَّهُ مُوسى على قَدَرِ

والمعنى عند الكوفيين ومن تبعهم : و كانت له قدرًا (٣).

وقد جعل الزجاجي " أو " في البيت السابق بمعنى الواو ، ولكنه جعل مجيء " أو " بمعنى الواو شاذًا(٤) .

ــ كما استدل الكوفيون ومَنْ وافقهم أيضًا بقول الشاعر(٥) :

---

١ ــ ينظر : رصف المباني : ١٣٢ ، ١٣٣.

٢ ــ من الطويل لجرير في ديوانه بشرح محمد بن حبيب وبتحقيق / نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ــ القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، بدون تاريخ : ٢ / ٤١٦ ولكن برواية " إذ كانت " بدلا من " أو كانت " وعلى هذا فلا شاهد في البيت للكوفيين ، و البيت منسوب على رواية " أوْ " لجرير في : الجمل في النحو للخليل بن أحمد : ٣٠٧ ، الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري : ٢٧٩ ، الأزهية : ١١٤، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩، المغني : ١ / ٧٥ ، التصريح : ١ / ٤١٥ ، خزانة الأدب : ١١ / ٦٩ ، وبلا نسبة في : حروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي : ٥٣ ، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٢ ، اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ : ٢ / ٦٩٥ ، توضيح المقاصد والمسالك : ٢ / ١٠١٠ ، شرح قطر الندي : ١٨٤ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ١ / ٤٠٧.

ــ اللغة: جاء الخلافة : أي تولى الخلافة ، قدرا : مقدرة أو موافقة له.

ــ المعنى : يقول : تولى الخلافة فكان أهلًا لها ، وقد قدرها اللهُ له كما قدر النبوة لموسى عليه السلام.

ــ الشاهد : قوله " أوْ كانت " حيث استعملت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم : وكانت قدرا له.

٣ــ ينظر : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري : ٢٧٩ ، الأزهية : ١١٤، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٢ اللمحة في شرح الملحة : ٢ / ٦٩٥ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠١٠ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٣٣.

٤ــ ينظر : حروف المعاني والصفات للزجاجي : ٥٢ ، ٥٣.

٥ــ من الطويل لعمرو بن أحمر الباهلي في ديوانه بتحقيق د / حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق : ١٧١ ، معاني القرآن لأبي الحسن الأخفش بتحقيق د/ هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة، الطبعة: الأولى:١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م: ١/ ٣٥ ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة =

أَلَا فالبثَا شهْرَينِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكما ما غَيَّبَتَنِـــي غِيَابِيَا

وقالوا إنَّ المعنى : البثا شهرين ونصف ثالث ؛ لأنَّ لبث نصف الثالــث لا يكونُ إلا بعد لبث الشَّهرين(١) .

وقد أيَّد ابن خروف أيضًا كون " أوْ" في البيت بمعنى الواو(٢) .

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم أيضًا بقول الآخر(٣) :

= : ٢٩١ ، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي بتحقيق / بدر الدين قهوجي ، / بشير جويجابي، دار المأمون للتراث دمشق ــ بيروت ، الطبعة : الثانية ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣ : ٤ / ٣٩٩ ، الأزهية: ١١٥ ، الأزمنة والأمكنة لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصــفهاني ، دار الكتــب العلميــة ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٧هــ : ٤٩٥ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٥ ، التذييل والتكميــل : ١٣ / ١٣٧ ، مصابيح المغاني : ٥٣ ، وبلا نسبة في إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس علق عليه / عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢١ هــ : ٢ / ١٩٣ ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، وزارة الأوقــاف ــ المجلــس الأعلى للشؤون الإسلامية ، طبعة سنة :١٤٢٠ هــ ــ ١٩٩٩م : ٢/٢٢٧ ، الخصائص : ٢ /٤٦٢ ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس ، الناشر : محمد علي بيضون ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٧ م : ٨٩ ، الإنصــاف : ٢ / ٣٩٥ ، خزانــة الأدب : ١٠ / ٢٥٩

ــ اللغة : المراد بالغياب : الغيابة وهي كل شيء غيَّب شيئًا ، وقيل : الموضع الذي يستتر فيه ، والمراد بقوله : غيبتني غيابيا : أهلكتني.

ــ الشاهد : قوله " أو نصف ثالث " حيث اُستُعمِلت " أوْ " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنــى عندهم : ونصف ثالث ؛ لأن لبث نصف الثالث لا يكون إلا بعد لبث الشَّهرين.

١ ــ ينظر : الأزهية : ١١٥ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٥، مصابيح المغاني : ٥٣.

٢ ــ ينظر : تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب : ٢٧٧.

٣ ــ من الوافر لمتمم بن نويرة في ديوانه (مالك ومتمم ابنا نويرة) بتحقيق/ ابتسام مرهون ، مطبعــة الإرشاد ــ بغداد ، طبعة سنة : ١٩٦٨ م : ١٢٤ ، معاني القرآن للأخفش :١ / ٣٥ ، جــامع البيــان للطبري : ١ / ٣٣٧ ، الأضداد لمحمد بن القاسم الأنبــاري :٢٨٠ ، الأزهيــة : ١١٦ ، أمــالي ابــن الشجري : ٣ / ٧٦ ، مصابيح المغاني : ٥٣ ، وبلا نسبة في : المسائل المنثورة لأبي علي الفارســي بتحقيق د/ شريف النجار ، دار عمَّار الأدرن ــ عمان الطبعــة : الأولــى : ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٤ م : ٢٦٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل الفارابي بتحقيق/ أحمد عبد الغفــور، =

فَلو كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ
عَلَى المرأَين إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا لِشَأْنِهما بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

وقالوا إنَّ الشاعر قال : على المرأين ؛ لأنَّه أراد على بجيرٍ وعفاقٍ ؛ فأبدل اثنين من اثنين ؛ فدل على أنَّ " أوْ " بمعنى الواو ؛ إذ لو لم تكن " أوْ " بمعنى الواو لقال على المرء(١) .

وقد أيَّد ابن القوَّاس كون" أو" في البيت السابق بمعنى الواو(٢).

ــ كما استشهد الكوفيون ومن وافقهم أيضًا بقول الآخر(٣) :

= دار العلم للملايين ــ بيروت ، الطبعة : الرابعة : ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م : ٤/ ١٥٢٦ ، لسان العرب : ١٠ / ٢٥٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩ ، خزانة الأدب : ٧ / ١٣١

ــ المعنى : يقول الشاعر : البكاء على الموتى لا يجدي شيئًا ، ولو كان كذلك لبكيت كثيرًا على بجير وعفاق أخويه ، وكان بسطام بن قيس قد أغار على بني يربوع فقتل عفاقًا ، ثم قتل بجيرًا أخاه بعد قتله عفاقًا في العام الأول ، وأسر أباهما أبا مليك ، ثم أعتقه ، وشرط عليه ألا يغير عليه

ــ الشاهد : قوله " بجير أو عفاق " حيث استعملت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم : بجير وعفاق.

١ــ ينظر : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري : ٢٨٠ ، الأزهية : ١١٧ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩.

٢ــ شرح ألفية ابن معط لابن القوَّاس بتحقيق د/ علي موسى ، مكتبة الخريجي ــ الرياض ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥ : ١/ ٧٨١.

٣ ــ من الطويل للبيد بن ربيعة في ديوانه بشرح حمدو طمَّاس، دار المعرفة ، الطبعة : الأولى :١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤ م : ٥٠ ، الوحشيات(الحماسة الصغرى) لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي بتحقيق / عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ــ القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، بدون تاريخ : ١٥٤، عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا الحسني العلوي بتحقيق / عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، بدون تاريخ : ٤٧ ، العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٤ هـ :٢/ ٣٧٠ ، الأزهية : ١١٧، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري صححها / إبراهيم اليازجي ، مطبعة أمين هندية ــ مصر ، الطبعة : الأولى ١٣٢٥ هـ ــ ١٩٠٧ م : ٥٥ ، التبصرة والتذكرة : ١ / ١٣٢ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٥ ، شرح المفصل : ٨/ ٩٩ ، الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري : ١ / ٢٨١ ، خزانة الأدب : ١١ / ٦٩ ، وبلا نسبة في : لسان العرب : ١٤ / ٥٤ ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام : ٢٢١.

ــ اللغة : من ربيعة أو مضر : أي : أفنى كما فنوا.

ــ الشاهد : قوله " من ربيعة أو مضر " حيث جاءت " أوْ " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم ، والمعنى عندهم : من ربيعة ومضر

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَأ وَهَلْ أَنَا إِلَا مِنْ رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ

وقالوا إنَّ : " أو" هنا بمعنى الواو ؛ لأنَّه لا يشك في نسبه حتى لا يدري أمن ربيعة هو أم من مضر ، ولكنه أراد بربيعة أباه الذي وَلَده ؛ لأنَّه لبيد بن ربيعة ، ثم قال : أو مضر يريد : ومضر يعني : مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١) .

ــ كما احتج الكوفيون ومن تبعهم بقول الشاعر(٢) :

إنَّ بهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزاما خُوَيْرِبَيْنِ يَنْفُقَان الهَامَا

وقالوا إنَّ الشاعر أراد : أكتلَ ورزامًا ؛ ولذلك قال : خُوَيْربين ، ولو كانت " أو " على بابها لقال :خُوَيْربًا ،كما تقول : زيدٌ في الدار أوْ عمرٌو جالس ، ولا تقول : جالسان(٣) .

ــ واحتج الكوفيون ومن تبعهم أيضًا بقول الشاعر(٤):

١ــ ينظر : الأزهية : ١١٧ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦ ، خزانة الأدب : ١١ / ٦٩.

٣ــ من الرجز للأسدي في الأزهية : ١١٦، شرح شواهد المغني : ١٩٩ ، ولرجل من بني أسد في الكتاب: ٢ / ١٤٩ ، وبلا نسبة في : المقتضب : ٤/ ٣١٥ ، المخصص لابن سيده بتحقيق / خليل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م : ٣ / ٤٥٨ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦ ، المغني : ١ / ٧٥ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٨١.

ــ اللغة : الأكتل : اللص ، الرزام : الشديد الصعب ، ويجوز أنْ يكونَ " أكتل" و"رزام" اسمين لشخصين معروفين ، خويربين: مثنى خُوَيْرب الذي هو مصغر خارب وهو سارق الإبل ، ينفقان : يكسران الرأس حتى يظهر الدماغ.

ــ المعنى: إنَّ في الطريق لصين معروفين هما أكتل ورزام ، أو إنَّ فيها لصًّا ورجلًا شديدًا صعبًا، يسرقان الإبل، ويكسران رؤوس المسافرين.

ــ الشاهد : قوله " أكتل أو رزام "حيث اُستُعملت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم والمعنى عندهم : أنَّ بها أكتل ورزامًا.

٣ ــ ينظر : الأزهية : ١١٦ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦ ، المغني : ١ / ٧٥.

٤ ــ من الكامل لعمرو بن معد يكرب في ديوانه الذي جمعه ونسقه / مطاع الطرابيشي ، مجمع اللغة العربية ــ دمشق ، الطبعة : الثانية : ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م : ٢٠٦ ، ونسبه الشيخ خالد في التصريح لحميد بن ثور : ١٧٤/٢، ونسبه له أيضًا العيني في المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية : ٤/ ١٦٣٢، وقد ذكر الدكتور محمد البيطار محقق ديوان حميد بن ثور أنَّ هذا البيت ممَّن نُسِب لحميد بن

قومٌ إذا سَمِعوا الصَّريخَ رَأَيتَهُمْ ما بَينَ مُلجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ

وقالوا إنَّ المعنى : ما بين ملجم مهره و سافع ، وقد جاءت " أو " بمعنى الواو ؛ لأنَّ البينية من المعاني التي لا يعطف فيها إلا بالواو(١) .

وقد ذكر ابن مالك في كتابه(شرح التسهيل) أنَّ " أو " قد جاءت في البيت بمعنى الواو في عطف المصاحب وهو عنده قليل ، والكثير عنده أنْ تكــونَ " أو " بمعنى الواو في حال استعمالها للإباحة (٢).

وقد جعل ابن مالك من استعمال" أو " بمعنى الواو لعطفها المصاحب أيضًا قول الشاعر(٣) :

ثور ، ولكنه ليس له ، وقد ذكره مع الأبيات التي نُسبت لحميد بن ثور وليست له. ينظر: ديوان حميد = = بن ثور الهلالي بجمع وتحقيق د / محمد البيطار ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ــ الكويت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٣ هـــ ــ ٢٠٠٢ م : ٣٠٤ ، والبيت بلا نسبة في شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٢ ، شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٥ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام بتحقيق / يوسف الشيخ محمد ، دار الفكر، بدون تاريخ :٣ / ٣٤٢ ، المغني : ١ / ٧٦ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٧٩.

- اللغة : الصريخ : صوت المستصرخ المستغيث ، الملجم : الذي يجعل اللجام في فم الفرس ، السافع : القابض بناصية المهر، وهي كناية عن الاستعداد والاستجابة.
- المعنى: يقول: إنَّهم سريعو الاستجابة إلى من يستغيث بهم ، فتراهم بين ملجم فرسه ، وآخذ بناصــية المهر منتظرًا أنْ يؤتى باللجام.
- الشاهد : قوله " ملجم مهره أو سافع " حيث جاءت " أو " بمعنى الواو عند الكوفيين ومن تبعهم ؛ لأنَّ " بين " تقتضي الإضافة إلى متعدد ، وهذا المعنى تصلح له الواو لا " أوْ " ، والمعنى عندهم : ملجــم مهره وسافع.

١ ــ ينظر : شرح الكافية : ٣ / ١٢٢٢ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٤٢ ، شرح التصريح : ٢ / ١٧٤.

٢ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤.

٣ ــ من الكامل لقطر بن الفجاءة في : الأمالي لأبي علي القالي : ٢ / ١٩٠ ، الفرج بعد الشدة للمحســن بن علي التنوخي البصري بتحقيق / عبود الشالجي ، دار صادر ــ بيروت ، طبعة سنة : ١٣٩٨ هـــ ــ ١٩٧٨م : ١ / ١٦٥ ، شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد المرزوقي الأصــفهاني : ١٠٣ ، زهــر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الخضري القيرواني ، دار الجيل ــ بيروت ، بدون تــاريخ : ٤ / ١٠٩٩ ، سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي الحلبي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢ م : ١١٧ ، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي : ١ / ٨٠٦ ، فصل المقال في شرح كتــاب

حَتَى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِجَامِي

والمعنى عند ابن مالك : أكناف سرجي وعنان لجامي فـ " أو " في هذه الموضع عنده بمعنى الواو التي للمصاحبة (١) .

وقد أيَّد أبو علي القالي في أماليه القول بأنَّ " أو " في البيت بمعنى الواو(٢) ، وعلى هذا فهو من المجيزين لاستعمال " أو" بمعنى الواو .

وقد ذكر ابن مالك أنَّ أحسن الشواهد على استعمال " أو " بمعنى الواو للمصاحبة قول النبي صلى الله عليه وسلم : " اسكنْ حرا فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد " (٣)، فمعنى الحديث : نبي وصديق وشهيد ، وقد جاءت " أو" في الحديث الشريف بمعنى الواو(٤).

كما ذكر ابن مالك أيضا أنَّ من أحسن الشواهد على مجيء " أو " التي بمعنى الواو التي للمصاحبة قول ابن عباس رضي الله عنه : " كُلْ ما شِئت والبس ما شئت ما أخطأك اثنتان : سَرَفٌ(٥) أو مَخِيلَةٌ(١) " (٢) .

الأمثال لأبي عبيد عبد الله البكري الأندلسي بتحقيق / إحسان عباس ، مؤسسة الرسالة بيروت ــ لبنان، الطبعة : الأولى : ١٩٧١م : ١٥٥ ، الخزانة : ١٠ / ١٦٠.

- اللغة : خضبت : تلونت يدي بلون الدم كالخضاب ، تحدَّر : سال ، أكناف السرج : جوانبه ، وعنان اللجام : سيره الذي تمسك به الدابة.
- المعنى : انتصبت للرماح حتى خضبت بما سَال من دمي جوانب السرج وعنان فرسي ، وذلك على حسب مواقع الطعْن ، فالعنان لما سَال من أعاليه ، وجوانب السرج لما سَالَ من أسَافله.
- الشاهد : قوله " أكناف سرجي أو عنان لجامي" حيث استعملت" أو" بمعنى الواو عند ابن مالك ، وهي هنا لعطف المصاحب والمعنى عنده :أكناف سرجي وعنان لجامي.

١ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤.

٢ ــ ينظر : الأمالي لأبي علي القالي : ٢ / ١٩١.

٣ ــ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة بتحقيق / وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م ، في باب " مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل " ، حديث رقم "١٦٣٠ " : ٣ / ١٧٥، و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب "فضائل الصحابة رضي الله عنهم " ، باب " من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما " ، حديث رقم " ٢٤١٧ " : ٤ / ١٨٨٠.

٤ــ ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ٣ / ٣٦٤ ، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك بتحقيق د / طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية : ١٤١٣هـ : ١٧٤.

٥ــ السرَف : تجاوز الحد في كل فعل أو قول ، واستعماله في الإنفاق أشهر من غيره ، وهو ما كان الإنفاق فيه زائدًا عمَّا ينبغي ويليق.

والمعنى : ما أخطأك اثنتان : سرف ومخيلة(٣).

وقد ذكر ابن مالك أيضًا أنَّ من المواضع التي تستعمل فيها " أو " بمعنى الواو عطف المؤكد وجعل منه قوله تعالى(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا)(٤) .

والمعنى عند ابن مالك : " ومن يكسب خطيئةً و أثمًا " ، فـ " أو " عنده بمعنى الواو ، وهذا عنده من عطف المؤكد .

وقد قال الفراء تعليقًا منه على هذه الآية الكريمة : " فإنْ شئت ضممت الخطيئة والإثم فجعلتهما كالواحد "(٥) .

وما ذكره الفراء يؤيد ما ذهب إليه ابن مالك من الخطيئة والأثم بمعنى واحد .

وممَّا يدل أيضًا على أنَّهما بمعنى واحد أنَّ الضمير قد عاد عليهما في قوله " به " بالإفراد فدل على أنَّهما عنده بمعنى واحد ، وقد كُرِر باختلاف اللفظ تأكيدًا(٦).

هذه هي أهم الشواهد التي استشهد بها الكوفيون ومن تبعهم على استعمال " أو" بمعنى الواو .

وبعد ذكر الشواهد التي استدل بها الكوفيون ومن تبعهم على جواز استعمال" أو" بمعنى الواو أودُّ الإشارة إلى أَنَّ أبا حيان والمرادي وابن هشام وابن عقيل وصاحب(مصابيح المغاني) والشيخ خالد والسيوطي قد نسبوا هذا

---

١ ــ مَخِيلة : من الخيلاء وهو التكبر

٢ــ ذكره البخاري في صحيحه كتاب اللباس ، باب قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ): ٧ / ١٤٠. ولكنه ذكره برواية " أخطأتك " بدلا من " أخطأك ".

٣ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، شواهد التوضيح والتصحيح : ١٧٤.

٤ ــ سورة النساء من الآية : ١١٢.

٥ ــ معاني القرآن للفراء : ١ / ٢٨٦.

٦ــ ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي بتحقيق/ أحمد البردوني ، /إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ــ القاهرة ، الطبعة: الثانية: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م : ٥ / ٣٨٠.

المذهب للأخفش(١) ــ وقد أشرت إلى ذلك من قبل ــ ولكن برجوعي لكتاب (معاني القرآن) للأخفش وجدته يقول أثناء حديثه عن قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا): " فقد نهاه عن الآثم والكفور جميعًا ، وقد قال بعض الفقهاء : " إنَّ "أوْ" تكون بمنزلة الواو وقال[٢] :

يُهِينُونَ من حقَروا سيْبَهُ وإنْ كانَ فيهِمْ يَفِي أو يَبَرّ

يقول : " يَفِي ويَبرّ " ، وكذلك هي عندهم ههنا ، وإنَّما هي بمنزلة " كلْ الخبزَ أو اللحمَ أو التمرَ " إذا رخصت له في هذا النحو ، فلو أكل كلَّه أو واحدًا منه لم يعصِ ، فيقع النهي عن كلِّ ذا في هذا المعنى فيكونُ إنْ أكل الكلَّ أو واحدًا عصى ، كما كان في الأمر إنْ صنع واحدًا أطاع ، ومخرجها في العربية أنَّك تقول : " لا تجالسْ زيدًا أو عمرًا أَوْ خالِدًا " فإنْ أَتى واحدًا منهم أو كُلَّهُم كانَ عاصيًا ، كما أَنَكَ إذا قلت: " اجْلِس الى فلان أو فلان أوْ فلان " ، فجلس الى واحد منهم أَو كلِّهم كان مطيعًا ، فهذا مخرجه من العربية ، وأرى الذين قالوا: إنَّما " أو" بمنزلة الواو إنَّما قالوها لأنَّهم رأوها في معناها "(٣) .

وبإمعان النظر في كلام الأخفش السابق نجد أنَّه لم يقل إنَّ " أوْ" بمعنى الوو كما نُسِب إليه ، وإنَّما قال إنَّ بعض الفقهاء هم الذين قالوا إنَّ " أو " تكون بمعنى الواو ، ثم ذكر شاهدًا لهم على هذا وهو قول الشاعر : " يفي أو يبرّ " ،

١ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٦ ، الارتشاف : ٤ / ١٩٩١ ، الجنى الداني : ٢٣٠ ، مغني اللبيب : ٧٥/١ ، المساعد: ٤٥٩/٢ ، مصابيح المغاني: ٥٢ ، التصريح : ١٧٤/٢ ، الهمع : ٢٠٤/٣.

٢ــ من المتقارب للنمر بن تولب في ديوانه بتحقيق وشرح د/ محمد طريقي ، دار صادر ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ٢٠٠٠ : ٦٤ ،الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري : ٥٩ ، وبلا نسبة في معاني القرآن للأخفش: ١/ ٣٤.

- اللغة : السيب : العطاء.
- المعنى : أنهم يهينون مَنْ قلَّ عطاؤه ، وإن كان برًّا وفيًا ، وقد كان فيما مضى أنَّه إذا كان الرجلُ وفيًا أُكرِم وسُوِّد ، وإن كان مُعْدمًا.
- الشاهد : قوله : " يفي أو يبرّ " حيث ساقه الأخفش شاهدًا للقائلين بأن " أو " تستعمل بمعنى الواو والمعنى عندهم : يفي ويبرّ.

٣ ــ معاني القرآن للأخفش : ١/ ٣٤ ، ٣٥ بتصرف يسير.

وذكر الأخفش أنَّ " أو " في الشاهد عندهم بمعنى الواو والمعنى : يفي ويبرّ ، ثم قال الأخفش بعد ذكره لرأي بعض الفقهاء في " أو" وأنَّها عندهم تأتي بمعنى الواو: " وإنَّما هي " وهذا يدل على أنَّ الأخفش يرى شيئًا مغايرًا لما يراه هؤلاء، والذي يراه الأخفش هو: أنَّ " أو" ليست بمعنى الواو كما قيل ، وإنَّما هي عنده في الآية الكريمة للإباحة كما كانت للإباحة في قولهم :" كلْ الخبز أو اللحم أو التمر" ، وذكر أنَّ أو " حال استعمالها للإباحة في الإثبات يجوز معها الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، كما هو الحال مع الواو ، ويجوز معها أيضًا الإتيان ببعض ما أباحه له فقط كما هو أصل معناها ، أمَّا إذا كانت " أو " للإباحة وكان الكلامُ قد سُبق بنهي نحو : " لا تجالسْ زيدًا أو عمرًا أَوْ خالِدًا " فالنهي هنا عن الجميع ما قبل " أو " وما بعدها ؛ فلا يجوز له مجالسة الجميع أو البعض ، وإذا جالس الجميع أو البعض كان عاصيًا ، وبناءً على هذا فـ " أو " عند الأخفش في قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ليست بمعنى الواو كما ذهب البعضُ وإنَّما هي التي للإباحة ، وقد سُبِقت بنهي ، والإباحة في حال النهي تشمل النهي عن الجميع (المعطوف والمعطوف عليه) ، ومعنى الآية الكريمة عنده : " لا تطع الآثم والكفور " أي : بالجمع بينهما في النهي عن طاعتهما ، و على هذا فـ " أو " للإباحة عند الأخفش وليست بمعنى الواو .

ثم قال الأخفش بعد ذلك :" وأرى الذين قالوا : إنَّما " أو " بمنزلة الواو" انما قالوها لأنَّهم رأوها في معناها " ومعنى قول الأخفش هذا : إنَّ الذين قالوا " أو " في الآية بمعنى الواو قالوا ذلك لأنَّهم لما رأوا " أو " حال استعمالها للإباحة في حال الإثبات يجوز معها فعل الجميع أي : يباح له الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذا المعنى إنَّما هو معنى الواو ، ورأوها أيضًا حال استعمالها للإباحة في النهي يكون النهي شاملًا للجميع ، ففيها أيضًا معنى الجمع ؛ حيث جمعت في النهي بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذا المعنى تدل عليه الواو ، فهؤلاء لما رأوها تفيد معنى الجمع حال كونها للإباحة قالوا : هي بمعنى الواو ، لكنها عند الأخفش ليست كذلك .

وقول الأخفش : " وأرى الذين قالوا : " إنَّما " أو " بمنزلة الواو " يؤكد أنه ليس من القائلين بأن " أو " تأتي بمعنى الواو .

الغريب في الأمر أنَّ الأخفش بعد أنْ تحدثَ عن معنى "أو" في الآية الكريمة ذكر بعد ذلك مجموعة من الأبيات التي استدل بها القائلون إنَّ "أو" تأتي بمعنى الواو دون أنْ يعلقَ عليها بأيّ تعليق ، فلم يقلْ إنَّ " أو " فيها بمعنى الواو كما ذهب الكوفيون ومن تبعهم ، ولم يحاول أيضًا أنْ يخرِّجها على تخريج آخر كما فعل في قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ، بل اكتفى بذكرها فقط .

وهنا أودُّ الإشارة أيضا إلى أنَّ أبا حيان وابن عقيل والسيوطي قد نسبوا أيضًا للأزهري القول بأنَّ " أو " تستعمل بمعنى الواو في النثر والنظم (١) .

وقد ذكر أبوحيان أن الأزهري قد استدل على مجيء " أو " بمعنى الواو بعدة شواهد منها : قوله تعالى (وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ)(٢) ، وقوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ)(٣) ، وقوله تعالى (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا)، وقوله تعالى (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) ، وقوله تعالى (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) وبقول النابغة :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

وبقول الآخر :

فَلوكَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا ... بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

عَلَى المرأين إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا ... لِشَأْنِهما بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

ثم قال أبو حيان بعد ذكره لهذه الشواهد التي نسب للأزهري أنه استشهد بها : " قالوا : " أو " في جميعها بمنزلة الواو " (٤) .

١ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨ ، الارتشاف : ٤ / ١٩٩١ ، المساعد : ٢ / ٤٥٩ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤.

٢ ــ سورة النور من الآية : ٦١.

٣ ــ سورة النور من الآية : ٣١.

٤ ــ التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٨ ، ١٣٩.

وكان على أبي حيان أن يقول : " قال " ؛ إذ الكلام عن الأزهري واستشهاده بهذه الشواهد .

ولكن برجوعي لكتاب (تهذيب اللغة) للأزهري وجدته يقول عن معاني "أو" :

" قال أبو العباس ثعلب : " أو " تكون تخييرًا ، وتكون شكًّا ، وتكون بمعنى (بل) ، وتكون بمعنى (متى) ، وتكون بمعنى (الواو)(١) ..... ، وأنشد أبو زيد فيمن جعلها بمعنى (الواو):

وَقد زَعمت ليلى بأَنِّيَ فاجِرٌ لِنَفْسي تُقاها أَو عَلَيْهَا فُجورُها

معناها : وعليها ، وأنشد الفراء:

إنّ بهَا أَكْتلَ أَو رِزَامَا خُويربان يَنْقُفَان الهامَا

وقال أبو زيد في قول الله جلّ وعزّ(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[٢] إنَّما هي : ويزيدون ، وكذلك قال في قوله تعالى (أصلواتك تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ)[٣] قال : تفسيره : وأن نفعلَ .

وقال : الفراء في قوله جلّ وعزّ :(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ): أو يزيدون عندكم ، فيجعل معناها للمخاطبين .

قلت : وأمَّا قوله تعالى في آية الطهارة(وَإِنْ كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَآءَ)(٤) فهو بمعنى الواو التي تُعرف بواو الحال ، والمعنى: وجاء أحد منكم من الغائط ، أي : في هذه الحالة ، ولا يجوز أن تكون تخييرًا ، وأما قوله تعالى (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَآءَ) فهي معطوفة على ما قبلها ، وأمَّا قوله تعالى : (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) فإن الزجاج قال : " أو " هنا أوكد من الواو ؛ لأنَّ الواو إذا قلت : لا تطعْ زيدًا وعمرًا ، فأطاع أحدهما

١ــ لم أجد هذا القول لثعلب في كتابه (مجالس ثعلب) ، وكل ما ذكره هو أن " أو " تأتي بمعنى " بل " ولم يذكر شيئًا غير هذا عن معاني " أوْ " ، ينظر : مجالس ثعلب : ١١٢.

٢ ــ سورة الصافات آية : ١٤٧.

٣ ــ سورة هود من الآية : ٨٧.

٤ ــ سورة النساء من الآية : ٤٣.

كان غير عاصٍ ؛ لأنَّه أمره ألَّا يُطيع الاثنين ، فإذا قال : و لا تُطعْ منهم آثمًا أو كفورًا ، فـ " أو " قد دلت على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما أهل لأنْ يُعْصى" (١) .

وبإمعان في قول الأزهري السابق نجد أنَّه قد حكى قول ثعلب في معاني "أو" ، وذكر أيضًا شواهد حكاها أبو زيد على أنَّها شواهد للقائلين بمجيء " أو" بمعنى الواو ، وذكر بعد ذلك أنَّ أبا زيد نفسه يرى أنَّ " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) و قوله تعالى (أصلواتك تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ) .

وذكر أيضًا أنَّ الفراء أنشد شاهدًا على مجيء " أو " بمعنى الواو ، وأنَّه يرى أن " أو " في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) للشك من المخاطبين .

وذكر الأزهري بعد ذلك أنَّه يرى أنَّ " أو " في قوله تعالى(وَإِنْ كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَآءَ) بمعنى واو الحال ، وليست بمعنى الواو العاطفة التي تفيد الجمع .

وعندما ذكر الأزهري قوله تعالى(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال إنَّ الزجاج يرى أنَّ " أو " أوكد من الواو في المعنى ، وهذا يدل على أنَّ الزجاج يرى أن " أو " ليست بمعنى الواو هنا ، ثم دلل الزجاج على كون " أو " أوكد من الواو في المعنى في هذا المقام : بأنَّ الواو ــ التي تفيد معنى الجمع ــ إذا سبقت بنهي نحو : " لا تطعْ زيدًا و عمرًا " فليس بالضرورة أنْ يجمعَ بين المعطوف عليه والمعطوف في عدم الطاعة ، وإذا أطاع أحدهما كان غير عاصٍ ؛ والحُجة عند الزجاج أنَّه أمره ألَّا يُطيع الاثنين ، ويرى الزجاج أيضًا أنَّ استعمال " أو "هنا أوكد ؛ لأنَّ " أو " حال استعمالها للإباحة مع النهي تدل أنَّ كلًّا من المعطوف عليه والمعطوف داخلان في النهي ، ومن ثَمَّ دلت " أو " على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما أهلٌ

---

١ ــ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري بتحقيق / محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ٢٠٠١ م : ١٥ /٤٧٢ ، ٤٧٣ بتصرف يسير.

لأنَّ يعصى بخلاف الواو ، وسيأتي الحديث فيما بعد عن مذهب الزجاج فيما يخص " أو " والواو .

و بعد تفسير ما ذكره الأزهري عن معاني " أو " وما أشار إليه من أقوال النحاة فيها أودُّ الإشارة إلى عدة نقاط تعليقًا على قول الأزهري السابق :

أولًا : فيما يخص ما نسبه الأزهري لثعلب من ذكره أنَّ " أو " عنده تأتي تخييرًا وشكًّا وتأتي أيضًا بمعنى (بل) و (الواو) و (متى) أودُّ القول : إنَّه برجوعي لكتاب(مجالس ثعلب) لم أجد هذا القول الذي نسبه إليه الأزهري عن معان " أو " ، وكل ما وجدته فقط هو أنَّ ثعلب قد نصَّ على أنَّ " أو " تأتي بمعنى " بل " فقط(١) .

ثانيًا : فيما يخص ما نسبه الأزهري لأبي زيد أودُّ الإشارة إلى أنَّه لم يتسن لي التأكد من صحة القول الذي نسبه الأزهري لأبي زيد ؛ إذ لم يتهيأ ليَّ سوى أنْ أطلعَ فقط على كتاب (النوادر في اللغة) لأبي زيد ولم أجد فيه هذا القول الذي نسبه إليه الأزهري ، ولعله قد صرَّح به في موضع آخر .

ثالثًا : وأمَّا عمَّا ذكره الأزهري من أنَّ الفراء قد أنشد قول الشاعر :

إنَّ بهَا أَكْتلَ أَو رِزَامَا خُويربان يَنْقُفَان الهامَا

دليلًا على مجيء " أو " بمعنى الواو ، فلم أجد في كتاب (معاني القرآن) للفراء أنّه قد ذكر هذا البيت شاهدًا على مجيء " أو " بمعنى الواو كما نسب إليه الأزهري ، ولعله استشهد به في موطن آخر غير كتابه(معاني القرآن) .

وأمَّا عمَّا نسبه الأزهري للفراء من أنَّه يرى أنَّ " أو " في قوله تعالى للشك من المخاطبين فبرجوعي لما ذكره الفراء عن معنى " أو " في هذه الآية وجدتُ الفراء لم يقلْ هذا القول ، وإنَّما قال إنَّ " أو " في الآية الكريمة معناها (بل) وقد نصَّ على ذلك في أكثر من موضع في كتابه(٢).

---

١ ــ ينظر : مجالس ثعلب : ١١٢.

٢ ــ ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٧٢ ، ٢ / ٣٩٣.

رابعًا : ما يخص ما ذكره الأزهري من أنَّ الزجاج يرى أنَّ " أو " أوكد من الواو في المعنى أقول : الزجاج قد نصَّ على هذا القول الذي نسبه إليه الأزهري في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) ؛ لأنَّ الزجاج يرى أنَّ " أو " لا تستعمل بمعنى الواو(١).

وبناء على ما سبق أقول : قول الأزهري السابق يدل دلالة صريحة على أنَّه ليس من القائلين باستعمال " أو " بمعنى الواو كما نُسِب إليه ، ويدل على ذلك أنَّه عندما ساق الشواهد التي استشهد بها القائلون بمجيء " أو " بمعنى الواو لم يقلْ إنَّه يرى أنَّ " أو " فيها بمعنى الواو كما نُسِب إليه ، وإنما ساق هذه الشواهد فقط ، ولو كان مؤيدًا لاستعمال " أو " بمعنى الواو لكان هذا المقام هو المقام المناسب لأنَّ يُصرِّح فيه بهذا ، وممَّا يدل على أنَّ الأزهري ليس من القائلين بأنَّ " أو" تستعمل بمعنى الواو أنَّه عندما ذَكَرَ قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) نجده قد ساق قول الزجاج ، والزجاج يرى أنَّ " أو " لا تستعمل بمعنى الواو ، و قال إنَّ الزجاج يرى أنَّ " أو " في الآية الكريمة أوكد في المعنى من الواو ، وكأن الأزهري قد ارتضى ما قاله الزجاج في الآية الكريمة ، بدليل أنَّه قد ذكر رأيه تعليقًا على الآية الكريمة ، دون أن يعلق عليه بأيّ شيء كما علق على قوله تعالى(وَإِنْ كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَآءَ) ، وذكر أن " أو " في الآية الكريمة بمعنى واو الحال .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّه برجوعي لكتاب (تهذيب اللغة) وكتاب (معاني القراءات) للأزهري لم أجده قد استشهد بهذه الشواهد التي نسبها إليه أبو حيان لاستعمال " أو " بمعنى الواو في هذين الكتابين .

وبناء على ما سبق أقول : إنَّ الأزهري ليس من القائلين باستعمال " أو " بمعنى الواو .

---

١ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٢٦٣.

العجيب في الأمر عندي أنَّ أبا حيان كما نسب للأزهري القول باستعمال " أو " بمعنى الواو ، ونسب إليه الاستشهاد على ذلك بالعديد من الشواهد مع أنَّه لم يقلْ بذلك ، نجد الأزهري نفسَه قد نسب للفراء و ثعلب أقوالًا لم يصرحا بها .

ثانيًا : مذهب البصريين ومن تبعهم في استعمال " أوْ " بمعنى الواو

ذهب البصريون ومن تبعهم إلى أنَّ " أو " لا تستعمل بمعنى الواو للجمع(١).

حجة البصريين : احتج البصريون ومن تبعهم لما ذهبوا إليه بأنَّ الأصل استعمال كلِّ حرفٍ فيما وُضِع له ؛ لئلا يُفضي إلى اللبس وإسقاط فائدة الوضع ، والأصل في " أو " أنْ تكون لأحد الشيئين على الإبهام ، بخلاف الواو فمعناها الجمع بين الشيئين ، وهو معنى مخالف لمعنى " أو " ، وكما قلنا الأصل في كل حرف ألّا يدل إلا على وُضِعَ له ، ولا يدلُ على معنى حرف آخر ؛ فنحن تمسكنا بالأصل ، ومَنْ تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ، ومَنْ عدل عن الأصل بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل ، ولا دليلَ لهم يدل على صحة ما ادعوه(٢) .

وقد احتج جماعة من البصريين وهم المبرد والزجاج وتبعهم النَّحَّاس وابن عصفور وأبو حيان بأنَّه لا يتأتي في " أو " في حال كونها للإباحة وقد أفادت الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الإثبات أو النفي أو النهي أنْ تكونَ بمعنى الواو ؛ لأنَّها في حال الإثبات لو صارت بمعنى الواو لدلت على وجوب الجمع ؛ لأنَّ الواو توجب الجمع ، بخلاف " أوْ " فهي لا توجبه حال الإثبات ، وأيضًا لا يتأتي في " أو " التي للإباحة ، والكلام معها في سياق النفي أو النهي أن تكون بمعنى الواو ؛ لأنَّ " أو " التي للإباحة في سياق النفي أو النهي تدل على

١ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٢٦٣ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩١ ، اللباب : ١ / ٤٢٤.
٢ ــ ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩٣ ، اللباب : ١ / ٤٢٤.

وجوب الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، بخلاف الواو فهي لا توجب الجمع(١) .

يقول المبرد : " هذا باب " أو " وحقها أنْ تكون في الشك واليقين لأحد الشيئين ثم يتسع بها الباب فيدخلها المعنى الذي في الواو من الإشراك على أنَّها تخص ما لا تخصه الواو.....والباب الذي يتسع فيه قولك : ائْتِ زيدًا أَو عمرًا أَو خَالدًا ،لم ترد : ائْتِ واحدًا من هؤلاء ، ولكنك أردت: إذا أتيتَ فَائتِ هذا الضرب من الناس ،كقولك: إذا ذكرت فاذكر زيدًا أو عمرًا أَو خالدًا ، فإذا نهيت عن هذا قلتَ: لَا تأتِ زيدًا أَو عمرًا أَو خَالدًا ، أىّ لَا تأتِ هذا الضرب من الناس ؛ كما قال الله ــ عزَّ وجلَّ ــ (وَلَا تُطِع مِنْهُم آثِما أَو كفورًا) ، والفصل بين (أو) وبين الواو أنَّكَ إذا قلت: اضْرِب زيدًا وعمرًا ، فإنْ ضرب أَحدهمَا فقد عصاكَ ، وإذا قالَ : (أَو) فهو مُطِيع لَك فى ضرب أَحدهما أَو كليهما وكذلكَ إذا قال : لَا تأت زيدًا وعمرًا ، فَأتى أَحدهمَا فليس بعاصٍ ، وإذا قال : " لا تأتِ زيدًا أَو عمرًا " فليس لَه أَنْ يأتيَ وَاحدًا منهما ، فتقديرها فى النهى: لَا تأت زيدًا ولَا عمرًا، وتقديرها فى الإيجاب : ائْتِ زيدًا وإن شئتَ فَائتِ عمرًا معه "(٢) .

وقال الزجاج : " قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)" أو" ههنا أوكد من الواو ، لأنَّ الواو إذَا قُلتَ :" لا تطع زيدًا وعَمرًا " فأطاع أحدهما كان غير عاصٍ ، لأنَّه أمره ألَّا يطيع الاثنين ، فإذا قالَ (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) " أو " قد دلت على أنَّ كلَّ واحد منهما أهل لأنَّ يعصى، وكما أنَّك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين ، أو: اتبع الحسن أو ابن سيرين ، فقد قلت: هذان أهل أنْ يُتبَعَا ، وكلٌّ واحد منهما أهلٌ "(٣) .

١ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٢٦٣ ، إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس : ٥ / ٦٩ ، شرح الجمل الكبير لابن عصفور : ١/ ٢٣٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٥ ، مغني اللبيب : ١ / ٧٦.

٢ ــ المقتضب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ بتصرف يسير.

٣ ــ معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٢٦٣.

المؤيدون لمذهب البصريين ومن تبعهم :

أيَّد الفارسي ما ذهب إليه البصريون وقال إنَّ " أو " لا تستعملُ بمعنى الواو ، حتى حال كونها في الإباحة للجمع بين الشيئين فليس لكونها بمعنى الواو، وإنما جاز له الجمع في نحو : " جالِس الحسنَ أو ابنَ سيرين " بين مجالستهما من حيث كان كلٌّ واحدٍ منهما مجالسته بمعنى مجالسة الآخر ، وليس من حيث كانت " أو " بمعنى الواو(١) .

كما أيَّد الزجاجي والنحَّاس والرماني وابن جني في أحد قوليه والصيمري وأبو البركات الأنباري و العُكبري وابن يعيش وابن عصفور وأبو حيان وناظر الجيش مذهب البصريين .

وهنا أودُّ القول إنَّ تأييد الزجاجي والرماني والصميري وابن يعيش وأبي حيان تمثل في حملهم الشواهد التي استشهد بها الكوفيون على أوجه أُخرى غير كون " أو" فيها بمعنى الواو(٢).

وأمَّا تأييد ابن جني في أحد قوليه فقد تمثل في أنَّه نصَّ على أنَّ " أو " إنَّما أصل وضعها أنْ تكونَ لأحد الشيئين أين كانت وكيف تصرفت ، فهي باقية على ذلك ، وهذا يدل صراحةً على أنَّ " أو " عنده لا تفيد الجمع ، وممَّا يؤكد هذا أنَّه أخذ في الرد على الشواهد التي استشهد بها الكوفيون على مذهبهم وخرَّجها على أوجه أخرى(٣)، وسيأتي الحديث عن مذهب ابن جني تفصيلا فيما بعد .

وقد تمثل تأييد ابن عصفور في ردِّه صراحة لما استشهد به الكوفيون وتخرِّيجه له على أوجه أخرى كما سيأتي(٤)، وهذا يدل على رفضه لمذهب الكوفيين وتأييده لمذهب البصريين .

---

١ ــ ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٤ / ٥٣.

٢ــ ينظر : حروف المعاني والصفات للزجاجي : ٤٨ ، ٥١ ، معاني الحروف للرُّماني : ٧٧ ـــ ٧٩ ، التبصرة والتذكرة : ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ ، شرح المفصل : ٨ / ٩٩ ، ١٠٠، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩ ، ١٤٠.

٣ ــ ينظر : الخصائص : ٢ / ٤٥٩ ــ ٤٦٣.

٤ ــ ينظر : شرح الجمل : ١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦.

وقد أيَّد النحاس وأبو البركات الأنباري والعكبري مذهب البصريين صراحة(١) .

وتمثل تأييد ناظر الجيش في ردِّه لما استدل به ابن مالك على مجيء " أو " بمعنى الواو(٢) .

ولعدم إجازة البصريين ومن تبعهم لاستعمال " أو " بمعنى الواو قاموا بتخريج ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من شواهد رأوا أنَّ " أو " اُستُعملت فيها بمعنى الواو :

فذهب سيبويه إلى أن " أو " في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) بمعنى " ولا " فقال : " وإذا أرادوا معنى أنك لست واحدًا من عمرٍو أو بشرٍ قالوا : لست عمرًا ولا بشرًا ، أو قالوا: أو بشرًا ، كما قال الله عزَّ وجل:(وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)(٣).

فسيبويه يرى أنَّه عند إرادة نفي الحكم عن الجميع إمَّا أنْ نفصلَ بين كلِّ واحدٍ منهم بـ " ولا " ،أو نأتي بـ " أو " بدلًا من "ولا " ، وقد استشهد سيبويه على ذلك بالآية السابقة ، وهذا يعنى أنَّ " أو " عنده في الآية بمعنى " ولا " ، ومعنى الآية على هذا عنده : (ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا) .

وقد تبع النحَّاس سيبويه فيما ذهب إليه في معنى الآية السابقة(٤) .

وذهب المبرد وابن السراج والزجاجي في أحد قوليه والرماني وابن جني وأبو البركات الأنباري وابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وابن يعيش إلى أنَّ " أو" في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ليست بمعنى

---

١ ــ ينظر : إعراب القرآن لأبي جعفر النحَّاس : ٥ / ٦٩ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩٥ ، اللباب : ١ / ٤٢٤.

٢ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٢.

٣ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٨.

٤ ــ ينظر : إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس : ٥ / ٦٩.

الواو كما ذهب الكوفيون ومن تبعهم ، وإنَّما هي للإباحة وقد سُبقت بنهي ، وإذا نهيت عن المباح فإنَّ النهي يستوعب جميع ما كان مُباحًا(١) .

وللزجاجي رأي آخر لـــ " أو " في الآية الكريمة وهو كونها للإبهام(٢) .

ولي تعليق على ما ذكره الزجاجي من كون " أو " في الآية الكريمة للإبهام وهو : أنَّ الإبهام ي إنَّما يُعني : أنْ يكونَ المتكلم عالمًا بحقيقة الأمر غير شـــاكٍ ولا مترددٍ فيه ؛ ولكنه يُبْهِم على المخاطب(٣) .

وعلى هذا فمعنى الآية ــ والله أعلم ــ على القول بكون " أو" للإبهام : أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عالمٌ أنَّ واحدًا منهما هو المقصود بعد الطاعة ، ولكنه أبهـــم علـــى المخاطبين ، وأمَّا الآخر فغير مقصودٍ بعدم الطاعة ، وهذا المعنـــى لا يمكـــن أنْ يكونَ هو المراد من الآية الكريمة ؛ إذ جميع من تكلم في الآيـــة مـــن النحـــاة لا يخرج تفسيره للآية عن أنَّ المراد : لا تطع الآثم والكفور ، وإن لم تتفق كلمتهم على المعنى المقصود من " أو " في الآية الكريمة ، وسيتضح لنا هذا من خـــلال عرض الأقوال المختلفة في الآية الكريمة .

رأي الرضي في معنى " أو " في قوله تعالى (وَلا تُطِـــعْ مِـــنْهُمْ آثِمًـــا أَوْ كَفُورًا):

مع أنَّ الرضي قد أجاز استعمال " أو " بمعنى الواو في بعـــض المواضـــع فقال : " ولما كثُر استعمال" أو " في الإباحة التي معناها جـــواز الجمـــع ، جـــاز استعمالها بمعنى الواو "(٤) .

---

١ ــ ينظر: المقتضب : ١ / ١١ ، الأصول في النحو : ٢ / ٥٦ ، حروف المعاني والصفات للزجـــاجي : ٥١ ، معاني الحروف للرُّماني : ٧٧ ، الخصائص :١/ ٣٤٩ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩٥ ، تمهيد القواعـــد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش بتحقيـــق مجموعـــة مـــن الأساتذة ، دار السلام ــ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٨ هـــ ــ ٢٠٠٧ م : ٧ / ٣٤٧٢ ، ٣٤٧٣ ، شرح المفصل لابن يعيش : ٨ / ١٠٠.

٢ ــ ينظر : حروف المعاني والصفات للزجاجي : ٤٨.

٣ ــ ينظر : توضيح المقاصد : ٢ / ١٠٠٩ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٣٢.

٤ ــ شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢٣.

أقولُ : مع هذا نجد الرضي قد فسَّر قوله تعالى(وَلا تُطِعْ مِـنْهُمْ آثِمًـا أَوْ كَفُورًا) على أنَّ " أو " ليست بمعنى الواو ، وليست عنده أيضًا للإباحة كما ذهـب غيره ، بل ذهب إلى رأيٍ مغايرٍ وقال : " إنَّ نحو قولنا : " لا تضربْ زيدًا أو عمرًا " يقتضي القياسُ أنْ يكونَ معناه : لا تضربْ أحدَهما واضربْ الآخر .....، وهذا القياس هو مقتضى أصل الوضع ، ثم بعد ذلك جرت عادتهم أنَّه إذا اُستُعمل لفظ " أحد " أو ما يؤدي معناه في الإثبات فمعناه : الواحد فقط ، وإذا اُسْتُعْمِل في غير الموجب ، فمعناه العموم في الأغلب ، ويجوز أنْ يُرادَ الواحدُ فقـط أيضًـا ، وتفسير ذلك : أنَّكَ إذا قلت في الموجب مُصرِّحًا بالواحد : " رأيتُ واحدًا من زيـدٍ وعمرٍو " مثلًا ، وكذلك فيما يؤدي معنى الواحد نحو : " رأيتُ رجلًا منهما " ، أو " رأيت زيدًا أو عمرًا " فإنَّ كلَّ واحدٍ من الألفاظ الثلاثة أفادَ أنَّكَ رأيتَ واحدًا منهما فقط ، وإذا قلت في غير الموجب : " " ما رأيت واحدًا منهما " ، أو " مـا رأيـتُ رجلًا منهما " ، أو " ما رأيت زيدًا أو عمرًا " فإن كلَّ واحدٍ من الألفاظ الثلاثة وإنْ احتمل أَنْ تُريد به الواحد فقط فيكون المعنى : ما لقيتُ واحدًا منهما ولقيت الآخر، لكن الأظهر والأغلب في الاستعمال أَنْ يكون المرادُ ما لقيتُ واحدًا منهما ، فكيف بما فوق الواحد ؟ أي أَنَّ المرادَ نفي رؤيتهما كليهما ، وإنَّما كان كذلك لأنَّ الأصل عدم الرؤية ، فإذا قلت : " لقيتُ واحدًا منهما " ، أو ما يؤدي معناه نحو : " لقيتُ زيدًا أو عمرًا" ، فقد أخرجت واحدًا منهما ممَّا كان أصلَه ، أيّ : عـدم الرؤيـة ، فيبقى الآخرُ على أصلِه ، أيّ غير مرئيٍّ ، وإذا قلت : " ما لقيتُ واحدًا منهما " ، أو ما يؤدي معناه وهو : " ما لقيت زيدًا أو عمرًا " والأصل عدم الرؤيـة ، ولـم يُصرَّح فيه إلا بعدم رؤية واحد منهما ، فبقاء الآخرَ على أصله من عدم الرؤيـة أولى ، فيكون نفيًا لمطلق الرؤية .

وإذا تقرر هذا ظهر لنا علة قولهم : إن النكرة في غيـر الواجـب تفيـد العموم في الأغلب ، وذلك أَنَّ النكرةَ تفيد الوحدة ، والوحدة في غير الموجب تفيد العموم في الأغلب كما مضى.....فظهر أنَّ معنى: " ما رأيـتُ زيـدًا أو عمرًا " : ما رأيتُ زيدًا ولا عمرًا ، في الأظهر ، وكذا معنى : " لا تضربْ زيدًا أو

عمرًا " ؛ ويحتمل احتمالًا مرجوحًا : لا تضربْ أحدهما واضربْ الآخرَ ، وينـــدفع هذا الاحتمال بمثل القرينة التي في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ؛ إذ لا يجوز أنْ يُريدَ : لا تطع واحدًا منهما وأطِع الآخر ، لقرينة الإثم والكفر ، ولفظة " أو " في جميع الأمثلة موجبة كانت أو لا مفيدة لأحد الشيئين أو الأشياء ، ثـــم معنى الوحدة في غير الموجب يُفيدُ العموم ، فلم تخرج " أو " مع القطع بـــالجمع في الانتهاء في نحو : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) عن معنى الوحدة التي هي موضوعة له "(١) .

وبناء على ما سبق فالرضي يرى أنَّ " أو " لم تخرج في الآية السابقة عن أصل وضعها ، وهو كونها لأحد الشيئين أو الأشياء ، وإنَّما أفـــادت فـــي الآيـــة الكريمة معنى الجمع بين الآثم والكفور في عدم الطاعة من وجه خارجٍ عن معنى " أو " نفسها وهو ما صرَّح به الرضي : من أنَّ معنى الوحدة في غير الموجـــب تفيد العموم في الأغلب ، والنكرة في الآية الكريمة قد وقعت في سياق غير موجب ، وعلى هذا فمعنى الآية : لا تطع واحدًا منهما بعموم النهي عنهمـــا معًـــا ، ولا يمكننا أنْ نقولَ في الآية الكريمة : إنَّ المراد عموم النهي عـــن طاعتهمـــا علـــى الأغلب ؛ لوجود قرينة تجعل العمومَ أمرًا قطعيًا ، وليس على الأغلـــب ، وهـــذه القرينة هي الإثم والكفر ؛ إذ لا يجوز أنْ يكونَ المعنى : لا تُطـــع واحـــدًا منهمـــا وأطِع الآخر ، وعلى هذا فليس لـــ " أو " علاقة بكون النهي عن الطاعة في الآية جمع بين الآثم والكفور ، وإنَّما هو لأمر خارج عن " أو "، وهذا هـــو مـــا يـــراه الرضي في الآية الكريمة .

وقد أيَّد المرادي كون " أو " في الآية بمعنى الإباحة فقال: " والتحقيق أنَّ " أو " في قوله تعالى " أو كفورًا " هي التي كانت للإباحة ، فإنَّ النهي إذا دخل فـــي الإباحة استوعب ما كان مباحًا باتفاقٍ "(٢) .

وبالرغم من أنَّ ابن القواس قد أيَّد كون " أو " بمعنى الواو في قول الشاعر :

---

١ ــ شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢٤ ــ ٤٢٦ بتصرف.

٢ــ الجنى الداني : ٢٣١.

فَلوكَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًـا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

والذي يرى الكوفيون ومن تبعهم أنَّ " أو " قد جاءت فيه بمعنى الواو .

إلا أنَّه رَدَّ ما ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم من كون" أو " بمعنى الواو في الآية السابقة وقال إنَّ معنى الآية :" لا تطع أحد هذين ، وإذا منع من طاعة كلٍّ واحد منهما على انفراده ، وأحدهما يصدق على كلٍّ واحد منهما ، لزم منه امتناع طاعتهما "(١) .

فابن القواس يجعل" أو " في الآية على أصل وضعها ، وهو كونها لأحد الشيئين ، ولكنَّ ابنَ القواس يجعل الجمع بين الآثم والكفور في عدم الطاعة والذي يدل عليه معنى الآية لأمرٍ خارج عن" أو "، وهذا الأمر هو كون العلة التي جعلته لا يطعْ أحدهما موجودة أيضًا في الآخر، لذا يلزم منه امتناع طاعتهما معًا.

كما ردَّ البصريون ومن تبعهم على ما احتج به الكوفيون ومن وافقهم من مجيء " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ) و قوله تعالى(وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ) .

فقال أبو حيان ــ وهو من المؤيدين لمذهب البصريين ــ: و لا حُجَّةَ في شيءٍ من ذلك على أنَّ" أو" بمعنى الواو في الآيتين؛ لأنَّ "أو" في فيهما للإباحة"(٢) .

بينما ذهب ناظر الجيش ــ وهو أيضًا من المؤيدين لمذهب البصريين ــ إلى أن معنى " أو " في هاتين الآيتين الشريفتين للتنويع أيّ : التقسيم ، وذكر أنَّ الإباحة فيهما إنَّما هي مستفادة من الشرع الشريف ، والمقصود إنَّما هو ذكر الإباحة اللغوية التي تستفاد من الكلام(٣) .

١ــ شرح ألفية ابن معط لابن القواس : ١ / ٧٨٢.
٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩.
٣ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٠.

كما ردَّ البصريون ومن تبعهم على ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من مجيء " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى(عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) فذهب ابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وأبو حيان إلى القول بأنَّ " أو " في الآية الكريمة للتفصيل ؛ لأنها فصَّلت الذكر إلى ما هو عُذر أي : حُجَّة ، وإلى ما هو نُذر أي : تخويف(١) .

وقد ردَّ ابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وأبوحيان ما ذهب إليه الكوفيون من كون " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى(لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخشَى) ،وقوله تعالى (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) وذهبا إلى القول بأَنَّ " أو" فيهما للإباحة، وعللا ذلك بأنَّ المُترجِّي طالب وقوع أحد الأمرين: التذكر وهو التوبة، أو الخشية والاتقاء؛ لما في كلٍّ واحدٍ منهما من الانكفاف عن الكفر أو مجموعهما؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الانكفاف ، والترجي في الآيتين مصروف إلى البشر(٢) .

كما رد ابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وأبوحيان ما ذهب إليه الكوفيون من كون " أو" بمعنى الواو في قوله تعالى(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) وذهبا إلى القول بأنَّ " أو " فيهما للإباحة ، وكأنه قيل : شَبِّه مثل المنافقين بأحد هذين المثلين المضربين لهما في الآية تكنْ مصيبًا(٣).

وهنا أودُّ القول إنَّني لم أجدْ في كتاب (شرح الجمل) لابن عصفور هذه الأقوال التي نسبها إليه ناظر الجيش ، والتي ذكر فيها رَدَّ ابن عصفور لمجيء " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى(وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)، وقوله تعالى (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) وقوله تعالى (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخشَى)، وقوله تعالى (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)، وقوله تعالى(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)، وهذا لا يعني أنَّني أشك في نسبتها لابن عصفور؛ لأنَّ ابن عصفور من المؤيدين لمذهب البصريين كما بيَّن هو في كتابه (شرح الجمل الكبير) ، ولكن لعله صرَّح بالرد على ما استشهد به الكوفيون في موضع آخر غير كتابه(شرح الجمل الكبير) .

---

١ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩.
٢ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٩ ، ١٤٠.
٣ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠.

كما رد البصريون ومن تبعهم على ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من كون " أو " بمعنى الواو في قول الشاعر :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

بأنَّ الرواية في البيت إنَّما هي : " ونصفه فقد " بالواو ؛ وعلى هذا فلا شاهد للكوفيين في البيت، وعلى افتراض صحة الرواية فـ " أو" باقية على أصلها، ولكنها للشك، والتقدير: ليتما هذا الحمام أو هو ونصفه ، فحذف المعطوف عليه وحرف العطف وهو الواو، كقوله تعالى (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ)(١) أي: فضرب فانفجرت، ولا يبعدُ شكُّ النابغة فيما قالتْ فتاةُ الحيِّ ، ولا يقدح في هذا التأويل رواية من رواه بالواو لاحتمال أنْ يكون شاكًا إلا أنَّه أخبر بما غلب على ظنه في هذه الرواية ، وصرَّح بشكِّه في الرواية الأُخرى(٢).

كما رد البصريون ومن تبعهم على ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من كون " أو" بمعنى الواو في قول الشاعر :

أَلَا فالبَثَا شَهْرَينِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكما ما غَيَّبَتَنِي غِيَابِيَا

فقال السيرافي : " المعنى : فالبثا شهرين أو شهرين وبعض ثالث ، كأنه قال : شهرين أو أكثر من شهرين على جهة التخيير ، كأنه قال : البثا أيَّ الوقتين شئتما من شهرين أو أكثر ، ودل بقوله : " أو بعض ثالث " على أكثر من شهرين ؛ لأنَّه لا يمكنهما لبث بعض ثالث إلا بلبث شهرين قبله "(٣) .

وقال ابن جني ــ وهو من المؤيدين لكون " أو " في البيت السابق ليست بمعنى الواو ــ : " أي: شهرين أو شهرين ونصف ثالث ، ألا تراك لا تقول مبتدئًا : لبثتُ نصفَ ثالثٍ ؛ لأَنَّ ثالثًا من الأسماء المضمنة بما معها ، ودعانا إلى هذا التأوّل السعي في إقرار هذه اللفظة على أول أحوالها "(٤) .

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٦٠.
٢ــ ينظر : الخصائص : ٢ / ٤٦٢ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٥.
٣ ــ شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٣٤.
٤ ــ الخصائص : ٢ / ٤٦٢.

وعلى ما ذكره السيرافي وابن جني يكون قد حُذِف من البيت السابق المعطوف عليه(شهرين) وحرف العطف وهو الواو(١).

كما ردَّ أبوعلي الفارسي ما استشهد الكوفيون ومن تبعهم من قول الشاعر:

وكانّ سِيّان ألا يَسْرحُوا نَعَمًا أو يَسْرَحُوه بها واغْبَرَّتِ السُّوحُ

فقال الفارسي : " إنَّما حَسُن له استعمال " أو " ، مع أنَّه لا يجوز " سيّان " لأحدهما لما رأى : "جالِس الحسنَ أو ابن سيرين " ؛ فيجوز له أنْ يجمع بين مجالستهما "(٢) .

فالفارسي يرى إنَّ الشاعر لما وجد " أو " في الإباحة تستعمل للجمع ، آنسه ذلك أنْ يستعملها في البيت لمعنى الجمع ، كما جاز فيها ذلك حال كونها للإباحة ، وليس من حيث كون " أو " بمعنى الواو(٣) .

كما ردَّ البصريون ومن تبعهم ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من قول الشاعر :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاها أَوْ عَلَيْهَا فُجورُها

فذهب السيرافي و الصيمري وأبو حيان إلى أنَّ " أو " ليست بمعنى الواو ، ولكنها لأحد الشيئين وقد جاءت للإبهام ؛ لأنَّ الإنسان إمَّا أنْ يكون تقيًا فله تقاه، وإمَّا أنْ يكونَ فاجرًا فعليه فجوره ، وكل إنسان قد علم ما حاله أهو تُقًى أم فجور(٤) .

كما ردَّ السيرافي والصيمري وابن يعيش وابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من قول الشاعر :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَا مِنْ رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ

---

١ ــ ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٥.
٢ ــ الحجة للقراء السبعة : ٤ / ٥٣ ، ٥٤.
٣ ــ ينظر : الحُجة للقراء السبعة : ٤ / ٥٣ ، ٥٤ ، الإيضاح لأبي علي الفارسي : ٢٢٢ ، ٢٢٣.
٤ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣ /٤٣٣ ، التبصرة والتذكرة : ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠.

وذهبوا إلى القول بأنَّ " أو " فيه للإبهام ؛ لأنَّ لُبيد قد علم أنَّه من مُضَـر وليس من ربيعة ، وإنَّما أراد من إحدى هاتين القبيلتين أفنى كما فَنَوْا(١) .

كما ردَّ السيرافي و ابن عصفور وأبو حيان ما احتج به الكوفيـون ومـن تبعهم من قول الشاعر :

فَلوكَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًـا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

فذهب السيرافي إلى أنَّ " أو" في البيت لإفراد كل واحدٍ منهما في حال أي: بكيت على بجير في حال ، وعلى عفاق في حال(٢) .

وقد ذهب أبو حيان إلى نفس المعنى الذي ذكره السيرافي فقال : " إنَّ " أو " في البيت لإثبات أحد الشيئين في وقت دون وقت ، وكأنه قال : بكيت على بجير مرة وعلى عفاق أخرى "(٣) .

وذهب ابن عصفور إلى القول بأنَّ " أو" في البيت للتفصيل ، وكأنه قـال بكيت على بجير تارة وعلى عفاق تارة أخرى ، ثم فصَّل بكاؤه على بجيـر مـن بكائه على عفاق(٤) .

كما ردَّ أبو حيان ما احتج به الكوفيون ومن تبعهم من قول الشاعر :

جَاءَ الخِلافَةَ أَوْ كانتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتى رَبَّهُ مُوسى على قَدَرِ

فقال : إنَّ "أو " في البيت للشك فكأنه قال : نـال الخلافـة لمـا أرادهـا لاستحقاقه لها ، أو قُدِرت له من غير إرادة لها ولا طلب ، اعتناءً من الله تعـالى به ، على أنَّ الرواية المشهورة : إذ كانت له قدرًا(٥) .

كما أبطل البصريون ومَنْ تبعهم ما احتج به الكوفيون من قول الشاعر :

إنَّ بها أكتلَ أو رِزاما خُوَيْرِبَين ينقُفان الهَامَا

١ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٢٨ ، التبصـرة والتـذكرة : ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ ، شرح المفصل : ٨ / ٩٩ ، ١٠٠ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٦٦ ، ٣٤٦٧.

٢ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٣٤.

٣ ــ التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠.

٤ ــ ينظر : شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٣٥.

٥ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٤٠.

فقال الخليل إنَّ " خُوَيْرِبين " نصبٌ على الشتم(١) .

وبناء على ما ذكره الخليل يكون التقدير : أَذُمَ خُوَيْرِبَين .

وقال المبرد معلقًا على البيت السابق : " فإنَّه إنَّما ذكر واحدًا لقوله " أو "، ولو أراد الحال لقال : خُوَيْرِبًا ، ولكنه على" أعني" ، ولو رفعه على" هما " لكان جيدًا "(٢) .

وعلى هذا فالمبرد يرى أنَّ " خُوَيْرِبَين" نصبٌ بتقدير :" أعني " .

وبعد عرض مذهب البصريين وردِّهم لمذهب الكوفيين أودُّ القول : إنَّ الذين نسبوا للبصريين القول بأنَّ " أو " لا تكون بمعنى الواو قد نسبوا هذا القول للبصريين عامة ، ومع هذا فإنَّ من نحاة البصرة من أجاز مجيء " أو " بمعنى الواو ، وقد استدل على ذلك بشواهد ذكرها الكوفيون فيما بعد تأييدًا منهم لصحة مذهبهم ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ــ وهو مَنْ هو في مدرسة البصرة ــ وفيما يلي بيان مذهب الخليل بن أحمد :

مذهب الخليل في استعمال " أو " بمعنى الواو :

برجوعي إلى كتاب(الجمل في النحو) للخليل وجدته قد ذكر أنَّ " أو " تأتي بمعنى الواو فقال : " الواو التي تتحول " أو " مثل قول الله عزَّ وجلَّ (أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ)(٣) معناه : وآباؤنا الْأَولونَ ،ومثله (وَلَا تُطِع مِنْهُم آثِما أَو كفورا) معناه : لا تطعْ منهم آثمًا ولا كفورًا ، ومنه قول جرير:

نَالَ الْخَلَافَةَ أَو كَانَت لَهُ قدرا كَمَا آتى ربه مُوسَى على قدر

أَي : و كانت .

وأمَّا قوله تعالى (وَلَو أَن قُرْآنًا سيرت بِهِ الْجبَال أَو قطعت بِهِ الأَرْض أَو كلم بِهِ الْمَوْتَى)(٤) وما كان من هذا النحو فـ " أو " حرف من حروف النسق، وليس بمعنى الواو ، ومعنى الواو قول النابغة :

---

١ ــ ينظر : الكتاب : ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، أمالي ابن الشجري : ٣ / ٧٦ ، مغني اللبيب : ١ / ٧٥.

٢ ــ المقتضب : ٤ / ٣١٥.

٣ ــ سورة الصافات آية ١٦ ، ١٧.

٤ ــ سورة الرعد من الآية : ٣١.

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

أي : ونصفه " (١) .

وبالنظر في قول الخليل السابق نجد أنَّه عندما تحدث عن" أو " قسَّمها إلى أقسام :

القسم الأول : هو " أو " التي هي في الأصل الواو وقد دخل عليها همزة الاستفهام وقد ذكر شاهدًا على ذلك قوله تعالى(أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) ، فنجد أنَّ " أو " في الآية الكريمة هي الواو التي دخل عليها همزة الاستفهام ، فتحولت في الشكل كـ " أو " ، ثم مثَّل لهذا القسم بشاهدين آخرين وهما قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِما أَو كفورا) ، وقول الشاعر :

نَالَ الْخِلَافَةَ أَو كَانَت لَهُ قدرا كَمَا آتى ربه مُوسَى على قدر

والواقع أنَّ " أو " في الآية الكريمة وبيت الشعر اللذين استشهد بهما الخليل على نفس القاعدة ليست كـ " أو " التي في الآية الأولى، و إنَّما " أو " فيهما هي " أو " التي هي من حروف العطف ، وليست هي الواو التي تتحول إلى " أو " في الشكل بدخول همزة الاستفهام عليها ، ولم أجدْ غير الخليل ــ فيما تهيأ لي من الاطلاع ــ مَنْ قال بهذا القول في الآية و البيت السابقين .

وهنا أمرٌ أودُّ الإشارة إليه وهو أنَّ قول الخليل إنَّ " أو " في الآية والبيت السابقين أصلها الواو ، ثم دخلت عليها همزة الاستفهام وتحولت إلى " أو " ، يدل على أنَّه يرى أنَّ " أو" فيهما تدل على معنى الجمع بين ما قبلها وما بعدها ،كما هو الحال في الواو ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم حين جعلوا "أو" في قوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِما أَو كفورا) ، وقول الشاعر:

نَالَ الْخِلَافَةَ أَو كَانَت لَهُ قدرا كَمَا آتى ربه مُوسَى على قدر

بمعنى الواو .

القسم الثاني : هو " أو " التي هي على أصل معناها لأحد الشيئين أو الأشياء وقد مثَّل لهذا القسم بقوله تعالى (وَلَو أَن قُرْآنًا سيرت بِهِ الْجِبَال أَو قطعت

١ ــ ينظر : الجمل في النحو : ٣٠٦ ، ٣٠٧.

بِهِ الأَرْض أَو كلم بِهِ الْمَوْتَى) ، وذكر الخليل أنَّ " أو " في الآية الكريمة حرفٌ من حروف النسق ، وليست بمعنى الواو ، وهذا يدل أيضًا على أنَّ " أو" عنده تأتي بمعنى الواو .

القسم الثالث : هو " أو " التي بمعنى الواو وذكر بيت النابغة :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

شاهدًا على استعمال " أو " بمعنى الواو ، وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ الخليل قد أجاز استعمال " أو " بمعنى الواو في بعض الشواهد .

وبناء على ما سبق يكون الخليل قد جعل " أو " بمعنى الواو في قوله تعالى(وَلَا تُطِع مِنْهُم آثِما أَو كفورا) ، وفي قول الشاعر:

نَالَ الْخِلَافَة أَو كَانَت لَهُ قدرا كَمَا آتى ربه مُوسَى على قدر

وفي قول النابغة :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

وبذلك يكون الخليل ممَّن أجازوا استعمال " أو " بمعنى الواو ، وليس من المانعين لذلك ، و وبذلك يكون ما نُسِب للبصريين عامة من منع مجيء " أو " بمعنى الواو فيه نظرٌ .

ثالثاً : مذهب ابن جني في استعمال" أو " بمعنى الواو :

لابن جني في استعمال " أو " بمعنى الواو قولان :

<u>القول الأول : جواز استعمال " أو " بمعنى الواو :</u>

قال ابن جني في كتابه (الخصائص) في باب " في تدريج اللغة " : " وذلك أنْ يشبه شيءٌ شيئًا من موضع فيمضى حكمه على حكم الأول ثم يرقى منه إلى غيره ، فمن ذلك قولهم : " جالس الحسن أو ابن سيرين " ولو جالسهما جميعًا لكان مصيبًا مطيعًا ، لا مخالفًا ، وإنْ كانت " أو " إنَّما هي في أصل وضعها لأحد الشيئين ؛ وإنَّما جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء رجع إلى نفس " أو " ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى "أو " ؛ وذلك لأنَّه قد عرف أنَّه إنَّما رغب في مجالسة الحسن لما لمجالسه في ذلك من الحظ ، وهذه الحال

موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضًا ، وكأنَّه قال: جالس هذا الضرب من الناس، وعلى ذلك جرى النهي في هذا الطرز من القول في قول الله سبحانه: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} وكأنه –والله أعلم– قال: لا تطع هذا الضرب من الناس ، ثم إنَّه لما رأى " أو " في هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرج من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو في موضع عارٍ من هذه القرينة التي سوغته استعمال " أو " في معنى الواو ألا تراه كيف قال :

وكانّ سِيّان ألا يَسْرحُوا نَعَمًا أو يَسْرَحُوه بها واغْبَرَّتِ السُّوحُ

وسواء وسيان لا يستعمل إلا بالواو .

وعليه قول الآخر:

فسيَّان حَرْبٌ أَو تَبُوءَ بِمِثْلِه وَقَدْ يَقْبَلُ الضَّيمَ الذَّليلُ المسَيَّرُ (١)

أي : فسيَّان حرب وبواؤكم بمثله ، كما أنَّ معنى الأول : فكان سيان ألا يسرحوا نعما وأنْ يسرحوه بها ، وهذا واضح" (٢) .

وبإمعان النظر في قول ابن جني السابق نجد أنَّه يتحدث عن تدرج اللغة وذكر أنَّ من ألفاظ اللغة ما يجري عليه التدرج من معنى إلى آخر وقد مثَّل لذلك بعدة أمثلة ، و ذكر أنَّ منها " أو " فهو يرى أنّها قد تدرج معناها من موضع إلى آخر ، ولبيان ذلك قال : إنَّ " أو " حال استعمالها للإباحة يجوز معها الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ لما في الجمع بينهما من فائدة عظيمة ؛ ولذا يقول إنَّ : معنى الجمع لا لنفس " أو " ؛ لأنَّها لأحد الشيئين ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى " أو " ، ألا و هي الحظ الوافر الذي يناله المخاطب من الجمع

---

١ ــ من الطويل ولم أعثر على قائله والبيت في : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده : ٨ / ٦٣٩ ، لسان العرب : ١٤ / ٤١٢ ، تاج العروس : ٣٨ / ٣٢٨.

- اللغة : تبوء : تجازي أي : تقتل بقتيل ، الضيم : الطلم والإذلال.
- المعنى : لا فرقَ عندي أنْ تعلن عليَّ حربًا أو تخضع لي وتمكنني من قتل مماثلٍ لقتيلي ، وقد يقبل الذليل أنْ يظلم ، ولستُ أنا كذلك.
- والشاهد قوله : " فسيَّان حرب أو تبوءوا " حيث استعملت " أوْ " بمعنى الواو ؛ لأنَّ " سيان " لا يستعمل إلا بالواو ، والمعنى : فسيان حرب وبواؤكم بمثله.

٢ ــ الخصائص : ١ / ٣٤٩ ، ٣٥٠.

بين المعطوف والمعطوف عليه معًا ، ثم يقول ابن جني إنَّ " أو " قد ارتقت من معنى الجمع الذي كانت تدل عليه حال استعمالها للإباحة مع قرينة إلى معنى الجمع مطلقًا في غير الإباحة وبدون قرينة ، وساق ابن جني شاهدين على استعمال " أو " لإفادة معنى الجمع كالواو دون أنْ تكون " أو " للإباحة ، وعلل ابن جني لذلك الاستعمال بأنّهَ يُعد من باب تدرج اللغة ، فـ " أو " قد تدرجت في دلالتها على معنى الجمع فبدأت تدل على معنى الجمع كالواو حال استعمالها للإباحة فقط ، ثم ارتقت وصارت تستعمل لمعنى الجمع كالواو مطلقًا في الإباحة وغيرها .

وبناء على ما ذكره ابن جنى في كلامه السابقه يكون بذلك من المجيزين لاستعمال " أو " بمعنى الواو للجمع في الإباحة و في غير الإباحة .

القول الثاني لابن جني : " أو " لا تخرج في الاستعمال عن كونها لأحد الشيئين أينما وقعت :

قال ابن جني في كتابه(اللمع في العربية) : أين وقعت " أو " فهي لأحد الشيئين " (١) .

قال ابن الخبَّاز تعليقًا على قول ابن جني السابق:" يشير به إلى الخلاف ؛ لأنَّ الكوفيين يذهبون إلى أنَّها تكون بمعنى الواو"(٢) .

وبالنظر في قول ابن جني السابق ، وفيما ذكره ابن الخبَّار تعليقًا على كلام ابن جني نجد أنَّ كلام ابن جني هنا يدل على أنَّ " أو " لا تخرج عن أصل معناها وهو كونها لأحد الشيئين في أيِّ موضعٍ جاءت فيه ، وفي هذا إشارة من ابن جني ــ كما ذكر ابن الخبَّاز ــ إلى أنَّ " أو " لا تكون بمعنى الواو .

وقد فسَّر ابن جني نفسُه ما أراده هنا في كتابه (اللمع في العربية) في كتابه (الخصائص) حين قال : " باب في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأُول ، ما

١ــ ينظر : اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني بتحقيق د / فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ــ الكويت ، (د. ت) : ٩٢.

٢ــ توجيه اللمع لابن الخبَّاز بتحقيق أ. د/ فايزة زكي، دار السلام ــ القاهرة ، الطبعة : الثانية ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧ م : ٢٨٦.

لم يَدْعُ داعٍ إلى الترك والتحول ، من ذلك " أو" إنَّما أصل وضعها أنْ تكون لأحد الشيئين أين كانت وكيف تصرفت ، فهي عندنا على ذلك ، وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال ، حتى دعاه إلى أنْ نقلها عن أصل بابها ،..... وذهب قُطْرُب إلى أنَّ "أو" قد تكون بمعنى الواو، وأنشد بيت النابغة :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

فقال: معناه: ونصفه ، ولعمري إنْ كان كذا معناه ، وكيف لا يكونُ كذلك ، ولا بُدَّ منه وقد كثرت فيه الرواية أيضًا بالواو : ونصفه ، لكن هناك مذهب يمكن معه أنْ يبقى الحرف على أصل وضعه : من كون لا شَكَّ فيه ، وهو أن يكون تقديره: " ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو هو ونصفه " ، فحُذِف المعطوف عليها وحرف العطف ، على ما قدمناه في قوله عز وجل:(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)(١) أي: فضرب فانفجرت ، وعليه قول الآخر :

أَلَا فالبَثَا شَهْرَينِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكما ما غَيَّبَتَنِي غِيَابِيَا

أي : شهرين أو شهرين ونصف ثالث ، ألا تراك لا تقول مبتدئًا : لبثت نصف ثالث ؛ لأنَّ ثالثًا من الأسماء المضمنة بما معها ، ودعانا إلى هذا التأوّل السعي في إقرار هذه اللفظة على أول أحوالها " (٢) .

وبالنظر في قول ابن جني السابق نجده يقول بإقرار كل لفظة على أصل وضعها الذي وُضِعت له في اللغة ، ما لم يَدْعُ داعٍ إلى تركها لأصلها أو تحولها عنه إلى غيره ، وقد ذكر ابن جني أنَّ من الألفاظ التي تبقى على أصل وضعها ولا تتحول عنه إلى غيره " أو " ، فهو يرى أنَّ " أو " لأحد الشيئين في أيّ موقع كانت ، وكيف تصرفت في المعاني فهي باقية عنده على معناها الأصلي ، و ذكر ابن جني مذهب قطرب في مجيء " أو " بمعنى الواو وما استدل به على هذا

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٦٠.

٢ ــ الخصائص : ٢ / ٤٥٩ ، ٤٦٢ بتصرف يسير.

، ثم قام ابن جني بالرد على قطرب ، وحاول جاهدًا إثبات أنَّ " أو " في الشواهد التي استشهد بها قطرب باقية على أصل وضعها ، وليست بمعنى الواو ، ولجأ إلى التأويل والقول بأنَّ هناك حذفًا للمعطوف عليه وحرف العطف في هذه الشواهد ، وقال إنَّ الذي دعاه إلى هذا التأوّل هو السعي في إقرار " أو " على أول أحوالها وهو كونها لأحد الشيئين .

وبناء على ما ذكره ابن جني ههنا يكون بذلك من المنكرين لاستعمال " أو " بمعنى الواو .

وهنا أقول : تبين لنا ممَّا سبق أنَّ لابن جني قولين في استعمال " أو " بمعنى الواو ، القول الأول يجيز فيه استعمال " أو " بمعنى الواو في الإباحة وغيرها ؛ تمشيًا مع نظرية تدرج اللغة .

والقول الثاني يمنع فيه ابن جني استعمال " أو " بمعنى الواو ؛ لكي تبقى اللفظة على أول أحوالها .

و أميل إلى أنَّ القول الذي استقر عليه ابن جني هو القول الذي ينكر فيه مجيء " أو " بمعنى الواو ؛ وذلك لأنَّه قد أجاز مجيء " أو " بمعنى الواو في موضع واحد في كتابه(الخصائص) ، بينما نصَّ على بقاء " أو " على أصل وضعها الأول أينما كانت ووقعت في كتابيه (اللمع) و(الخصائص) ، وهذا ما يجعلني أميل إلى أنَّ هذا هو القول المعتد به عند ابن جني .

رابعاً : مذهب عبد القاهر الجرجاني في استعمال " أو " بمعنى الواو

على الرغم من أنَّ الفارسي ذهب في كتابه (الإيضاح) إلى أنَّ " أو " حال كونها تدل على معنى الجمع في حال إفادتها للإباحة لا تكون بمعنى الواو ، إلا أن الجرجاني في كتابه (المقتصد) الذي شرح فيه كتاب (الإيضاح) للفارسي أجاز جعل " أو " بمعنى الواو متى دلت على معنى الجمع حال إفادتها للإباحة ، إلا أنَّه يرى أنَّ " أو " في هذه الحال تفيد إباحة الجمع والواو توجبه ، وذكر إنَّ " أو " لما كان فيها معنى الجمع حال كونها للإباحة اُستُعملت في هذا الموضع استعمال

الواو ؛ والسبب عنده لاستعمال" أو " بمعنى الواو هو دلالتها على الجمع الذي تدل عليه الواو(١) .

وبهذا يكون الجرجاني قد جعل " أو " بمعنى الواو حال كونها للإباحة ودلت على معنى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، إلا أنَّه لم يذكر مواضع أخرى تستعمل فيها " أو " بمعنى الواو غير هذا الموضع ، وهو بذلك تكون دلالة " أو " على معنى الواو محصوة عنده فقط حال كونها للإباحة ودلت على معنى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، وليس مطلقًا في الإباحة وغيرها كما ذهب إلى ذلك الكوفيون ومن تبعهم .

هل أجاز سيبويه استعمال " أو " بمعنى الواو ؟؟

بعدما أجاز الخليل بن أحمد استعمال " أو " بمعنى الواو ــ كما ذكرتُ من قبل ــ ألح عليَّ سؤالٌ فرض نفسَه وهو : هل أجاز سيبويه استعمال " أو " بمعنى الواو للجمع كما فعل شيخه الخليل بن أحمد ؟؟

وللإجابة عن هذا السؤال سأقوم بذكر ما قاله سيبويه أثناء حديثه عن معان " أو " ؛ لبيان حقيقة ما يراه سيبويه في هذه المسألة قال سيبويه أثناء حديثه عن معاني " أو" : " وتقول : خذه بما عزَّ أو هانَ ، كأنَّه قال : خذه بهذا أو بهذا ، أي لا يفوتَّنك على كل حال ، ومن العرب من يقول: خذه بما عزَّ وهانَ ، أي خذه بالعزيز والهين ، وكل واحدة منهما تجزئ عن أختها "(٢) .

وقال سيبويه في موضع آخر : " وتقول: وكل حقٍ له سميناه في كتابنا أو لم نسمِّه ، كأنَّه قال : وكل حق له علمناه أو جهلناه ، وكذلك كل حقٍّ هو لها داخلٍ فيها أو خارجٍ منها ، كأنَّه قال: إنْ كان داخلا أو خارجا ، وإنْ شاء أدخل الواو كما قال : بما عزَّ وهان "(٣) .

وبإمعان النظر في قولي سيبويه السابقين نجد أنَّهما يدلان على أنَّ " أو " و الواو يجوز أنْ تخلف كلٌّ منهما الأخرى في الشواهد التي ذكرها ، فيجوز فيها

---

١ ــ ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني : ٢ / ٩٤٠.
٢ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٤ ، ١٨٥.
٣ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٦.

استعمال " أو " كما فعل سيبويه ، وإنَّ شاء أدخل الواو مكان " أو " ويبقى المعنى كما هو دون تغيير ؛ وإنَّما كان ذلك لأنَّ المعنى واحدٌ حال استعمال كلٍّ منهما ، كما دل على ذلك قول سيبويه : " وكل واحدة منهما تجزئ عن أختها " .

وهنا أتساءلُ : ما هو المعنى الواحد الذي تدل عليه " أو " و الواو في هذه الشواهد ؛ و لذا جاز أن تجزئَ كلٌّ منهما فيه عن أختها ؟؟

وسأذكر أولًا تعليقَ كلٍّ من السيرافي وابن خروف على قولي سيبويه السابقين للتعرف على المعنى الواحد الذي يرى سيبويه أنَّ " أو " و الواو تستعملان له ، وكلٌّ منهما تُجزئ فيه عن أختها .

وسأُعقب بعد ذلك على تفسير السيرافي وابن خروف لقولي سيبويه موضحةً أيُّهما يوافق ما أراده سيبويهِ بقوليه السابقين .

أولًا : **تفسير السيرافي لقولي سيبويه السابقين** :

علق السيرافي على قولي سيبويه السابقين قائلًا :" اعلم أنَّ " أو " والواو أصولٌ وضعت مختلفة ثم يقع فيها من المجاز والاتساع ما تتداخل فيه ، فيستعمل الحرفان في معنى واحدٍ ، فمن ذلك اجتماع الواو و " أو " في قوله : " خذْه بما عزَّ أو هانَ " ، و" خذْه بما عزَّ وهانَ " ، ولا فرقَ بينهما في المعنى ، وكل واحدة تجزئ عن أختها فيما يراد ويقصد ، فأمَّا من قال بـ " أو " فمعناه : خذْه بأحد هذين إمَّا بالعزيز وإمَّا بالهين ، ولا يفوتنك بحال .

وأمَّا من قال : " بما عزَّ و هانَ " بالواو فمعناه : بالعزيز والهين .

وليس قصده و غرضه(١) أنْ نأخذَ بهما في حال(٢)ولا في حالين(٣) ، وإنَّما معناه : خذْه بما بذله لك من العزيز والهين ،كما تقول : خذه بالشدة والرخاء ، واستصلحه بالرفق والعنف والتوسعة والضيق ، ومعناه : خذه بما صلح لك من هذين الشيئين .

---

١ ــ يقصد سيبويه.
٢ ــ أيّ : مع " أو ".
٣ ــ أيّ : مع الواو.

ومثله : " وكل حقٍّ له سميناه أو لم نسمِّه " ، " وكل حقٍّ لـه علمنـاه أو جهلناه " على معنى : كل حقٍّ له بإحدى هاتين الصفتين إمَّا مسـمى وإمَّـا غيـر مسمى ، وتكون على وجهين :

أمَّا على صفة للحق وعلى أنَّه حال ، فأمَّا الصفة فتقديره : " كل حق لـه مذكور وغير مذكور ، وأمَّا الحال فعلى معنى : " وكل حق له إنْ كان مسمى وإنْ كان غير مسمى " .

وأمَّا من قال بالواو فمعناه : كل حق له من المسمى وغير المسمى "[1] .

ثانياً : تفسير ابن خروف لقولي سيبويه

قال ابن خروف معلقًا على قول سيبويه : " وأمَّا قوله : " خذْه بما عزَّ أو هانَ " فإباحة ، والمعنى : خذه بالهين فإنْ لم تقدرْ فبالعزيز ، فإنْ لم تقدرْ فبهمـا جميعًا ، والمعنى لا يفوتنك على حال ، ويروى عن بعض العرب : " خذه بما عزَّ و هان " ، و " أو " فيهما أمكن لأنَّها تحتملُ ثلاثة أوجه : من الأخذ بأحدهما ، أو بهما إنْ لم تقدر على أحدهما ، والواو بمنزلة " أو " هنا ومعناها ، ولا يمكـن أنْ يريد خذه بالعزيز والهين إلا إذا لم تقدر على أخذه بأحدهما ، فـ " أو " بمنزلـة الواو إذا لم يقدر على أخذه إلا بهما ، والواو بمنزلة " أو " إذا أخـذه بأحـدهما ، ولهذا قال سيبويه : " وكلّ واحدة منهما تجزئ عن أختها في معنـى لا يفوتنـك على حال .....، واستعمال " أو " في " علمناه أو جهلناه " و" سـميناه أو لم نسمه " هو الباب و الأصل ، والواو دخيلة فيه ، كما كانـت فـي " عـزَّ و هانَ"، ولا تكون الواوُ فيها إلا على " أو " ؛ وذلك لأنَّ الرجل يشري دارًا بجميـع حقوقها داخلها وخارجها ، وليس لها من حقٍّ خارجٍ ، فإذا قال الكاتب وكلُّ حـقٍّ داخل فيها أو خارج عنها عمَّ جميعَ حقوقِها قليلةً كانـت أو كثيـرةً ، داخلًـا أو خارجًا، أو داخلًا لا خارجًا ، فإنْ ذكر الواو أعطت الجمع وأثبتت جميـع حقوقهـا داخلًا وخارجًا ، وقد لا يكون لها حقٌّ خارجًا ، فإذا قال " أو " وقعت على الـداخل والخارج ، وعلى الداخل وحده إنْ لم يكن له حقٌّ خارجًا ، وجـاز ذلـك لمعنـى

---

١ ــ شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٤٠.

الإباحة التي فيها ، وإنْ وقعت الواو هنا وقد نصَّ على ذلك في قوله : وإن شاء أدخل الواو حُمِلت على معنى" أو " ، و" أو " أرفع للبس ، والمعنى : إن كان داخلًا فيها أو خارجًا منها ، وكل حقٍّ له إنْ علمناه وإنْ جهلناه "(١) .

التعليق على تفسير السيرافي لقولي سيبويه :

يقول السيرافي إنَّ سيبويه يقصد بقوليه السابقين إنَّ بعضَ حروف العطف تتداخل ويستعمل الحرفان في نفس المعنى على سبيل المجاز والاتساع ، وهذا يعنى أنَّ بعضَ حروفِ العطف يقومُ مقامَ البعض في المعنى ، ومن هذه الحروف " أو " والواو ، ويقول السيرافي إنَّ " أو " والواو تستعملان معًا لمعنى واحد وهو الإباحة ، ويجوز أنْ تقومَ كلٌّ منهما مقامَ الأُخرى في هذا الاستعمال ، ولا فرقَ في المعنى بينهما حال استعمالهما للإباحة ؛ لأن كلَّ واحدةٍ منهما تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه أختها ، وهذا هو ما أراده سيبويه بقوله :" وكل واحدة منهما تُجزئُ عن أختها " .

ثم ذكر السيرافي الشواهد التي أوردها سيبويه واستعملت فيها " أو" والواو لمعنى الإباحة ،وهما قول العرب: " خذْه بما عزَّ أو هانَ " ، و " خذْه بما عزَّ و هان " ، وقال السيرافي : إنَّ معنى المثالين واحدٌ سواء اُسْتُعملت " أو " أو " الواو " ؛ إذَ تقدير المعنى في كلا المثالين هو : خذه بما صلح لك من هذين الشيئين(العزيز والهين) .

ويرى السيرافي أَنَّ المعنى المراد حال استعمال " أو " أو الواو في المثال السابق هو : ما يصلح لك أنْ تأخذَه به من العزيز والهين فخذْه به ، وعلى هذا فإنْ صلحَ بالعزيز فخذْه به ، وإنْ صلحَ بالهين فخذْه به ، وإنْ صلحَ بهما فخذْه بهما ؛ لأَنَّ " أو " والواو تدلان على الإباحة ، و مدلول الإباحة : أنَّه يجوز الاكتفاء بالمعطوف عليه فقط ، و يجوز أيضًا الاكتفاء بالمعطوف فقط ، ويجوز أيضًا الجمع بينهما .

---

١ ــ تنقيح الألباب : ٢٧٧ ــ ٢٧٩ بتصرف يسير.

وعلى هذا الذي ذكره السيرافي في تفسير معنى المثال السابق يكون ما قصده سيبويه من استعمال " أو " والواو بمعنى واحد هو كونهما تستعملان معًا لمعنى الإباحة ، و بمعنى آخر نستطيع القول إنَّ الواو هنا هي اُسْتُعملت بمعنى " أو " للإباحة ؛ إذ الإباحة من المعاني التي وُضِعت لها " أو " .

و قد ذكر سيبويه شواهد أخرى استعملت فيها " أو " والواو بمعنى واحد وأوردها السيرافي وهي قولهم :" وكلُّ حقٍّ له سميناه أو لم نسمِّه " ، " وكلُّ حقٍّ له علمناه أو جهلناه " ، ويجوز استعماله بالواو : " وكلُّ حقٍّ له سميناه و لم نسمِّه " ، " وكلُّ حقٍّ له علمناه و جهلناه" ، وقد ذكر السيرافي أَنَّ المعنى حال استعمال " أو " في هذه الشواهد السابقة على وجهين :

أمَّا على أنَّه صفة للحق أو على أنَّه حال ، فأمَّا الصفة فتقديره : " كلُّ حقٍّ له مذكور وغير مذكور ، وأمَّا الحال فعلى معنى : " وكلُّ حقٍّ له إنْ كان مسمى وإنْ كان غير مسمى " .

وأمَّا المعنى حال استعمال الواو في هذه الشواهد فهو : " كلُّ حقٍّ له من المسمى وغير المسمى " .

وبإمعان النظر فيما ذكره السيرافي هنا من تقدير المعنى حال استعمال " أو " أو الواو في المثالين السابقين ، نجد أنَّ المعنى الذي ذكره السيرافي حال استعمال " أو " ، هو نفس المعنى الذي ذكره حال استعمال الواو ، وليس اتحاد المعنى هنا بين " أو " و الواو لكونهما معًا للإباحة ، كما هو الحال في المثال السابق وهو قولهم : " خذه بما عزَّ وهان " ، بل لكونهما معًا تدلان على معنى الجمع بين الشيئين كما هو ظاهر من التقدير الذي ذكره السيرافي ، و ليس في التقدير الذي ذكره أيّ دلالة على كون "أو" أو الواو قد اُسْتُعملت لمعنى الإباحة .

ولبيان ذلك أقول : إنَّ المعنى الذي ذكره السيرافي مع استعمال " أو" على تقدير جَعْل ما بعد الحق صفة له : " وكل حق مذكور و غير مذكور " ، وعلى تقدير جَعْل ما بعد الحق حالًا من الحق فالمعنى : " وكل حق له إن كان مسمى

وإن كان غير مسمى " ، وكلا المعنيين يدل على معنى الجمع بين المذكور و غير المذكور ، أو المسمى و غير المسمى .

والمعنى الذي ذكره السيرافي مع استعمال الواو هو : " كل حق لـه مـن المسمى وغير المسمى " .

وبهذا يتضح لنا أَنَّ المعنى مع " أو " والواو معًا هو الجمع بين كلِّ حـقٍّ مسمى وغير مسمى .

وبهذا يمكننا القول إِنَّ هذا التقدير الذي ذكره السيرافي يدل على أَنَّ " أو" و الواو قد استعملتا ههنا معًا بمعنى الجمع بين الشـيئين ، و بمعنـى أدق " أو " هي التي اُسْتُعملت هنا على تقدير السيرافي بمعنى الـواو ، وأمَّـا الـواو فقـد اُسْتُعْمِلت على أصل معناها .

وهنا أمرٌ أودُّ التأكيد عليه وهو أَنَّ السيرافي لم يقلْ صراحة إِنَّ " أو" في قولهم : " وكلُّ حقٍّ له سميناه أو لم نسمِّه " ، " وكلُّ حقٍّ له علمناه أو جهلناه " بمعنى الواو ، ولكنَّ التقدير الذي ذكره يدل على هذا دلالـةً واضـحةً ، بخـلاف تقديره لقولهم : " خذْه بما عزَّ و هانَ " أو " خذْه بما عزَّ أو هانَ " فقد دل كلامـه صراحةً على أَنَّ " أو " و الواو معًا قد استعملتا في هذا الشاهد لمعنى الإباحة .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : هل هذا التقدير الـذي ذكـره السـيرافي لقولهم : " وكل حقٍ له سميناه أو لم نسمِّه " ، " وكل حقٍّ هو لها داخلٍ فيهـا أو خارجٍ منها " و الذي دلت فيه " أو " و الواو معًا على معنى الجمع هو مـا أراده سيبويه حين قال : " وإن شاء أدخل الواو " في قولهم : " وكل حقٍ له سـميناه في كتابنا أو لم نسمِّه ، وكل حقٍّ هو لها داخلٍ فيها أو خارجٍ منها ؟؟ .

وسيأتي الجواب عن هذا السؤال ولكن بعد أنْ أعلقَ على تفسـير ابـن خروف أيضًا لقولي سيبويه .

<u>التعليق على تفسير ابن خروف لقولي سيبويه :</u>

بالنظر في تفسير ابن خروف لقولي سيبويه نجد أَنَّ ابنَ خروف يقول في بداية كلامه عن قول العرب : " خذْه بما عزَّ أو هانَ " وقولهم : " خذْه بما عزَّ

و هانَ " : إنَّ " أو " والواو فيهما تدلان على معنى الإباحة ، ولكنَّ " أو " هي الأمكن في معنى الإباحة من الواو ؛ لأنَّها تحتمل الثلاثة أوجه من الأخذ بهما أو بأحدهما ، ثم قال إنَّ الواو بمنزلة " أو " ومعناها في كونها للإباحة ، وعلل ابن خروف لكون الواو يجوز فيها أنْ تستعملَ بمعنى " أو " للإباحة قائلًا : لأنَّه لا يمكن أنْ يريدَ خذه بالعزيز والهين إلا إذا لم تقدرْ على أخذه بأحدهما .

وكلام ابن خروف السابق يدل على أنَّ الواو قد تستعمل للإباحة فتكون بمنزلة " أو " حال استعمالها للإباحة ، وعلى هذا يجوز مع الواو أن تكونَ لأحد الشيئين ، أو للجمع بينهما ؛ كما هو الحال مع " أو " حال كونها للإباحة .

ولكنَّ ابن خروف ذكر بعد هذا الكلام أنَّ " أو" تكونُ بمنزلة الواو في حال إذا لم يقدرْ على أخذه إلا بهما ، والواو تكون بمنزلة " أو " في كونها للإباحة في حال ما إذا أخذه بأحدهما فقط ، وليس مطلقًا ، وقد ذكر ابن خروف أنَّ هذا هو ما قصده سيبويه بقوله :" وكلّ واحدة منهما تُجزئ عن أختها في معنى لا يفوتَّنك على حال " .

وهنا سؤالان يطرحان أنفسهما وهما : هل كون الواو التي تستعمل للإباحة لا تكون بمنزلة " أو " عند ابن خروف إلا في حال ما إذا أخذه بأحدهما فقط ، يُعني أنَّ الواو بذلك قد أفادت الإباحة بمعناها الكامل الذي تدل عليه " أو " ؟؟!!

وأيضًا هل كون " أو بمنزلة الواو عند ابن خروف في حال ما إذا أخذه بهما ، يُعني أنَّ " أو" هي الأُخرى قد أفادت الإباحة ، والإباحة في الأصل من المعاني التي تستعمل لها " أو " ؟؟

وسيأتي الجواب عن هذين السؤالين أيضًا فيما بعد .

ثم قال ابن خروف مفسرًا للشواهد الأخرى التي ذكرها سيبويه وهي قولهم:" علمناه أو جهلناه " ، وقولهم : " سميناه أو لم نسمه " : إنَّ " أو " هي الأصل في الدلالة على الإباحة ، والواو دخيلة على " أو " في هذا المعنى .

ويرى أنَّه متى استعملت الواو هنا في موضع " أو " فإنَّها تكونُ بمعنى " أو " من كونها يجوز معها أن تكون لأحد الشيئين ويجوز أن تكون للجمع بينهما، ويرى أنَّ استعمال " أو " أدق من الواو في هذا المعنى ، لأنَّ " أو " تعطيه الداخل والخارج أنْ كان له فيهما حقٌّ ، وإلَّا أعطته الداخل فقط إنْ لم يكنْ له حقٌّ في الخارج ، بخلاف الواو فهي تفيد معنى الجمع ، وتثبت له كل الحقوق داخلة كانت أو خارجة ، وإنْ لم يكن له حقٌّ في الخارج فهي تعطيه له أيضًا ، وهذا غير دقيق في المعنى ، لذا يرى ابن خروف أنَّ الأفضلَ أنْ تكون الواو هنا للإباحة بمنزلة " أو " ، ويجوز معها أَنْ تكونَ لأحد الشيئين إنْ لم يكن له حقٌّ في الخارج ، و لهما معًا إنْ كان له حقٌّ فيهما .

وبهذا يكون ابنُ خروف قد جعل " أو " والواو في الشواهد السابقة يدلان معًا على معنى الإباحة .

<u>تعقيب على تفسير السيرافي وابن خروف لقولي سيبويه :</u>

وبعد أنْ علقت على تفسير السيرافي وابن خروف على كلام سيبويه أودُّ القول : إنَّ الغرض الذي من أجله أورد سيبويه هذه الشواهد هو إثبات أنَّ " أو " والواو معًا تستعملان لمعنى الإباحة ، فسيبويه يرى أنَّ " أو " حال استعمالها للإباحة يجوز أنْ تخلفَها الواو وتستعملَ في مكانها ، وتؤدي هي الأخرى معنى الإباحة كما تؤديه " أو " ، وهذا ما قصد سيبويه بقوله : " وكل واحدة منهما تجزئ عن أختها "(١) ، وقوله في موضع آخر : " وإنْ شاء أدخل الواو "(٢).

وبناء على هذا يمكننا القول إنَّ سيبويه ليس من القائلين بجواز استعمال " أو " بمعنى الواو لإفادة الجمع ؛ وبهذا يكون مذهبه هو على العكس ممَّا ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم ؛ لأنَّه يرى أنَّ الواو يجوز أنْ تستعمل بمعنى" أو" للإباحة كما أوضح ذلك من خلال الشواهد التي ذكرها ، و الكوفيون كما رأينا يقولون إنَّ " أو " يجوز أنْ تستعملَ بمعنى الواو لإفادة الجمع .

---

١ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٤ ، ١٨٥.

٢ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٦.

وبذلك يكون مَنْ سبق إلى القول بجواز استعمال الواو بمعنى" أوْ " للإباحة هو سيبويه ، وليس الزمخشري كما ذكر ابن هشام(١) ، ولا السيرافي كما ذكر الدماميني(٢) .

وبعد أنْ بيَّنتُ مراد سيبويه من قوليه السابقين ، وقمتُ بعرض تفسير السيرافي وابن خروف لكلام سيبويه ، وقمتُ بالتعليق عليهما ، أودُّ أنْ أتساءلَ : هل السيرافي وابن خروف بذلك قد فسرا كلام سيبويه بما يتوافق مع مراده من إيراده لهذه الشواهد ؟؟

وللإجابة عن هذا التساؤل وغيره من التساؤلات التي طرحتها أثناء تعليقي على تفسير السيرافي وابن خروف لكلام سيبويه أقول : وافق السيرافي في تفسيره لقولهم :" خذْه بما عزَّ وهان " ، " خذْه بما عزَّ أو هان " ما أراده سيبويه من إيراده لهذين القولين ؛ لأنَّ السيرافي قال إنَّ " أو " و الواو قد اُستُعملتا فيه لمعنى الإباحة ، و هذا هو ما أراده سيبويه .

وأمَّا عن الشواهد الأخرى التي أوردها سيبويه وهي قولهم : " وكلٌّ حقّ له سميناه في كتابنا أو لم نسمِّه ، وكلُّ حقٍّ له علمناه أو جهلناه ، و" كلُّ حقٍّ هو لها داخلٍ فيها أو خارجٍ منها " فنجد السيرافي من خلال تفسيره لهده الشواهد قد جعل التقديرَ حال استعمال " أو " أو الواو متحدًا ، ولكن هذا الاتحاد ــ كما بينت سابقًا ــ لم يكن لكون " أو " و الواو معًا قد دلتا على معنى الإباحة ،كما هو مراد سيبويه من إيراده لهذه الشواهد ، بل لكون " أو " و الواو معًا قد دلتا على معنى الجمع بين الشيئين ، وعلى هذا تكون " أو" في تقدير السيرافي قد استعملت بمعنى الواو وهذا هو مذهب الكوفيين ، وأمَّا الواو فقد استعملت على أصل معناها ولم تخرج عن معناها إلى معنى آخر .

وبناء على هذا التقدير الذي جعل فيه السيرافي" أو " والواو تدلان على معنى الجمع يكون غير موافقٍ لما أراده سيبويه .

---

١ ــ ينظر : مغني اللبيب : ١ : ٧٦.

٢ ــ ينظر : شرح الدماميني على المغني : ١ / ٢٥٣.

وبهذا الذي ذكرته أكونُ قد أجبتُ على السؤال الذي طرحته من قبل وهو : هل هذا التقدير الذي ذكره السيرافي والذي دل على أنَّ " أو " والواو دلتا معًا على معنى الجمع ، هو ما أراده سيبويه حين قال : " وإن شاء أدخل الواو " في قولهم: " وكل حقٍ له سميناه في كتابنا أو لم نسمِّه "، و" كل حقٍّ هو لها داخلٍ فيها أو خارجٍ منها " ؟؟

وأمَّا عن ابن خروف فنجد أنَّه قد وافق مراد سيبويه في أَنَّ كلِّ واحدة من " أو " والواو تستعمل لمعنى الإباحة ؛ ولهذا تُجزئُ كلٌّ منهما عن أختها في المعنى ، حين قال في بداية كلامه : " وأمَّا قوله : " خذْه بما عزَّ أو هان " فإباحة، والمعنى : خذه بالهين فإنْ لم تقدر فبالعزيز، فإنْ لم تقدر فبهما جميعًا ، والمعنى لا يفوتنك على حال ، ويروى عن بعض العرب : " خذه بما عزَّ وهان " ، و" أو " فيهما أمكن لأنَّها تحتمل ثلاثة أوجه : من الأخذ بأحدهما ، أو بهما إنْ لم تقدر على أحدهما ، والواو بمنزلة " أو " هنا ومعناها ، ولا يمكن أنْ يريد خذه بالعزيز والهين إلا إذا لم تقدر على أخذه بأحدهما " .

لكن ما ذكره ابن خروف بعد ذلك عندما جاء لتفسير معنى كون " أو " بمنزلة الواو ، و كون الواو بمنزلة " أو " حين قال : إنَّ " أو " تكون بمنزلة الواو إذا لم يقدر على أخذه إلا بهما ، وأيضًا جعله الواو بمنزلة " أو " في حال أخذه بأحدهما ، يدل على أنَّه يرى أنَّ " أو" حال استعمالها للإباحة إنَّما تكون بمعنى الواو فقط في حال دلالتها على معنى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ،كما أنَّ الواو في حال كونها للإباحة تكون بمعنى" أو" فقط في حال كونها لأحد الشيئين، وعلى هذا فكون الواو التي تدل على الإباحة بمنزلة " أو" حال كونها فقط لأحد الشيئين يدل على أنَّها لم تستعمل للإباحة بمعناها الدقيق ؛ إذ الإباحة تعني: أنَّه يجوز معها الإتيان بالمعطوف عليه فقط أو المعطوف فقط ،ويجوز معها أيضًا الجمع بينهما ، ولكن ابن خروف جعل الواو بمنزلة " أو " في معنى الإباحة إذا كانت لأحد الشيئين فقط ، وليس مطلقًا .

وعلى هذا فكيف تُجزئُ كلٌّ واحدةٍ من" أو " والواو عن أختها في المعنى حين تستعملان لمعنى الإباحة ، وابن خروف يقول إنَّ " أو" تكون بمعنى الواو إنْ جمعت بينهما في الأخذ بهما ، أيّ تكون بمعناها في هذه الحالة فقط ، وتكون الواو بمعنى" أو " إنْ أخذته بأحدهما ، أي في هذه الحالة فقط وليس مطلقًا .

مع أنَّ قول سيبويه : " وكلّ واحدة منهما تجزئ عن أختها " يدل على أنَّ أيُّهما وضعتها موضع الأخرى ، فالمعنى معها هو نفس المعنى في حال وضعت أختها مكانها ؛ ولهذا يجوز أنْ تقومَ كلٌّ واحدة منهما مقامَ أختها وتؤدي نفس المراد والمقصود الذي تؤديه الأُخرى كاملًا ، وهذا لا يتأتي إلا إذا كان المعنى حال استعمال كلٍّ منهما متحدًا غاية الاتحاد في حال ما إذا اُسْتُعملت الأخرى مكانها ، ويتحقق اتحاد المعنى متى كانت " أو " أو الواو حال كونهما للإباحة تصلحان معًا لأنْ تكونا لإباحة أحد الشيئين فقط إمَّا المعطوف وإمَّا المعطوف عليه ، وفي نفس الوقت تصلحان أيضًا أنْ تكونا للجمع بينهما .

فكأنَّ مدلول الإباحة الكامل لا يتحقق إلا بصلاحية الواو و " أو" معًا لأنَّ تكونا لإباحة أحد الشيئين ، مع جواز كونهما للجمع بينهما .

أمَّا أنْ تكون الواو بمنزلة " أو " لأنَّها لأحد الشيئين فليس هذا مدلول الإباحة ؛ لأنَّ دلالة " أو" على أحد الشيئين هو معنى" أو " في أصل وضعها الذي وضعه النحاة لها(١) ، و أيضًا كون " أو" بمنزلة الواو في حال ما إذا دلت على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه فليس هذا هو المعنى الكامل للإباحة ؛ لأنَّ " أو" في هذه الحالة قد دلت على معنى الجمع الذي وُضِعت له الواو في أصل معناها عند جمهور النحاة ، وابن خروف بهذا يتفق مع ما ذكره القائلون بأنَّ " أو" في حال كونها للإباحة وأفادت معنى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه

---

١ ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠١ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٣١٤ ، الإيضاح لأبي علي الفارسي: ٢٢٣ ، علل النحو لابن الوراق : ٤٥٣ ، الخصائص : ٢ / ٤٦٢ ، مغني اللبيب : ١ / ٨٠ ، التصريح : ٢ / ١٥٦.

تكون بمعنى الواو ، وخاصة أنَّ ابنَ خروف قد أيَّد كون " أو " بمعنى الواو في بيت النابغة(١) وابن أحمر(٢) كما أشرتُ من قبل .

ولذا أرى أنَّ كلام ابن خروف هنا لا يتفق مع ما ذكره أولًا في بدايه كلامه، ومن ثَمَّ فتفسيره لقولهم:" خذْ بما عزَّ أو هانَ " وقولهم :" خذْه بما عزَّ وهان " لا يتوافق مع مراد سيبويه .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ كلامي السابق قد تضمن الإجابة عن السؤالين الذي طرحتهما من قبل حين قلت :

وهنا سؤالان يطرحان أنفسهما وهما : هل كون الواو التي تستعمل للإباحة تكون بمنزلة " أو " في حال ما إذا أخذه بأحدهما فقط يُعني أنَّ الواو بذلك قد أفادت الإباحة بمعناها الكامل الذي تدل عليه " أو " ؟؟

وأيضًا هل كون " أو" بمنزلة الواو في حال ما إذا أخذه بهما يُعني أنَّ " أو" هي الأُخرى قد أفادت الإباحة بمعناها الكامل التي هي في الأصل من المعاني التي تستعمل لها " أو " ؟؟

وأمَّا عن الشواهد الأخرى التي أوردها سيبويه وهي قولهم : " وكلُّ حقّ له سميناه في كتابنا أو لم نسمِّه ، وكلُّ حقٍّ له علمناه أو جهلناه ، و " كلُّ حقٍّ هو لها داخلٍ فيها أو خارجٍ منها " .

فقد جعل ابن خروف " أو " والواو في هذه الشواهد السابقة للإباحة بمعناها الدقيق ، وهو عين ما أراده سيبويه ، وبهذا يكون ابن خروف قد وافق تفسيره مراد سيبويه من إيراد هذه الشواهد .

وبناء على ما سبق يكون سيبويه قد أجاز استعمال الواو بمعنى" أو" للإباحة ، وبهذا يكون سيبويه غير موافق للخليل والكوفيين في إجازتهم استعمال " أو" بمعنى الواو للجمع .

---

١ ــ ينظر : ص : ٣٧ من هذ البحث.

٢ ــ ينظر : ص : ٤٠ من هذا البحث.

تعقيب على مذاهب النحاة في استعمال " أو " بمعنى الواو :

وبعد عرض مذاهب النحاة في جواز استعمال" أو" بمعنى الواو للجمع ، أودُّ الإشارة إلى أنَّه بعد عرضي لهذه المذاهب أميل إلى تأييد مذهب الكوفيين ومن تبعهم ؛ ولإثبات صحة ما ذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم سأقوم بالرد على ما احتج به البصريون ومن تبعهم ، وأيضًا على ما ردوا به الشواهد التي استشهد بها الكوفيون .

أولًا : الرد على ما احتج به البصريون :

احتج البصريون ومن تبعهم لمذهبهم بأنَّ الأصل استعمال كلِّ حرفٍ فيما وُضِع له ؛ لئلا يُفضي إلى اللبس وإسقاط فائدة الوضع ، وقالوا إنَّهم بذلك تمسكوا بالأصل ، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ، ومن عدل عن الأصل بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل .

أقول : من البصريين أنفسهم مَنْ أجاز استعمال حرف عطف بمعنى حرف عطف آخر ، ومن هؤلاء الخليل الذي أجاز ــ كما أشرتُ من قبل ــ استعمال الواو بمعنى " أو " ، واستشهد على ذلك بشواهد استدل بها الكوفيون أيضًا على صحة ما ذهبوا إليه ، وبذلك يكون الخليل قد استعمل " أو" فيما غير ما وُضِعت له ، ولم يؤدِ استعماله لها في غير ما وُضِعت له إلى اللبس وإسقاط الوضع ؛ صحيحٌ أنَّ كلَّ حرفٍ له معناه الأصلي الذي وُضِع له ، لكن يجوز أنْ يُستعمل استعمالات أخرى بالإضافة إلى معناه الأصلي ، وليس معنى هذا أنَّه يترك معناه الذي وُضِع له ويفارقه إلى غيره .

وقد رأينا أيضًا سيبويه والسيرافي قد أجازا الاتساع والمجاز في بعض الحروف ومنها " أو " والواو ، وقد أجاز سيبويه وتبعه السيرافي أنْ تستعمل" الواو " للإباحة بمعنى " أو"

وبذلك يكون الخليل وسيبويه والسيرافي قد خالفوا الحجة التي احتج بها البصريون لمذهبهم ، وأجازوا أنْ تستعمل بعض الحروف في غير المعنى الذي وضعت له .

ما أودُّ قوله إنَّ البصريين أنفسَهم لم يتمسكوا بالأصل الذي وُضِع له كل حرف من حروف العطف ، ولم يستطيعوا الالتزام بذلك ، وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ استعمال بعض حروف العطف بمعنى بعضها الآخر أمرٌ واردٌ في اللغة ، ولا يمكن إنكاره ، ما لم يؤدِ ذلك إلى اللبس ، وهذا من باب الاتساع في اللغة ، وهو أيضًا من باب التدرج في اللغة كما قال ابن جني .

الرد على ما احتج به المبرد والزجاج ومن تبعهم من أنَّه لا يتأتي جعل " أو " في حال الإباحة إنْ أفادت الجمع بين المتعاطفين في الإثبات أو النفي أو النهي بمعنى الواو ؛ لأنَّها في حال الإثبات إذا جُعِلت بمعنى الواو لدلت على وجوب الجمع ، و" أو " لا توجب الجمع ، ولا يتأتي في" أو " أيضًا حال كونها للإباحة وقد أفادت الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، والكلام في سياق النفي أو النهي أنَّ تكون بمعنى الواو ؛ لأنَّ " أو " التي للإباحة في سياق النفي أو النهي تدل على وجوب الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، بخلاف الواو فهي لا توجب الجمع .

أقول : المبرد : حين قال إنَّ " أو " يُتوسع فيها ويدخلها المعنى الذي في الواو من الإشراك ، وذكر أنَّها تخص ما لا تخصه الواو ، وقد علل المبرد لكون " أو " تخص ما لا تخصه الواو بأنَّ : " أو" في حال استعمالها للإباحة والكلام موجب نحو : " ائْتِ زيدًا أَو عمرًا أَو خالدًا " فتقديرها فى الإيجاب : ائتِ زيدًا وأنْ شِئتَ فائتِ خالدًا وعمرًا معه ، فإذا نهيت عن هذا قلت : " لا تأتِ زيدًا أو عمرًا أو خالدًا " فمعناها : لَا تأت هَذَا الضَّرْب من الناس ؛ وعلى هذا قوله تعالى(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ، وعلى هذا فالمعنى مع " أو " في حال استعمالها في الإيجاب للإباحة : ائت أحدهما أو الجميع ، أمَّا إذا استعملت في الإباحة للنهي ، فالنهي يشمل الجميع ، بخلاف ما إذا اُستُعملت الواو مكان " أو " فهي في حال الإيجاب تفيد وجوب الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، وأمَّا في حال النهي فلا يلزم معها أنْ يشملَ النهي الجميع بدليل قول المبرد : " وكذلك إذا قال : لا تأتِ

زيدًا و عمرًا " فأتي أحدهما فليس بعاصٍ ، وإذا قال :لا تأتِ زيدًا أو عمرًا فليس له أنْ يأتيَ واحدًا منهما "(١) .

وهنا أقول : المبرد عند حديثه عن معنى الواو ذكر أنَّها لإدخال الثاني فيما دخل فيه الأول مطلقًا فقال : " الواو معناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول ، وليس فيها دليل على أيُّهما كان أولًا "(٢) .

فالمبرد في قوله السابق لم يخصْ معنى الواو بحال الإثبات فقط دون النفي أو النهي ، وهذا يعني أنَّ الواو عنده لإشراك الثاني مع الأول على كل حال ، سواء أكان الكلام إثباتًا أو نفيًا أو نهيًا ، ولكنَّ المبرد عندما كان يفرِّق بين الواو و " أو" ذكر أنَّ " أو " في حال الإباحة والكلام موجب يجوز معها الإتيان بأحد الشيئين أو الجمع بينهما ، وأمَّا الواو فعندما تكون للإباحة في حال الإيجاب فيلزم معها الجمع بين المتعاطفين ، و" أو " في حال النهي يلزم معها الجمع بين المتعاطفين في النهي ، وأمَّا الواو فلا يلزم معها الجمع بدليل قوله : " إِذا قَالَ: لَا تأتِ زيدًا وعمرًا ، فَأتى أَحدهمَا فليس بعاص"(٣) .

وبإمعان النظر فيما قاله المبرد نجد أنَّه قد أعطى لـ " أو " معنى الواو في حال كونها للإباحة والكلام في سياق النهي ؛ لأنَّه جعلها للزوم الجمع بين الشيئين في النهي ، و أعطى الواو معنى " أو " لأنه أجاز للواو أنْ تكون لأحد الشيئين فقط في حال النهي .

ومن ثَمَّ أقول : كيف يكون معنى الواو عند المبرد إشراك الثاني مع الأول مطلقًا ؟!! وبعد ذلك يجعل هذا فقط في حال الإثبات دون النهي ؟؟!!

الواو أولى وأوجب أنْ تكون هي التي تجمع بين المتعاطفين في الإيجاب والنهي بالنظر إلى أصل معناها ، وليست" أو" .

---

١ ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢.

٢ ــ المقتضب : ١ / ١٠.

٣ ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢.

وهنا أتساءلُ : أليست " أو " إذا جمعت بين المعطوف والمعطوف عليه في حال كونها للإباحة تكون بمعنى الواو ؟!!!

أرى : أنَّ" أو " حينئذٍ بمعنى الواو ، والمبرد نفسَه قد صرَّح أنَّ " أو " حين تكون للإشراك يدخلها المعنى الذي في الواو من الإشراك ، بل جعلها في هذه الحالة تختص بما لا تختص به الواو .

لذا أر ى أنَّه لا مفرَ من القول بأنَّ " أو" حال جمعها بين المعطوف والمعطوف عليه تكون قد نابت منابَ الواو واستعملت بمعناها ، وإنْ حاول المبرد عدم قبول هذا القول ؛ إلا أنَّ العبرة بالتقدير النهائي الذي جُعِلت " أو " بمعناه ، والمبرد قد قال إنَّ تقدير" أو " في النهي في نحو :" لا تأتِ زيدًا أَو عمرًا " أي : لا تأتِ زيدًا ولا عمرًا ، فقد جعل " أو " بمعنى الواو ؛ لأنَّ " لا " النافية ــ كما أشرتُ من قبل ــ زائدة لتوكيد النفي ، وهذا يؤكد كون " أو " بمعنى الواو .

وأودُّ الإشارة أيضًا إلى أنَّ جَعْلَ الواو للإباحة والكلام موجبٌ ، لا يعني إطلاقًا أنَّها يلزم معها وجوب الجمع بين المتعاطفين ؛ لأنَّ الإباحة لا إلزام فيها بالفعل سواء أكانت مع لواو أو حتى مع " أو " .

وممَّا يؤكد أنَّ الإباحة لا إلزامَ فيها بالفعل ما ذكره الدماميني نقلًا عن ابن هشام حيث قال الدماميني إنَّ ابن هشام قال في حواشيه على التسهيل : " إنّ " أو " تأتي للجمع كالواو ولا فرقَ بينهما ؛ فإنَّه إذا قيل: " جالس الحسنَ وابنَ سيرين " بالواو كانت للجمع بين المتعاطفين في معنى العامل ، وهو إباحة المجالسة ، فكأنه قيل : " أبحت مجالستهما " ومَنْ أُبيحت له المجالسة لم تلزمه ، ولم يمتنع عليه إفراد أحدهما ولا الجمع بينهما ؛ لأنَّ معنى كون الشيء مباحًا أنَّه لا حرجَ في فعله ولا في تركه ، وكذلك المعنى إذا ذكرت " أو " ، وكلُّهم ينصُّ على ذلك مع " أو " ، وقد بيَّنا أنَّه مع الواو كذلك ، لأنَّ الإباحة إنَّما استفيدت من الأمر ، فالواو جمعت بين الشيئين في الإباحة "(١) .

---

١ ــ شرح الدماميني على المغني : ١ / ٢٥٣.

فقول ابن هشام السابق يدل على الواو التي للإباحة لا يلزم معها وجوب الجمع بين المتعاطفين ، وكذا الحال مع " أو " ، فلا فرقَ في هذا بين " أو " أو الواو ، وليس المراد أنَّ الواو توجب الجمع بين المتعاطفين و " أو " لا توجب الجمع بينهما ، بل الأمر معهما سواء ؛ لأنَّ معنى كون الأمر مباحًا أنَّه لاحرجَ في فعله ولا تركه ؛ لأنَّ الإباحة مستفادة من الفعل .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ قولَ ابن هشام السابق إنَّما ينطبق على " أو" التي للإباحة إذا أفادت الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه وصارت بمعنى الواو ، والكلام موجب .

أمَّا في حال النهي فـ " أو " يلزمها الجمع بين المتعاطفين ، بناء على إجماع النحاة أنَّ " أو " التي للإباحة في حال النهي يلزمها حظر الجميع أي : الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى النهي (١) .

وأرى أنَّ " أو " في هذه الحالة أيضًا بمعنى الواو كما هو الحال في الآية الكريمة (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ؛ لأنها طالما دلت على وجوب الجمع بينهما في النهي فقد اُسْتعملت بمعنى الواو .

ولست مع المبرد والزجاج والنحاس وابن عصفور وأبي حيان في جعلهم الواو في النهي ليست كـ " أو " ، وقولهم إنَّ الواو في حال النهي لا يلزمها الجمع بين المتعاطفين ؛ وذلك لأنَّ معنى الواو في الأصل هو الجمع بين المتعاطفين في الإثبات أو النفي أو النهي ، ومن ثَمَّ فهي أولى بإفادة الجمع من " أو " .

و بناء على ما سبق أقول : إنَّ " أو" في حال كونها للإباحة ، وأفادت الجمع والكلام موجب فهي بمعنى الواو ، و أيضًا إذا كانت للإباحة والكلام نهيٌ فهي أيضًا بمعنى الواو .

١ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣ / ٤٤٠ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٢٨ ، مغني اللبيب : ١ / ٧٤ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٧٢ ، ٣٤٧٣.

ثانيًا : الرد على الردود التي وجهها البصريون ومن تبعهم للشواهد التي استشهد بها الكوفيون ومن تبعهم :

اعتمد البصريون ومن تبعهم في إثبات صحة مذهبهم على ردِّ ما احتج به الكوفيون ، مع أنَّ ردَّهم هذا لا يخلو من الكثير من التجاوزات ولبيان ذلك أقول :

ــ ما ذهب إليه سيبويه وتبعه عليه النَّحَّاس من أنَّ " أو " في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)بمعنى" ولا "(١) .

أقول : معنى الآية على هذا التقدير هو : (ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا)، و" أو " على هذا التقدير إنَّما هي بمعنى الواو فقط ؛ لأنَّ " لا " زائدة لتوكيد النفي .

ونحن إذا ما تساءلنا أي الحرفين أفاد معنى الجمع بينهما في عدم الطاعة أهو " الواو " أم " لا " حتى تكون " أو " بمعنى " لا " ؟؟

فالجواب : إنَّ الواو هي التي أفادت معنى الجمع ، وليست" لا " ، وهذا يؤكد أنَّ " أو " بمعنى الواو ، وأمَّا " لا " فهي لتوكيد النفي فقط .

ــ ما ذهب إليه المبرد وابن السراج والزجاجي في أحد قوليه والرماني وابن جني وأبو البركات الأنباري وابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وابن يعيش والمرادي من أنَّ " أو " في قوله تعالى (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ليست بمعنى الواو ، وإنَّما هي للإباحة(٢) .

أقول : إنَّهم عندما خرَّجوا " أو " عن كونها ليست بمعنى الواو ، إنَّما خرَّجوها على وجه آخر وهو كونها للإباحة ، وهذا إنْ دل على شيء فإنِّما يدل على أنَّ معنى الجمع ظاهرٌ ظهورًا جليًا في الآية الكريمة ؛ لأنَّ معنى الإباحة هو المعنى الوحيد لـ " أو " الذي يتأتي لها فيه معنى الجمع بين المتعاطفين ، فـ" أو " عندهم في الآية الكريمة للإباحة ودلت على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه لزومًا في عدم الطاعة ؛ وطالما دلت " أو " ههنا على الجمع بين المعطوف

---

١ ــ ينظر : ص : ٥١ من هذا البحث.

٢ ــ ينظر : ص : ٥١ من هذا البحث.

والمعطوف عليه لزومًا فقد أفادت بذلك معنى الواو ؛ لأنَّ غاية الأمر أنْ نقولَ: ما معنى الآية في نهاية الأمر ؟ فنجد المعنى على الجمع بين الآثم والكفور في عدم الطاعة ، وعلى هذا تكون " أو " قد استعملت بمعنى الواو .

ــ ما ذهب إليه الزجاجي من كون " أو" في قوله تعالى (ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا) للإبهام .

أقول : ذكر الزجاجي أنَّ " أو " في الآية الكريمة للإبهام ، و من المعروف أنَّ معنى الإبهام : هو أنْ يكون المتكلم عالمًا بحقيقة الأمر غير شاكٍ ولا مترددٍ فيه ؛ ولكنه يُبْهِم على المخاطب(١) .

وعلى هذا فمعنى الآية ــ والله أعلم ــ على القول بكون " أو " للإبهام : أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عالمٌ أنَّ واحدًا منهما هو المقصود بعد الطاعة ، ولكنه أبهم على المخاطبين ، وأمَّا الآخر فغير مقصودٍ بعدم الطاعة ، وهذا المعنى لا يمكن أنْ يكون هو المراد من الآية ؛ إذ جميع من تكلموا في الآية من النحاة لا يخرج تفسيرهم عن أنَّ المراد : لا تطع الآثم والكفور ، وإنْ لم تتفق كلمتهم على المعنى المقصود من " أو " في الآية الكريمة .

ــ ما ذهب إليه الرضي من أنَّ النهي عن الطاعة جمع بين الآثم والكفور في قوله تعالى (ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا) إنَّما هو لأمرٍ خارجٍ عن " أو" ، وهذا الأمر هو كون النكرة في غير الموجب تفيد العموم في الأغلب ، وهناك احتمال مرجوحٌ ألَّا تفيد العمومَ ، وهذا الاحتمال قائمٌ ، والنكرة في الآية الكريمة قد وقعت في سياق غير موجب ، ولكنها في الآية أفادت العموم قطعًا ، وليس غالبًا ؛ لقرينة الأثم والكفر ؛ إذ لا يجوز : لا تُطع واحدًا منهما وأطِع الآخر، وعلى هذا فليس لـ " أو " علاقة بكون النهي عن الطاعة في الآية جمع بين الآثم والكفور ، وإنَّما هو لأمر خارج عن " أو "(٢) .

---

١ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٢٥ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠٠٩ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٣٢.

٢ ــ ينظر : ص : ٥٢ من هذ البحث.

وهنا أودُّ القول إنَّه كان يمكن للرضي ألَّا يدخل في هذا العناء من الكلام الكثير والأخذِ والردِّ ، لإثبات أنَّ النكرةَ في غير الموجب تفيد العموم غالبًا ، ثم يقول هو بعد ذلك أن هناك احتمالًا مرجوحًا ألَّا تفيد العمومَ ، وهذا الاحتمال قائم ، وفي الآية الكريمة وجدنا قرينة تجعل إفادة العموم قطعية ؛ لأنَّ هنا سؤالًا يطرح نفسه وهو : ما المخرج إذن أنْ لم يكن هناك قرينة في حال وقوع " أو" في سياق النفي أو النهي ؟!! وهل هذا يعني أنَّ هناك احتمالًا ألَّا تفيد" أو" عموم الجمع .

وكما قلتُ كان يمكن للرضي ألَّا يدخل في عناء الأخذِ والردِّ ؛ لأنَّ هناك أمرًا يُخَلِّصه من هذا العناء ، ألا وهو القول بأنَّ " أو" في الآية بمعنى الواو ، خاصةً وأنَّ الرضيَ قد أقرَّ بجواز استعمال" أو" بمعنى الواو (١) .

ــ ما ذهب إليه ابن القواس من أنَّ " أو " في قوله تعالى (ولا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا) على أصل وضعها وهو كونها لأحد الشيئين ، و المعنى في الآية: " لا تطع أحد هذين ، وإذا منع من طاعة كلِّ واحد منهما على انفراده ، وأحدهما يصدق على كلِّ واحد منهما ، لزم منه امتناع طاعتهما "(٢) .

أقول : حاول ابن القوَّاس جعل " أو" على أصل وضعها ، ولكن تقدير معنى الآية في نهاية الأمر جَعَلَ " أو " بمعنى الواو ، ومهما كانت العلة التي ذكرها للجمع بينهما في عدم الطاعة ، فهذا يعني أنَّ هناك أمورًا قد تدفع " أو " إلى أنْ تفارقَ معناها الأصلي وتستعمل بمعنى آخر ، وأيضًا العبرة أنْ نقولَ ما معنى " أو " في الآية ؟؟ ويأتي الجواب أنَّها بمعنى الواو ، ومهما كان السبب وراء ذلك ، فالتقدير الأخير يحسم الأمر ، ويجعل " أو " بمعنى الواو .

ــ ما ذهب إليه أبو حيان من أنَّ " أو " في قوله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ) للإباحة(٣) .

---

١ ــ ينظر : ص : ٣٨ من هذا البحث.
٢ ــ ينظر : ص : ٥٣ من هذا البحث.
٣ ــ ينظر : ص :٥٤ من هذا البحث.

أقول : ما ذهب إليه أبو حيان في الآية الكريمة لا يختلف عمَّا قاله ابن مالك عن معنى " أو " فيها ؛ إذ ذهب ابن مالك ــ كما أشرتُ من قبل ــ إلى أنَّ " أو " في الآية للإباحة(١) ، إلا أنَّ الاختلاف بينهما يكمن في أنَّ ابن مالك يرى أنَّ " أو " في حال الإباحة إذا أفادت الجمع فهي بمعنى الواو ، وعلامتها هي : استحسان وقوع الواو موقعها ، وهذه العلامة موجودة في الآية الكريمة ؛ لذا فـ " أو " في الآية الكريمة عند ابن مالك للإباحة بمعنى الواو ؛ لأنَّها أفادت الجمع ؛ لأنَّ جميع مَنْ في الآية يجوز إظهار الزينة لهم إنْ اجتمعوا معًا في وقت واحدٍ ، ويرى ابن مالك أنَّه إذا جاء بالواو مكان " أو " لم يختلف المعنى حال استعمال " أو " أو الواو(٢) .

أمَّا أبوحيان فـ " أو " التي للإباحة عنده لا تكون بمعنى الواو ، حتى لو أفادت الجمع ؛ لأنَّ الواو توجب الجمع بين المتعاطفين ، و" أو " لا توجبه ، ومن ثَمَّ لا يجوز أنْ تكون " أو " بمعنى الواو حتى لو أفادت الجمع بين المتعاطفين .

وأقول : " أو" حال كونها للجمع بين المتعاطفين تكونُ بمعنى الواو ، لكن لا يلزم من هذا أنَّها توجب الجمع ؛ تمشيًا مع المعنى الذي تدل عليه وهو الإباحة، وعندما نقدر الواو مكان " أو" فالواو أيضًا في هذه الحالة لا يلزمها الجمع ؛ تمشيًا أيضًا مع معنى الإباحة؛ لأنَّ الإباحة لا إلزام فيها بالفعل ، ولا حرجَ بالترك، كما أشرتُ من قبل .

وأيضًا العبرة إنَّما هي بالمعنى الذي أفادته " أو" في نهاية الأمر ، حال كونها أفادت الجمع بين المتعاطفين ، فلا يمكن أنْ نقول حينئذٍ هي باقية على أصل وضعها من كونها لأحد الشيئين مع إفادتها معنى الجمع ، فلم يبقَ إلا أنْ تكونَ بمعنى الواو ، وإنْ حاول أبو حيان إنكار ذلك .

---

١ ــ ينظر : ص٣٦ من هذا البحث.

٢ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٤.

ــ ما ذهب إليه ناظر الجيش من أنَّ معنى" أو " في قوله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) ، وقوله تعالى (وَلَاعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ) للتنويع أيّ : التقسيم ، وأنّ الإباحة فيهما إنَّما هي مستفادة من الشرع الشريف، والمقصود إنَّما هو ذكر الإباحة اللغوية التي تستفاد من الكلام(١).

أقول: أُستُعملت" أو " على وفق المعنى الذي أراده الشرع من الآية وهو الإباحة ، وعلى هذا فالإباحة مستفادة من جانب الشرع ، وهي مستفادة أيضًا من الناحية اللغوية ، ولا يتأتي بحال من الأحوال أنْ تكون " أو " في الآيتين للتقسيم أو التنويع ؛ إذ في التقسيم يذكر الشيء الذي سيُقسم أولًا ثم يُتْبَعُ ببيانِ أقسامِه ، كما هو الحال في نحو قولهم : " الكلمة : اسم أو فعل أو حرف " ، لكن في الآيتين الشريفتين ما هو الشيء الذي قُسِم أو نُوِع ؟؟! ولذا أرى أنَّ " أو " في الآيتين السابقتين للإباحة بمعنى الواو .

ــ ما ذهب إليه ابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وأبو حيان من أنَّ " أو" في قوله تعالى(عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) للتفصيل ؛ لأنها فصَّلت الذكر إلى ما هو عُذر أي : حُجَّة ، وإلى ما هو نُذر أي : تخويف(٢) .

أقول : وما المانع من كونها للجمع بمعنى الواو ، والمراد من الذكر الجمع بين الإعذار والتخويف ، خاصة وقد وجدنا من المفسرين من جعل " أو " في الآية إنَّما هي في حقيقة الأمر الواو ، وجعل الألف زائدة ، ووجدنا الكثير منهم قد قدَّروا المعني بالواو ، ووجدنا من منهم قرأ الآية بالواو بدلًا من " أو "، ووجدنا الزجاج والعكبرى أثناء تفسيرهما للآية قد جعلا " أو " في بمعنى الواو(٣) ؛ وهذا كلُّه يؤكد أنَّ معنى الجمع ظاهرٌ بوضوح في الآية الكريمة ، وأنَّ " أو" بمعنى الواو .

---

١ ــ ينظر : ص : ٥٤ من هذا البحث.
٢ ــ ينظر : ص : ٥٤ من هذا البحث.
٣ ــ ينظر : ص : ٣٣ ، ٣٤ من هذا البحث.

ــ ما ذهب إليه ابن عصفور ــ فيما نسبه إليه ناظر الجيش ــ وأبوحيان من كون " أو" في قوله تعالى (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخشَى) ، وقوله تعالى (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) ، وقوله تعالى(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) ليست بمعنى الواو وإنَّما هي للإباحة(١).

أقول : " أو " في الآيات السابقة بمعنى الواو وليست للإباحة ؛ لأنَّ الجمعَ هو المقصود في معان الآيات :

ففي في الآية الأولى : الأبلغ في الانكفاف أنْ يجمع المرء بين التذكر والعظة والخشية من الله ، لا أنَّه يباح له أحدهما دون الاخر أو الجميع على سبيل الإباحة ، والمعنى : لعله يتعظ ويخاف فيُسْلم .

لذا أرى أنَّ الأولى حمل الآية على وجوب الجمع لا على إباحة الجمع ؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الانكفاف ، وممَّا يؤكد كون " أو " بمعنى الواو للجمع ، وليست للإباحة أنَّ من المفسرين من نصَّ على أنَّ" أو " في الآية هي الواو حقيقة ، والألف فيها زائدة(٢).

وكذا في الآية الثانية : المرجو من المخاطبين أنْ يتقوا الله ويخشوا عقابه ، ومِنْ ثَمَّ يؤمنون به ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم عقابه ، وليس المراد أنَّ أحدَ الأمرين مباحٌ دون الآخر، أو مباح لهم الجمع بينهما ، فمعنى الإباحة غير مقصود في الآية الكريمة ، وخاصة أنَّ من المفسرين ــ كما أشرتُ من قبل ــ مَنْ قال إنَّ " أو " في الآية إنَّما هي الواو والألف زائدة(٣) ، ومنهم من جعلها بمعنى الواو وقالوا : إنَّ المقصود حصول الأمرين معًا(٤) ، وهذا يؤكد أنَّ " أو " بمعنى الواو ، وليست للإباحة .

وكذا الحال في الآية الثالثة : الأولى جعل " أو " بمعنى الواو للجمع ، وليست للإباحة ؛ لأنَّ قصة المنافقين مشبهةٌ بهاتين القصتين معًا ، وكلا الحالين

---

١ ــ ينظر : ص : ٥٤ من هذا البحث.
٢ ــ ينظر : ص : ٣٥ من هذا البحث.
٣ ــ ينظر : ص: ٣٤ من هذا البحث.
٤ ــ ينظر : ص :٣٤ من هذا البحث.

ينطبق عليهم ، وعلى هذا فالأولى أنْ نقولَ حالهم مثل كذا وكذا ؛ لأنَّ كلا التشبيهين منطبقٌ عليهم تمامًا ، فالجمع بينهما في وصف حال المنافقين أولى من جعل الأمر على سبيل الإباحة ، وقد وجدنا من المفسرين من جعل " أو " بمعنى الواو في الآية الكريمة ، وجعلوها دالة على ما تدل عليه الواو من معنى الجمع(١) .

وأرى أنَّ جعل " أو" بمعنى الواو للجمع يجعل حال المنافقين أشد قبحًا وبشاعةً ، لعل من يرى أنَّ هذا هو حالهم وصفتهم عند الله تعالى ينزجر ويرجع عن النفاق ويعود إلى الاتصاف بالإيمان الكامل .

ــ ما ذهب إليه البصريون ومن تبعهم من كون " أو" ليست بمعنى الواو في قول الشاعر :

قالت ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ

وقالوا إنَّ الرواية في البيت إنَّما هي : " ونصفه فقد " بالواو؛ وعلى هذا فلا يكون البيت شاهدًا للكوفيين ، ولو سلَّمنا أنَّ الرواية على ما رويتموه فنقول: " أو" فيه باقية على أصلها ، ولكنها للشك ، و التقدير : ليتما هذا الحمام أو هو ونصفه ، فحذف المعطوف عليه وحرف العطف وهو الواو ، كقوله تعالى(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ)أي: فضرب فانفجرت(٢) .

وسأذكر هنا ما رد به الدكتور / محمد محيي الدين عبد الحميد في كتابه (الانتصاف من الإنصاف) على البصريين ومن تبعهم يقول الدكتور / محمد محيي الدين : " و يؤيد ما ذهب إليه الكوفيون أمران الأول: أنَّه يروى " ونصفه " بالواو، والعبارة إذا رويت بروايتين ، ووضعت في إحداهما كلمة مكان كلمة في الرواية الأخرى دلَّ ذلك على أنَّ الكلمتين بمعنى واحد ، والثاني: أنَّ فتاة الحي التي حكى النابغة عنها أنَّها قالت " ألا ليتما " إلى آخر البيت كانت قد تمنت هذا الحمام ونصفه منضمًّا إلى حمامتها ، ويرون عنها أنَّها قالت :

---

١ ــ ينظر : ص : ٣٦ من هذا البحث.

٢ ــ ينظر : ص : ٥٥ من هذا البحث.

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قديه تم الحمام ميه

ولا يتم الحمام مائة إلا إذا انضم الحمامُ إلى نصفِه إلى حمامتِها ، بدليل قول النابغة في هذه القصة من أبيات القصيدة :

فحسبوه فألفوه كما ذكرت ستًا وستين لم تنقص ولم تزد

ولو كانت "أو" على أصله لم تصلح هذه الحسبة .

وتخريج المؤلف(١) لهذا البيت على أنَّ في الكلام حذف المعطوف عليه وحرف العطف ، وأنَّ تقدير الكلام : ليتما هذا الحمام لنا أو هو ونصفه – مع بقاء أو على معناها الأصلي– بعيدٌ كل البعد ، فوق أنَّه لا مستند له من قواعد النحاة ، فإنَّ الذي تعودوا أنْ يقولوه : إنَّ المحذوف هو الحرف العاطف والمعطوف به ، كما في الآية الكريمة التي تلاها (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ) التقدير: فضرب فانفجرت ، فالمحذوف الذي قدره هو " فاء " العطف والفعل الذي تعطفه هذه الفاء على ما قبله ، فأمَّا ما قدره في البيت فهو معطوف على اسم مذكور بحرف مذكور وعاطف آخر لاسم مذكور على المعطوف المحذوف ، وهذا شيء عجيب أوقعه فيه التعصب للبصريين ولو سلمنا أنَّ ذلك جائزٌ لما صلح أيضا ؛ لأنَّ مراد النابغة أنْ يصف هذه الفتاة بدقة النظر وسرعة الحساب فكيف يتفق ذلك مع شكلها فيما تتمناه ؟!! "(٢) .

فرد الدكتور / محمد عبد الحميد على البصريين ومن تبعهم كافٍ ، ولا مجال بعده لأيّ قول ينكر كون " أو " في البيت السابق بمعنى الواو ، خاصةً وقد وجدنا ابن جني ــ وهو من المؤيدين لمذهب البصريين ــ يقول في أحد قوليه تعليقًا منه على هذا البيت السابق :" معناه: ونصفه ، ولعمري إنْ كان كذا معناه ، وكيف لا يكونُ كذلك ، ولا بُدَّ منه وقد كثرت فيه الرواية أيضًا بالواو: ونصفه"[٣] .

---

١ ــ يقصد به أبا البركات الأنباري صاحب كتاب (الإنصاف) ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩٥.

٢ ــ الانتصاف من الإنصاف للدكتور / محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى: ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م : ٢ / ٣٩٢ ، ٣٩٣.

٣ ــ الخصائص : ٢ / ٤٥٩.

فابن جني في قوله السابق يُقْسِمُ أنَّ المعنى على الواو ، وهو نفسه قال وكيف لا يكون المعنى على الواو، والبيت كثرت روايته بالواو ، ولكن التعصب كما ذكر الدكتور / محمد محيي الدين يدفع البصريين إلى محاولة إثبات ما يروه بأي وسيلة ، وإنْ كانوا هم أنفسُهم مائلين إلى غير مذهبهم .

ــ ما ذهب إليه السيرافي وابن جني من أنَّ " أو " في قول الشاعر :

أَلَا فالبَثَا شَهْرَينِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكما ما غَيَّبَتَنِي غِيَابِيَا

ليست بمعنى الواو ، وأنَّ المعنى : شهرين أو شهرين ونصف ثالث أي على حذف المعطوف عليه (شهرين) ، وحرف العطف وهو الواو(١) .

أقول : السيرافي وابن جني قالا إنَّ " أو " ليست بمعنى الواو ، وذكرا أنَّ المعنى : البثا شهرين أو شهرين وبعض ثالث ، وعللا ذلك بأنَّه لا يمكن لبث بعض ثالث إلا بلبث شهرين قبله ، مع أنَّ المعنى ههنا يؤكد كون " أو " بمعنى الواو ؛ لأنَّهما يقولان : لابد قبل لبث نصف الثالث أنْ يكون هناك شهران يلبثهما، وعلى ما قالاه فالأولى أنْ يكون " بعضُ ثالثٍ " معطوفًا على " شهرين "

بـ " أو " التي بمعنى الواو ، والمعنى : شهرين ونصف ثالث ، وليس هناك داعٍ لتأويل محذوفٍ كما قالا ؛ لأنَّ على ما قالاه يلزم حذف معطوف على اسم مذكور بحرف مذكور وهو " شهرين " المعطوف على شهرين المتقدم بحرف مذكور وهو " أو " ، ويكون أيضًا قد حُذِف حرفُ العطف وهو الواو الذي عطف " بعض ثالث " على معطوف محذوف وهو " شهرين " الواقع بعد " أو " ، فكأن كلمة " شهرين " المحذوفة قد وقعت بذلك معطوفًا عليه ومعطوفًا في ذات الوقت ، وهذا الذي ذهب إليه السيرافي وابن جني أمرٌ عجيبٌ غير معتادٍ في حذف المعطوف عليه والمعطوف وحرف العطف ، وقد دفعهما إلى هذا محاولة إثبات صحة مذهبهم بأيّ وسيلة ، حتى لو كان مخالفًا لما اعتاده النحاة .

ــ ما ردَّ به أبوعلي الفارسي على ما استشهد الكوفيون ومن تبعهم من كون " أو " بمعنى الواو في قول الشاعر :

---

١ ــ ينظر : ص : ٥٥ من هذا البحث.

وكانّ سِيّان ألا يَسْرحُوا نَعَمًا أو يَسْرَحُوه بها واغْبَرَّتِ السُّوحُ

قال الفارسي : " إنما حسُن له استعمال " أو " ، مع أنّه لا يجوز: سيّان لأحدهما لما رأى : " جالِس الحسنَ أو ابن سيرين " ؛ فيجوز له أنْ يجمع بين مجالستهما ، وليس من حيث كون " أو " بمعنى الواو(١) .

أقول : معنى كلام الفارسي أنَّ الشاعر لما رأى " أو " في الإباحة أفادت معنى الجمع ، ولكنها ليست بمعنى الواو ، جاز له في هذا البيت أنْ يستعملَها للجمع كما اُستُعملت هناك ، وهي أيضًا في البيت السابق ليست بمعنى الواو عند الفارسي .

ومن ثَمَّ أقول : الفارسي يقول : إنَّ الشاعر آنسه استعمالها في الإباحة للجمع ، فاستعملها في البيت أيضًا لمعنى الجمع ، وأرى أنَّ " أو "حال كونها للإباحة إذا أفادت الجمع بين المتعاطفين فهي بمعنى الواو ، وإذا كانت حال إفادتها للجمع بمعنى الواو ، فالأولى أنْ تكونَ في قول الشاعر أيضًا بمعنى الواو ؛ لأنَّ هناك أمرًا يوجب كونها بمعنى الواو وهو قوله : " سيان " الذي يطلب شيئين ، ولا يستعمل إلا بالواو .

وهنا أتساءل : إذا كان الفارسي يقول إنَّ " أو " إذا دلت على الجمع لا تكون بمعنى الواو ، وإذا لم تكنْ " أو " بمعنى الواو فما هو الحرف الذي تكون " أو " بمعناه إذن ؟!!

وأقول : الأصل الذي وُضِعت له " أو " أنْ تكون لأحد الشيئين أو الأشياء ، ولم توضعْ " أو " للدلالة على معنى الجمع ، فإذا دلت " أو " على معنى الجمع فهذا يعني أنَّها تركت معناها الأصلي الذي وُضِعت له واستعملت بمعنى حرف آخر ، حرف العطف الذي وُضِع للدلالة على معنى الجمع هو الواو ، وعلى هذا تكون " أو " قد اُستُعملت بمعنى الواو للجمع .

وأيضًا أمر آخر أودُّ الإشارة إليه وهو أنَّ ما ذكره أبو علي الفارسي يُعدُ من باب " تدرج اللغة " الذي أشار إليه ابن جني ، فكأن دلالة " أو " معنى الجمع

---

١ ــ ينظر : ص : ٥٦ من هذا البحث.

كالواو كان في بداية الأمر حال كونها للإباحة ، ثم تدرجت شيئًا فشيئًا وصارت تستعمل لمعنى الجمع كالواو مطلقًا في غير الإباحة ، كما هو الحال في البيت الذي تحدث الفارسي عنه .

ــ ما ذهب إليه السيرافي والصيمري وأبو حيان من أنَّ " أو" في قول الشاعر :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

ليست بمعنى الواو ، ولكنها لأحد الشيئين ، وقد جاءت للإبهام(١) .

أقول : الذي أميلُ إليه هو أنَّ " أو " ليست للإبهام ، ولكنها بمعنى الواو كما هو الحال في قوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(٢) فقد عُطِف بين الجملتين بالواو ، والمعنى الموجود في الآية الكريمة هو نفس المعنى الذي في قول الشاعر ، فقوله تعالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ) يقابله قول الشاعر: " لنفسي تقاها " ، وقوله تعالى (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) يقابله قول الشاعر : " عليها فجورها "، وهذا يؤيد كون " أو " في البيت بمعنى الواو اقتضاءً بالآية الكريمة.

ــ ما ذهب إليه السيرافي و ابن عصفور وأبو حيان من أن " أو " في قول الشاعر :

فَلوكَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ
عَلَى المرأَين إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا لِشَأْنِهما بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

لإثبات أحد الشيئين في وقت دون وقت ، وكأنه قال : بكيت على بجير مرة وعلى عفاق أخرى ، أو هذا في حال وهذا في حال أخرى(٣) .

أقول : هو يقول إذا كان البكاءُ يرد شيئًا ممَّن فقدناه لبكيت على فقدي لبجير وعفاق ، فهو سيبكي عليهما معًا ليردهما معًا ، وليس الأمر كما ذهب السيرافي وابن عصفور وأبو حيان من أنَّه يبكي على هذا في حال وهذا في حال

---

١ ــ ينظر :ص: ٥٦ من هذا البحث.
٢ ــ سورة البقرة من الآية : ٢٨٦.
٣ ــ ينظر : ص : ٥٦ من هذا البحث.

أخرى ، وليس من المعقول أنْ يكونَ قد أفرد كلٌّ منهما بالبكاء ، ومن المعروف لنا أنَّ مَنْ يبكِي على فقد عزيز يتذكر كلَّ من مات من أحبابه ، ومن ثَمَّ فهو يبكيهم جميعًا ، وأيضًا ممَّا يؤيد كون " أو " بمعنى الواو أنَّ الشاعر قال : على المرأين ؛ لأنَّه أراد بذلك : على بجير وعفاق ؛ فأبدل اثنين من اثنين ؛ ولو كانت " أو " ليست بمعنى الواو لقال : على المرءِ .

ــ ما ذهب إليه أبو حيان من أنَّ " أو " في قول الشاعر :

جَاءَ الخِلافَةَ أَوْ كانتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتى رَبَّهُ مُوسى على قَدَرِ

ليست بمعنى الواو ، ولكنها للشك(١) .

أقول : جَعْل " أو " بمعنى الواو أبلغ في المدح من جعلها للشك ؛ لأنَّ المعنى على جعل " أو " بمعنى الواو أنَّه نال الخلافة وكانت مقدرةً له عند الله تعالى ، والمعنى على جعل " أو" للشك : أنَّه أراد الخلافة وهذا يدل على أنَّه سعى في طلبها ، أو أنَّها كانت قدرًا له من عند الله تعالى .

وأيضًا ممَّا يؤكد كون " أو " في البيت بمعنى الواو أنَّ الرواية المشهورة في البيت وهي قوله : " إذ كانت " مناسبة لكون " أو " بمعنى الواو ، ولا تتناسب إطلاقًا مع جعل " أو " للشك .

ــ ما احتج البصريون ومَنْ تبعهم من قول الخليل إنَّ " خُوَيْرِبين" في قول الشاعر :

إن بها أكتلَ أو رِزاما خُوَيْرِبَين ينقُفان الهَامَا

نصبٌ على الشتم عند الخليل ، و نصبٌ بتقدير" أعني" عند المبرد ، وليست " أو " في البيت بمعنى الواو كما ذهب الكوفيون (٢) .

أقول : ما نُقِل عن الخليل وما ذكره المبرد ليس أمرًا مجزومًا به بل هو على سبيل الاحتمال ، ويحتمل أيضًا أنْ تكون " أو " بمعنى الواو ويكون " خويربين " نعتًا لما قبلها ، فكلا الاحتمالين قائمان ، وليس في البيت ما يرجح

---

١ ــ ينظر : ص : ٥٧ من هذا البحث.

٢ ــ ينظر : ص ٥٧ من هذا البحث.

أحدهما على الآخر ، لكن إذا ما أخذنا في الاعتبار مجيء " أو" بمعنى الواو في شواهد أخرى ، فهذا يُرجِّح كون " خويربين " نعتًا لـ " أكتل ورزام " ، وعلى هذا فـ " أو " في البيت بمعنى الواو .

وبعد الردِّ على ما رَدَّ به البصريون ومن تبعهم مذهب الكوفيين ومَنْ تبعهم: يتبين لنا صحة مذهب الكوفيين ومن تبعهم والقائل بأنَّ " أو" تستعمل بمعنى الواو في الإباحة وغيرها عند أمن اللبس ؛ وذلك لكثرة الشواهد التي اُسْتُعملت فيها " أو" بمعنى الواو ، والتي تؤيد صحة ما ذهب إليه الكوفيون ، وأيضًا قد رأينا الخليل ــ وهو من أئمة مدرسة البصرة ــ قد أورد شواهد اُسْتُعملت فيها " أو" بمعنى الواو ، وهذا يدل على أنَّ استعمال " أو" بمعنى الواو في الإباحة وغيرها عند أمن اللبس أمر وارد في كلام العرب ، ومن البصريين أنفسهم مَنْ أجازه .

<u>وممَّا يؤيد أيضًا صحة مذهب الكوفيين ومن تبعهم ما يلي :</u>

ــ وردت عدة شواهد اُسْتُعملت فيها " أو" في رواية ، واستعملت فيها الواو في رواية أخرى ، ومنها الحديث الشريف الذي استشهد به ابن مالك على استعمال " أو" بمعنى الواو وهو قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " اسكنْ حرا فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد " ، قد ورد هذا الحديث االشريف في صحيح البخاري برواية الواو بدلًا من " أو" ، ولفظ الحديث : " اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ"[1]، وهذا يؤيد كون "أو" بمعنى الواو؛ لأنَّ الشاهد إذا ورد في روايتين بحرفين مختلفين دل هذا على كونهما أحدهما بمعنى الآخر، والظاهر ظهورًا جليًا من المعنى أنَّ "أو" هي التي اُسْتُعملت بمعنى الواو .

ــ بالرغم من أنَّ أبا حيان من القائلين بأنَّ " أو" لا تستعمل بمعنى الواو ، وقد خرَّج الشواهد التي احتج بها الكوفيون ومن تبعهم لتأييد مذهبهم على أوجه أخرى غير كونها بمعنى الواو ، أقول : على الرغم من ذلك ذكر أبو حيان صراحة

١ــ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب " أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم " ٣٦٧٥ " : ٥ / ٩.

في كتابه (البحر المحيط) أنَّ " أو" تأتي بمعنى الواو ، وذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(١) فقال أبو حيان :" وقد تجيء" أو " في معنى الواو إذا عطفت ما لا بُدَّ منه كقوله :

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

يريد : وسافع ، فكذلك هنا يجوز في " أو " أن تكونَ بمعنى الواو ؛ لأنه لمَّا ذكر " عَمَلَ عَامِلٍ " دل على العموم ، ثم أَبْدلَ منه على سبيل التأكيد ، وعطف على أحد الجزأين ما لا بُدَّ منه ؛ لأنَّه لا يُؤكِّد العموم إلا بعمومٍ مثله ، فلم يكن بُدٌّ من العطف حتى يُفيد المجموع من المتعاطفين تأكيد العموم ، فصار نظير:مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ ؛ لأنَّ بين لا تدخل على شيءٍ واحدٍ ، فلابُدَّ من عطف مصاحب مجرورها " (٢) .

وبالنظر في قول أبي حيان السابق نجد أنَّه قد ذكر صراحة أنَّ " أو " تأتي بمعنى الواو ، واستشهد على ذلك بشاهد ممَّا احتج به الكوفيون على صحة مذهبهم ، وقد جعل " أو " في الآية الكريمة بمعنى الواو ، وعلل لذلك بأنَّ قوله تعالى " عملَ عَاملٍ منكم " تدل على العموم المتمثل في الضمير " كم " ، وقد أَبدل منه على سبيل التأكيد ، ولا يؤكد العموم إلا بمثله ، ولم يكن بدٌّ من العطف على قوله تعالى " ذكر "بقوله تعالى" أو أنثى " ؛ حتى يفيد المجموع من المتعاطفين معنى العموم ، ولكى يتسنى إفادة العموم في الآية كان لا بُدَّ من جعل " أو " بمعنى الواو ، فصار نظير : " مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ " ، فـ " أو " في الآية بمعنى الواو ، كما كانت بمعناها في قول الشاعر .

وبهذا يكون أبو حيان من المجيزين لمجيء " أو " بمعنى الواو في بعض الشواهد .

---

١ ــ سورة آل عمران من الآية : ١٩٥.

٢ ــ البحر المحيط : ٣ / ٤٧٧ ، ٤٧٨.

وأقول : على الرغم من محاولة البصريين ومن تبعهم إنكار مجيء " أو " بمعنى الواو ، إلا أنَّهم قد اضطروا للاعتراف بمجيئها بمعنى الواو في بعض الشواهد ، وهذا يدل على صحة مذهب الكوفيين ومن تبعهم ، وأنَّ مجيء " أو " بمعنى الواو عند أمن اللبس ووجود القرينة أمرٌ ينبغي التسليم والاعتراف به في بعض الشواهد ، وعدم إنكاره بشكل مطلقٍ ؛ لأنَّ المستعمل من كلام العرب قد أكد صحة مجيء " أو " بمعنى الواو نثرًا ونظمًا ، وفي هذه الشواهد قد دل المعنى وسياق الكلام على أنَّ " أو" فيها ليست بمعناها الأصلي ، ولكنها خرجت عنه واُستُعملت بمعنى الواو ، والذي ينبغي الاعتداد به هو ما يدل عليه ظاهر المعنى ، ولا ينبغي أنْ نلجأ للتأويل وتقدير محذوف لكي نثبت أنَّ " أو " لا تكون بمعنى الواو ، في حين أنَّ هناك العديد من الشواهد قد أيدت هذا الاستعمال .

ثانياً : استعمال " أو " بمعنى " بل " للإضراب .

ورد في العديد من الشواهد استعمال " أو " بمعنى " بل " للإضراب ، وللنحاة في استعمال " أو " للإضراب بمعنى" بل" مذهبان :

فذهب البصريون إلى أنْ " أو" لا تأتي بمعنى" بل " للإضراب(١).

وقد احتج البصريون على ما ذهبوا إليه بأنَّ الأصل في "أو" أنْ تكون لأحد الشيئين على الإبهام ، بخلاف "بل " ؛ لأنَّ معناها الإضراب ، وهو مخالفٌ لمعنى " أو " ، و الأصل في كل حرف أنْ يستعملَ فيما وُضِع له ؛ لئلا يُفضي إلى اللبس وإسقاط فائدة الوضع(٢) .

وذهب الكوفيون وتبعهم أبو علي الفارسي والهروي وابن برهان إلى أنَّ " أو " ترد بمعنى " بل " للإضراب (٣) .

---

١ ــ ينظر : الإنصاف : ٢ / ٣٩١ ، اللباب : ١ / ٤٢٤ ، ائتلاف النصرة : ٧٥.

٢ ــ ينظر : الإنصاف : ٢ : / ٣٩٣ ، اللباب : ١ / ٤٢٤.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن للفراء : ١/ ٧٢ ، مجالس ثعلب : ١١٢، الأزهية في علم الحروف : ١٢١، شرح اللمع لابن برهان : ١ / ٢٤٧ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩١ ، اللباب : ١ / ٤٢٤ ، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢١، الجنى الداني : ٢٢٩ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠٠٩ ، المغني : ١ / ٧٦ ، ٧٧ ، ائتلاف النصرة : ٧٥ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٧٨.

قال الفراء :" اذهب إلى فلانٍ أو دع ذلك فلا تبرح اليوم ، قد دلك هذا على أنَّ الرجل قد رجع عن أمره الأول وجعل" أو " في معنى" بل "(١) .

وقد أجاز سيبويه أيضًا أنْ تكون" أو" بمعنى " بل " في النهي والنفي إذا كررت العامل فقال : " وإذا قلت: ألست أخانا أو صاحبنا أو جليسنا ، فإنك إنَّما أردتَ أنْ تقول: ألست في بعض هذه الأحوال ، ولا يجوز أنْ تريدَ معنى ألست صاحبنا أو جليسنا أو أخانا ، وتكرِّر لست مع " أو " إذا أردت أنْ تجعله في بعض هذه الأحوال ، ألا ترى أنَّك إذا أخبرت فقلت : لست بشرًا أو لست عمرًا ، أو قلت: ما أنت ببشر أو ما أنت بعمرو ،لم يجيء إلا على معنى : لا بل ما أنت بعمرو ، ولا بل لست بشرًا "(٢).

فقد جعل سيبويه " أو " بمعنى" بل " في قولهم :" لست بشرًا أوْ لست عمرًا"، وقولهم : " أنت ببشر أو ما أنت بعمرو" .

وقد أفسد المبرد مذهب الكوفيين من وجهين :

الأول : أنَّ " أو " لو وقعت في هذا الموضع موقع " بل " لجاز أنْ تقع في غير هذا الموضع ، وكنتَ تقولُ : "ضربتُ زيدًا أو عَمْرًا "

و" وما ضربت زيدًا أو عمرًا " على غير الشك ، ولكن على معنى " بل " وهذا مردودٌ عند جميعهم .

الثاني : أنَّ " بل " لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلطٍ أو نسيان ، وهذا منفي عن الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنَّ القائل إذا قال : " مررت بزيد غالطًا " فاستدرك أو ناسيًا فذُكِّر ، قال : بل عمرٌو ؛ ليُضْرب عن ذلك ، ويثبت ذا، وتقول :" عندي عشرة بل خمسة عشر " على مثل هذا ، فإذا أتى بعد كلام قد سبق من غيره فالخطأ إنَّما لحق كلام الأول(٣) .

وقد تبع أبو حيان المبرد وأفسد هو الآخر مذهب الكوفيين بذات الوجهين اللذين أفسد بهما المبرد مذهب الكوفيين(٤) .

---

١ ــ معاني القرآن للفراء : ١ / ٧٢.
٢ ــ الكتاب : ٣ / ١٨٧.
٣ ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠٥.
٤ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٣.

أدلة الكوفيين ومن تبعهم :

ــ استدل الكوفيون ومَنْ تبعهم على صحة ما ذهب إليه بأنَّ " أو " قد اُسْتُعمِلت بمعنى "بل" كثيرًا في كتاب الله تعالى وكلام العرب نثرًا ونظمًا ومن ذلك:

ــ قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)(١) فذهب الكوفيون ومَنْ تبعهم إلى أنَّ " أو" في الآية الكريمة بمعنى " بل"(٢) .

وقد جعل الخليل بن أحمد" أو " في الآية السابقة بمعنى" بل " ، ولكن الخليل ذهب إلى انَّ " أو " المذكورة في الآية السابقة إنَّما هي عبارة عن " الواو " وليست " أو " فقال الخليل : " والواو التي في موضع " بل " قوله تبارك وتعالى (وَأرسلناه إِلَى مائَة ألفٍ أَوْ يزيدُونَ) معناه : بل يزيدون "(٣) .

وما ذكره الخليل من أنَّ " أو" في الآية إنَّما هي الواو لم أجد غيره من النحاة ــ فيما تيسر لي من الاطلاع ــ مَنْ قال به ؛ لأنَّ القراءة المشهورة في الآيتين إنَّما هي" أَوْ " بسكون الواو .

إلا إذا كان الخليل يقصد بحديثه هذا بيان معنى الآية على قراءة من قرأ الآية بالواو(٤) ، مع أنَّني أستبعدُ أنْ يكونَ هذا هو قصد الخليل .

وهنا أودُّ القول : بغض النظر عن حقيقة " أو " في الآية الكريمة أ هي "أَوْ" أم الواو والهمزة ؟؟ فما ذكره الخليل في قوله السابق يعني أنَّه قد أجاز أنْ تكون الواو في الآية الكريمة بمعنى " بل " للإضراب وقد جعل معنى الآية : بل يزيدون ، وهذا المعنى قد رفض غيره من البصريين أنْ يكون هو معنى الآية ، مع أنَّه جائز عند الخليل وهو مَنْ هو !!

١ــ سورة الصافات آية : ١٤٧.

٢ــ ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٢٥٠ ، شرح السيرافي : ٣ / ٤٣١ ، شرح التسهيل : ٣٦٣/٣، رصف المباني : ١٣٢ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣١ ، الجنى الداني : ٢٢٩ ، توضيح المقاصد للمرادي : ٢ / ١٠٠٩ ، المغني : ١ / ٧٧ ، مصابيح المغاني : ٥٣ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤.

٣ــ الجمل في النحو : ٣١٠.

٤ــ هي قراءة جعفر بن محمد. ينظر : المحتسب : ٢ / ٢٢٦.

وقد أيَّد الرضي و ابن الصائغ والسيوطي والشيخ مصطفى الغلاييني القول بكون " أو " في الآية السابقة بمعنى" بل" (١) .

وقد فسَّر الرضي المقصود بالإضراب في الآية الكريمة قائلًا :" وإنَّما جاز الإضراب بـ" بل" في كلامه تعالى ؛ لأنَّه أخبر عنهم بأنَّهم مائة ألف بناء على ما يحزر الناس من غير تعمق ، مع كونه تعالى عالمًا بعددهم وأنَّهم يزيدون ، ثم أخذ تعالى في التحقيق ، فأضرب عمَّا يغلط فيه غيره بناء منهم على ظاهر الحرز، أي : أرسلناه إلى جماعة يحزرهم الناس مائة ألف وهم كانوا زائدين على ذلك"(٢) .

كما أيَّد أبو هلال العسكري وأبو منصور الثعالبي والفيروزآبادي القول بأنَّ " أو " في الآية بمعنى" بل"(٣) .

ومن المفسرين من أيَّد كون " أو " في الآية بمعنى بل ومن هؤلاء : ابن عباس ومقاتل بن سليمان ويحيي بن سلام و أبي عبيدة وعبدالله بن الحسين السامري والسمر قندي والواحدي وابن عاشور(٤) .

وقد اضطرب رأي الزجاجي في معنى" أو " في الآية السابقة فتارة يقول إنَّها للإبهام(٥)، وتارة يقول إنَّها للإضراب بمعنى" بل"(٦) .

١ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢١ ، اللمحة في شرح الملحة : ٢ / ٦٩٥ ، الإتقان : ٢ / ٢٠٨ ، معترك الأقران : ٢ / ٧٣ ، جامع الدروس العربية : ٣ / ٢٤٧.

٢ ــ شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢١.

٣ ــ ينظر : الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري بتحقيق /محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة، الطبعة: الأولى : ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م : ٣٩٤ ، فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي بتحقيق/عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م: ٢٤٨ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :٢ / ١٢٢.

٤ــ ينظر : تنوير المقباس : ٣٧٩ ، تفسير مقاتل بن سليمان : ٣ / ٦٢١ ، التصاريف لتفسير القرآن ممَّا اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه : ٢٥٨ ، مجاز القرآن : ٢ / ١٧٥ ، اللغات في القرآن لعبد الله بن الحسين السامري بتحقيق / صلاح الدين المنجد ، مطبعة الرسالة ــ القاهرة ، الطبعة: الأولى : ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦ م : ٤٢ ، بحر العلوم: ٣/١٥٣، الوجيز: ٩١٥، التحرير والتنوير: ٢٣ / ١٨٠.

٥ ــ ينظر : حروف المعاني والصفات : ١٣.

٦ ــ ينظر : حروف المعاني والصفات : ٥٢.

كما تعددت أقوال الزركشي في معنى" أو " في الآية السابقة فتارة يقول إنَّها للإبهام وتارة يقول إنَّها للشك ، وتارة يقول إنَّها للإضراب(١) .

وقد ردَّ البصريون ومَنْ تبعهم القولَ بأنَّ " أو " في الآية الكريمة السابقة بمعنى" بل " وخرَّجوا الآية على أوجه أخرى :

نسب ابن الشجري إلى سيبويه القول بأنَّ " أو" في الآية للتخيير وذكر أنَّ المعنى عنده : أنَّه إذا رآهم الرائي يُخَيَّرُ في أنْ يقول : هم مائة ألفٍ ، وأنْ يقول: أو يزيدون(٢) .

وفيما نسبه ابن الشجري لسيبويه نظرٌ ؛ لأنَّ سيبويه لم يقلْ في كتابه هذا القول الذي نسبه إليه ابن الشجري .

ودهب المبرد إلى أنَّ " أو " في الآية للإباحة كما كانت للإباحة في قولهم : " ائْت زيدًا أو عَمْرًا أوْ خالدًا " تريد ائت هذا الضرب من الناس ، فكأنه قال ــ والله أعلم ــ إلى مائة ألف أو زيادة(٣) .

وذهب ابن قتيبة إلى أنَّ " أو" في الآية ليست بمعنى" بل" ؛ وعلل ذلك بأنَّ جعلها بمعنى" بل" يجعلها تداركًا لكلام غلطت فيه ؛ ولذا ذهب إلى أنها في الآية بمعنى الواو والمعنى عنده : ويزيدون(٤) .

وقد ذكر النحاس أنَّ قول الفراء وأبي عبيدة إنَّ " أو " تأتي بمعنى" بل" خطأٌ عند أكثر النحويين الحذاق ، وذكر أنَّه لو كان كما قال القراء وأبوعبيدة لكان: وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف أخصر ، واستغنى عن " أو "(٥) .

وقد ذكر النحاس أنَّ القول بأنَّ " أو" بمعنى " بل " لا يصح وعلل ذلك بأنَّ ""بل" ليس هذا من مواضعها ؛ لأنَّها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده ، وتعالى الله ــ عزَّ وجل ــ عن ذلك أو الخروج من شيء إلى شيء ، وليس هذا

---

١ ــ ينظر : البرهان : ٤ / ٢١٠.
٢ ــ ينظر : امالي ابن الشجري : ٣ / ٧٧.
٣ ــ ينظر : المقتضب : ٣ / ٣٠٤.
٤ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٢٩٠.
٥ ــ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦ / ٦٠.

موضع ذلك ، وذهب النحاس إلى أنَّ في الآيــة قــولين : أحــدهما : أنّ المعنــى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر ، وإنّمــا خوطــب العباد على ما تعرفون ، والقول الآخر : أنَّه كما تقول : جاءني زيــد أو عمــرو، وأنت تعرف من جاءك منهما إلّا أنَّك أبهمت على المخاطب(١).

وذهب السيرافي إلى أنَّ" أو" في الآية الكريمة إمَّــا للإباحــة والمعنــى: وأرسلناه إلى بشرٍ كثيرٍ ، يحذرهم من يراهم بمائة ألف ، ويحزرهم البعض بأكثر ، وإمَّا للإبهام وأبهمه الله على المخاطبين لأنَّه أراد تعريف كثرتهم ، ولــم تكــن فائدة في تعريف حقيقة عددهم(٢) .

وذهب ابن جني إلى أنَّ " أو" في الآية للشك على بابها ، ولكــن الشــك ههنا وقع من الرائي ؛ وذكر أنَّ هذا كلام خرج حكاية من الله ــ عز وجل ــ لقول المخلوقين ، و ذكر أنَّ تأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جمع لــو رأيتمــوهم لقلتم أنتم فيهم : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون(٣) .

وكذا ذهب ابن عصفور إلى أنَّها للشك في حق المخاطبين(٤) .

وذهب السهيلي وابن يعيش والمالقي إلى أنَّ " أو " في الآية للإبهام على المخاطب(٥) .

وذهب أبو حيان إلى أنَّ أو " في الآية للشك وهو مصــروف للمخــاطبين أو للإبهام على المخاطبين(٦) .

وهنا أود القول إنَّه على الرغم من أنَّ ابن مالك من المجيزين لاســتعمال "أو" للإضراب(٧) ، إلا أنَّه في هذه الآية لم يجعلها للإضراب بل جعلها للإباحــة ،

---

١ ــ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٩٨.

٢ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٣١.

٣ ــ ينظر : الخصائص : ٢ / ٤٦٣.

٤ ــ ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور (الشرح الكبير) : ١ / ٢٣٦.

٥ ــ ينظر : نتائج الفكر في النحو : ١٩٨ ، شرح المفصل : ٨ / ٩٩ ، رصف المباني : ١٣٢.

٦ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٣.

٧ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٣.

وأجاز فيها أيضًا أنْ تكونَ بمعنى الواو(١) ، واستدل على هذا بقراءة من قرأ (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) بالواو(٢) .

وأودَّ الإشارة أيضًا إلى أنَّ الأخفش عندما تحدث عن معنى هذه الآية الكريمة ذكر في توجيه معنى " أو" قولين : أحدهما : ما يراه البعض من أنَّ " أو" بمعنى " بل " للإضراب ، ثم ذكر تفسير الآية على هذا القول ، وحكى الأخفش قولًا اُسْتُعْمِلت فيه " أو " بمعنى " بل " للإضراب فقال : " إنَّ الرجل قد يقول : " لأذهبَنَّ إلى كذا وكذا " ثم يبدو له بعد فيقول : أو أقعد " ، والثاني : ما يراه آخرون من أنَّ " أو" في الآية للشك في حق الناس ؛ لأن الله ــ عزّ وجلَّ ــ لا يكون منه شكٌ(٣) .

وبناء على ما سبق نجد أنَّ الأخفش لم يرفض القولين اللذين حكاهما في معنى" أو" في الآية ، وهذا يدل على أنَّهما عنده جائزان ، وليس أحدهما أولى من الآخر ، بل هما سواء ، وحكاية الأخفش لهذا القول : " لأذهبَنَّ إلى كذا وكذا أو أقعد " يدل على أنَّ مجئء " أو" بمعنى " بل " للإضراب موجود في كلام العرب ؛ لذا لم ينكره الأخفش وأقره ، بل واستشهد عليه بهذا القول .

ومن ثَمَّ أرى أنَّ الأخفش من المؤيدين لجواز مجيء " أو" بمعنى" بل " في بعض الشواهد .

كما أودُّ القول إنَّ الزجاج عندما تحدث عن تفسير هذه الآية ذكر الأقوال في معنى" أو" فقال : " قال غير واحد معناه : بل يزيدون ، قال ذلك الفراء وَأَبُوعبيدة ، وقال غيرهما معناهُ : أو يزيدون في تقديركم أنتم إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة ، وهذا على أصل " أو " وقال قوم : معناها معنى الواو ، و (أو) لا تكون بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليلٌ أنَّ أحدَ الشيئين قبل الآخر ، و (أَوْ) مَعناها إفراد أحد شيئين أو أشياء "(٤) .

---

١ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٤.
٢ ــ هي قراءة جعفر بن محمد. ينظر : المحتسب : ٢ / ٢٢٧.
٣ ــ ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١ / ٣٤.
٤ ــ معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٣١٤.

وبالنظر في قول الزجاج السابق نجد أَنَّه قد رفض القول بـأنَّ " أو " في الآية بمعنى الواو ، وعلل لذلك ، و لكنه عندما ذكر قول من قال إِنَّها بمعنى" بل " نقل هذا القول فقظ ولم يرفضه ، ثم ذكر القول الآخر و هو كونها للشك في حق الناس ، وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدلُ على أنَّ القولين بأنَّها بمعنى" بل " ، أو للشك في حق الناس كلاهما عنده موضع قبول ، بدليل أنَّه لم ينكرهما كما فعل مع القائلين بأنَّها بمعنى الواو ، وأرى أنَّ جعْلَ " أو" بمعنى" بل " يتحقق مع ما ذكره الزجاج من أنَّ " أو" تكون لإفراد أحد الشيئين أو الأشياء ؛ إذ إنَّها في هذه الحالة تكون قد أثبت للشيء حكمًا واحدًا فقط وأضربت عن إثبات غيره .

وبناء على هذا أرى أنَّ الزجاج قد أجاز قول مَنْ قال إنَّ " أو " في الآية بمعن " بل " .

ــ كما استدل الكوفيون ومن وافقهم على استعمال " أو" بمعنى" بل" بقوله تعالى(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذلك فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)(١) فقالوا إنَّ " أو " في الآية بمعنى" بل " والمعنى عندهم : بل أشد قسوة(٢) .

وقد أجاز الخليل أنْ تكون " أو " في الآية السابقة بمعنى " بل" لكن باعتبار أنَّها الواو التي دخل عليها الهمزة فقال الخليل : " والواو التي في موضع " بل " قوله تبارك وتعالى (ثمَّ قست قُلُوبكُمْ من بعد ذَلِك فَهِيَ كالحجارة أَو أَشد قسوة) معناه : بل أشد قسوة "(٣) .

وما ذكره الخليل من أنَّ " أو" في الآية إنَّما هي الواو لم أجد غيره من النحاة ــ فيما تيسر لي من الاطلاع ــ قد قال به ؛ لأنَّ القراءة المشهورة في الآية الكريمة إنَّما هي" أَوْ" بسكون الواو .

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٧٤.

٢ــ ينظر : الأزهية في علم الحروف : ١٢٠ ، ١٢١ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٢ ، الجنى الداني : ٢٢٩ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠١٠، المغني : ١ / ٧٧ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٦٨ ، دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول من الجزء الأول : ١ /٦٥٠.

٣ ــ ينظر : الجمل في النحو للخليل : ٣١٠.

وعلى هذا فمعنى الآية عند الخليل على الإضراب ، بغض النظر عمَّا إذا كانت " أو" بسكون الواو ، أو هي التي تتكون من الواو والهمزة ، فغاية الأمر أنَّ معنى الآية عنده إنَّما هو : بل أشد قسوة .

ومن المفسرين من أجاز جعل " أو " في الآية السابقة بمعنى" بل" ومن هؤلاء : ابن عباس والثعلبي والواحدي وابن عاشور(١).

وقد ردَّ البصريون ومن تبعهم القول بأنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى"بل"، وخرَّجوها على أوجه أخرى :

فذهب الأخفش إلى أنَّها بمعنى الواو والمعنى : وأشد قسوة(٢) .

ولم يرتض الزجاج القول بأنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى الواو ، وذهب إلى القول بأنَّها للإباحة ، ومعنى الآية عنده : اعلموا أنَّ قلوب هُؤلاء إِنْ شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون ، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون(٣) .

وكذا جعل السيرافي " أوْ " في الآية السابقة للإباحة وذكر أنَّ المعنى: تشبيههم بالحجارة وهي من الموصوفات بالصلابة صحيح ، وتشبيههم إياها بما هو أصلب منها صحيحٌ أيضًا(٤) .

وذهب السهيلي إلى أنَّه يجوز في" أو" في الآية السابقة وجهان : أحدهما أنْ تكونَ للإبهام ، والثاني : أن تكون " أو" لأحد الشئين ويكون المراد : فهي إمَّا كالحجارة ، ففيها ما هو كذلك ، وإمَّا أشد قسوة ففيها ما هو كذلك أيضًا(٥) .

وذهب الزمخشري إلى أنَّ المعنى: أنَّ مَنْ عرف حالها شبهها بالحجارة ، أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلًا ، أو من عرفها شبهها بالحجارة ، أو قال:

١ــ ينظر : تنوير المقباس : ١١ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١ / ٢٢١ ، التفسير الوسيط : ١٥٨، التحرير والتنوير : ١/ ٥٦٣.

٢ ــ ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١ / ١١٥.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١ / ١٥٦.

٤ ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣ / ٤٣١.

٥ ــ ينظر : نتائج الفكر في النحو : ١٩٩.

هي أقسى من الحجارة(١)، ولم يحدد الزمخشري المعنى الذي دلت عليه " أو" ، ولعله يقصد أنَّها للتخيير.

وعلى الرغم من أنَّ ابن مالك من المجيزين لاستعمال " أو " بمعنى " بل " للإضراب ، إلا أنَّه جعل" أو" في الآية الكريمة السابقة للإباحة(٢) .

وقد تعددت أقوال أبي حيان في تحديد المعنى المقصود من" أو" في الآية السابقة فذكر أنَّه يجوز أنْ تكونَ " أو" للشك والمعنى عنده : أنَّ مَنْ شاهدهم رأى قلة تأثير الزواجر فيهم فتردد في تشبيه قلوبهم بالحجارة ، أو بما هو أشد صلابة كالحديد ، ويجوز أيضًا أنْ تكونَ للتفصيل أو التنويع أيّ : فَصَّل ونوَّع القلوب بعد أنْ ذكرها مجملة إلى ما يشبه الحجارة ، وإلى ما يشبه ما هو أشد صلابة منها كالحديد(٣) .

وقد استحسن أبو حيان في كتابه (البحر المحيط) القول بأنَّها للتنويع أو التفصيل(٤).

وقد جعل الزركشي" أو " في الآية الكريمة السابقة للتنويع فقال : أي قلوبهم تارة تزداد قسوة وتارة تُرَدُّ إلى قسوتها الأولى ، فجيء بـ " أو " لاختلاف أحوال قلوبهم(٥) .

ـ كما استدل الكوفيون ومن وافقهم على استعمال " أو " بمعنى" بل " بقوله تعالى(وَمَا أَمْرُ الساعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)(٦) فقالوا إن المعنى : بل هو أقرب(٧) .

---

١ ـ ينظر : الكشاف : ١ / ١٥٥.

٢ ـ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٤.

٣ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٣.

٤ ـ ينظر : البحر المحيط : ١ / ٤٢٣.

٥ ـ ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢١٠.

٦ ـ سورة النحل من الآية : ٧٧.

٧ـ ينظر: الأزهية :١٢١، التذييل والتكميل : ١٣ /١٣٢ ، المغني : ١ / ٧٧ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٦٨ ، دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول : ١ / ٦٥١.

وقد أيَّد الزجاجي والرضي القول بأنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى" بل " للإضراب (١) .

ومن المفسرين مَنْ أيَّد القولَ بأنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى" بل " ومن هؤلاء : ابن عباس ومقاتل بن سليمان ويحيي بن سلام والسمر قندي وابن زَمَنين المالكي والثعلبي والسمعاني والبغوي والرازي وسراج الدين عمر بن علي الحنبلي والزركشي وابن عاشور(٢).

وقد خرَّج البصريون ومن تبعهم" أو" في الآية الكريمة السابقة على أوجه أخرى غير كونها بمعنى " بل " :

فذهب السيرافي إلى أنَّ قوله (كَلَمْحِ البصر) وقوله (أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) بمثابة لفظٍ واحدٍ ؛ وذكر أنَّ عادةَ العرب إذا شبهوا السريع الذي رضوا سرعته يقولون : هو كالبرق أو أسرع من البرق ، وهو كالريح أو أسرع من الريح من أجل الدلالة على سرعته ، فهم يجعلون اللفظين كلفظ واحد ، ومن ثَمَّ جعلوا هذا كهذا ، أي أنَّ الآية قد جمعت بين اللفظين اللذين يتناهون ويبالغون فيهما إذا شبهوا ، وهما يدلان على لفظ واحدٍ(٣) .

وذكر أبو حيان أنَّ جَعْلَ " أو " بمعنى" بل " للإضراب في الآية السابقة لايصح ؛ وعلل ذلك بقوله : " لأنَّ الإضراب على قسمين كليهما لا يصح هنا ، أمَّا أحدهما: أنْ يكونَ الإضرابُ إبطالًا للإسناد السابق ، وأنَّه ليس هو المراد ، وهذا مستحيل هنا ؛ لأنَّه يؤول إلى إسناد غير مطابقٍ ، والثاني: أنْ يكونَ انتقالًا من شيء إلى شيء من غير إبطالٍ لذلك الشيء السابق ، وهذا أيضًا مستحيل هنا

---

١ ــ ينظر : حروف المعاني والصفات : ١٣ ، شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢١.

٢ــ ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٨ ، تفسير مقاتل بن سليمان : ٢ / ٤٧٩ ، تفسير القرآن ليحيي بن سلام : ١ / ٧٨ ، ، بحر العلوم للسمر قندي : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنين المالكي : ٢ / ٤١٢ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٦ / ٣٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٩١، معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣ / ٨٩ ، مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢٥٠ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٢ /١٢٧، البرهان : ٤ / ٢١٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٣٠.

٣ ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣ / ٤٣٠.

للتنافي بين الإخبار بكونه مثل لمح البصر في السرعة ، والإخبار بالأقربية ، فلا يمكن صدقهما معًا "(١) .

وذهب العكبري إلى أنَّ " أو " في الآية السابقة للتقريب(٢) .

وذهب ابن مالك إلى أنَّ " أو" في الآية السابقة معناها الإباحة(٣) .

ــ كما استدل الكوفيون ومن وافقهم على استعمال " أو " بمعنى" بل" بقوله تعالى(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)(٤) ، والمعنى عندهم : بل أدنى(٥) .

وقد أيَّد الزركشي والسيوطي القول بأنَّ " أو " في الآية السابقة بمعنى "بل" للإضراب (٦) .

ومن المفسرين أيضًا من أيَّد القول بأنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى" بل " للإضراب وهم : ومقاتل بن سليمان ويحيي بن سلام والماتريدي والسمرقندي والثعلبي والماوردي والقشيري والبغوي والخازن(٧) .

وقد خرَّج البصريون ومن تبعهم " أو " في الآية السابقة على أوجه أخرى غير كونها بمعنى " بل " :

فذهب ابن قتيبة إلى أنَّ " أو" في الآية السابقة بمعنى" الواو "(٨).

---

١ ــ البحر المحيط : ٦ / ٥٧٣.

٢ ــ ينظر : اللباب : ١ / ٤٢٣.

٣ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٤.

٤ ــ سورة النجم آية : ٩.

٥ ــ ينظر : الأزهية في علم الحروف : ١٢١.

٦ ــ ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢١٠ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٠٨ ، معترك الأقران : ٢ / ٧٣.

٧ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٣ / ٦٢١ ، ٤ / ١٦٠ ، التصاريف لتفسير القرآن ليحيي بن سلام : ٢٥٨ ، تأويلات أهل السنة للماتريدي : ٩ / ٤١٩ ، بحر العلوم : ٣ / ٣٥٩ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٩ / ١٣٧ ، النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي بتحقيق / السيد ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ، بدون تاريخ : ٥ / ٦٩ ، لطائف الإشارات للقشيري : ٣ / ٤٨٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي :٤ / ٣٠٢ ، لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن بتحقيق/ محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٥ هـ : ٤ / ٢٠٤.

٨ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٢٩٠.

وجعلها النَّحَّاس للشك في حق الناس وقال إنَّ المعنى : فكان بمقدار ذلك عندكم لو رأيتموه قدر قوسين أو أدنى(١) .

وقد جعل العكبري " أو" في الآية الكريمة السابقة للإبهام على المخاطبين(٢) .

وجعل ابن مالك " أو" في الآية السابقة للإباحة(٣) .

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم على استعمال" أو" بمعنى" بل " بقراءة أبي السمَّال(٤)(أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ)(٥) بسكون الواو في " أو"(٦) .

وذكر الكوفيون أنَّ " أو" على هذه القراءة بمعنى " بل " (٧) .

وقد أيَّد ابن جني كون " أو " بمعنى" بل " على هذه القراءة فقال تعليقًا منه على قراءة أبي السمَّال : " إذا كانت " أو" هذه حرفًا واحدًا ، فإنَّ معناها معنى " بل " للترك والتحول بمنزلة " أم" المنقطعة ، نحو قول العرب :" إنَّها لأبل أم شاء " ؛ فكأنه قال : بل أهي شاء ؟ فكذلك معنى " أو" ههنا ، حتى كأنَّه قال: (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ بل كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ) ، يؤكد ذلك قوله تعالى من بعده: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُون)(٨)، فكأنه قال: (بل كلما عاهدوا عهدًا.... بل

---

١ ــ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٤ / ١٨٠.
٢ ــ ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١١٨٦.
٣ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢٤.
٤ ــ هو : قعنب بن هلال بن قعنب أبو السَّمَّال العدويّ البصريّ المقرئ ، إمام في العربية ، وصاحب قراءة شاذة ،كان صوَّامًا قوَّامًا ، قيل عنه : إنَّه كان يُقدَّم في زمانه على الخليل بن أحمد ، توفي ما بين عامي ١٥١ ــ ١٦١ هـ. ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي بتحقيق د / بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى : ٢٠٠٣م : ٤ / ١٨٧.
٥ ــ سورة البقرة من الآية : ١٠٠.
٦ ــ ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ، مكتبة المتنبي ــ القاهرة ، بدون تاريخ : ١٦.
٧ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣١، الجنى الداني : ٢٢٩ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠٠٩ ، المغني : ١ / ٧٧ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٦٧ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٧٩ ، معترك الأقران للسيوطي : ٢ / ٧٣.
٨ ــ سورة البقرة من الآية : ١٠٠.

أكثرهم لا يؤمنون) ، و" أو" هذه التي بمعنى أم المنقطعة ــ وكلتاهما بمعنى بل ــ موجودة في الكلام كثيرًا ، يقول الرجل لمن يتهدده : والله لأفعلن بك كذا ، فيقول له صاحبه : أَوْ يُحسن الله رأيك ، أو يغير الله ما في نفسك ؛ معناه : بل يحسن الله رأيك ، بل يغير الله ما في نفسك "(١).

وعلى الرغم من أنَّ ابن جني رفض كون " أو " بمعنى" بل " في شواهد أخرى استدل بها الكوفيون على صحة مذهبهم ، إلا أنَّه أجاز هنا مجيء " أو" بمعنى" بل" للإضراب ، بل وذكر أنَّ مجيء " أو " بمعنى" بل " موجودٌ في الكلام كثيرًا .

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم على صحة ما ذهبوا إليه من استعمال " أو " بمعنى" بل" بقول الشاعر(٢) :

بَدَتْ مثل قَرْنِ الشمس في رَوْنَقِ الضُّحَى وصُورَتِهَا أو أَنْتِ في العَيْنِ أَمْلَحُ

فقالوا إنَّ المعنى : بل أنت في العين أملح(٣) .

---

١ ــ المحتسب : ١ / ٩٩ بتصرف يسير.

٢ ــ من الطويل لذي الرمة في ديوانه بشرح أحمد حسن ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥ م :٤٩ ، الخصائص : ٢ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، المحتسب : ١ / ٩٩ ، الأزهية : ١٢١ ، لسان العرب : ١٤ / ٥٤ ، خزانة الأدب : ١١/ ٦٥ ، ٦٦ وبلا نسبة في : معاني القرآن للفراء : ١ / ٧٢ ، حروف المعاني والصفات : ٥٢ ، الصِحاح : ٦ / ٢٢٧٥ ، الإنصاف : ٢ / ٣٩١ ، اللباب : ١ / ٤٢٤ ، شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢٠ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٣ ، شرح ألفية ابن معط : ١ / ٧٨٣.

- اللغة : بدت : ظهرت ، قرن الشمس : أولها عند طلوعها ، وقيل : هو أول شعاعها ، وقيل : ناحيتها ، رونق الضحى : أوله
- المعنى : لقد ظهرت بجمالٍ أخَّاذ وكأنَّها شعاعُ شمس تشرق في أول الضحى ، بل هي أجمل في العين وأبهى من ذلك.
- الشاهد : قوله : " أو أنت " حيث استدل به الكوفيون ومن تبعهم على استعمال " أو " بمعنى " بل " للإضراب والمعنى عندهم : بل أنتِ أملح.

٣ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٣١ ، الأزهية : ١٢١، الإنصاف : ٢ / ٣٩٢ ، اللباب : ١ / ٤٢٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٣٣ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٦٨.

وقد أيد الزجاجي والجوهري والرضي وابن القوَّاس القول بأنَّ " أو" في البيت السابق بمعنى" بل"(١) .

يقول الرضي : " أو للإضراب ولا تحتمل العطف ؛ إذ لا يصح قيام الجملة بعدها مقام قوله : " قرن الشمس" ، كما هو حق المعطوف"(٢) .

وقد خرَّج البصريون ومَنْ تبعهم" أو" في البيت السابق على أوجه أخرى غير كونها بمعنى" بل " للإضراب :

فذهب ابن جني إلى أنَّ " أو " للشك على بابها ، وعلل ذلك بأنَّ " أو " لو أراد بها معنى" بل " فقال: "بل أنت في العين أملح " لم يفِ بالمعنى الذي تدل عليه " أو " إذا جُعِلت للشك ؛ لأنَّه إذا قطع بيقين أنَّها في العين أملح كان في ذلك إسراف منه وإفراط ، بخلاف ما إذا أخرج الكلام مخرج الشك فإنَّه يكون في صورة المقتصد غير المتحامل ولا المتعجرف ، فيكون ذلك أعذب للفظه ، وأقرب إلى تقبُّل قوله(٣) .

وقد جعلها العكبري و ابن عصفور في البيت السابق للشك أيضًا كما فعل ابن جني(٤) .

بينما جعلها السيرافي وقال إنَّ المعنى : إنْ شبهتها بالشمس أصبت ، وإن فضلتها عليها أصبت(٥) .

ــ كما استدل الكوفيون ومن تبعهم على صحة ما ذهبوا إليه من استعمال" أو" بمعنى" بل" بقول الشاعر(٦) :

١ــ ينظر : حروف المعاني والصفات : ٥٢ ، الصحاح : ٦ / ٢٢٧٥ ، شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢١ ، شرح ألفية ابن معط : ١ /٧٨٣.

٢ ــ شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٢١ بتصرف يسير.

٣ ــ ينظر : الخصائص : ٢ / ٤٦٠.

٤ ــ ينظر : اللباب : ١ / ٤٢٥ ، شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٣٥.

٥ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٣ / ٤٣.

٦ــ من البسيط لجرير في ديوانه بشرح محمد بن حبيب بتحقيق د / نعمان محمد ، دار المعارف ، الطبعة : الثالثة ، بدون تاريخ : ٣ / ٧٤٥ ، شرح اللمع لابن برهان : ١ / ٢٤٩ ، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٢١ ، المغني : ١ / ٧٧ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤ ، وبلا نسبة : في شرح ابن عقيل : ٣ /٢٣٢ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٧٨ =

مَاذَا ترى فِي عِيَال قد بَرمْتُ بهم ... لم أُحْصِ عِدَّتَهُم إِلَّا بعدّاد
كَـانُوا ثَمَـانِينَ أَو زادوا ثَمَـانِيَـة ... لَوْلَا رجَاؤُك قد قَتَّلْتُ أَوْلَادِي

والمعنى عندهم : بل زادوا ثمانية(١) .

وقد خرَّج البصريون " أو " في البيت السابق على أنَّها للشك(٢) ، أو بمعنى الواو(٣) .

تعقيب :

وبعد عرض مذاهب النحاة في استعمال " أو " بمعنى " بل " للإضراب أقول : إنَّ مجيء " أو " بمعنى " بل " قد وُجِد كثيرًا في كلام العرب كما ذكر ابن جني ، و قد أجازه سيبويه ، كما حكى الأخفش أيضًا أنَّه مستعملٌ في كلام العرب، وقد ذكر عبد الله بن الحسين السامري أنَّ هذه هي لغة لقبيلة من قبائل العرب وهي قبيلة كندة(٤) ، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب وخاطب العرب على وفق ما جاء في لغتهم ؛ وعلى هذا فالكوفيون حين قالوا بأنَّ " أو " قد تأتي بمعنى" بل " للإضراب لم يأتوا ببِدْعٍ من القول ، وإنَّما قالوا بجوازه بناء على استعماله في كلام العرب ، وعلى هذا فإنَّني أؤيد القول بأنَّ " أو" تستعمل بمعنى " بل" للإضراب ، كما هو الحال في الشواهد التي استشهد بها الكوفيون ومَنْ تبعهم :

= اللغة : برمت : ضِقت ، العيال : أهل البيت ممن تنفق عليهم.

ــ المعنى: ليتك ترى أهلي الذين أتضايق من وجودهم ، ولا أعرف عددهم ، بل أحتاج إلى عدَّاد لإحصائهم ، فهم ربما كانوا ثمانين أو ثمانية وثمانين ، وقد كدت أقتلهم لولا أملي في عطائك وكرمك.

ــ والشاهد فيهما قوله :" ثمانين أو زادوا " حيث استدل به الكوفيون ومن تبعهم على مجيء " أو" بمعنى "بل" للإضراب ، والمعنى عندهم: بل زادوا ثمانية.

١ ــ ينظر : شرح اللمع لابن برهان :١ / ٢٤٩ ، شرح عمدة الحافظ : ٢ / ٦٢٦ ، الهمع : ٣ / ٢٠٤ ، شرح ابن عقيل : ٣ / ٢٣٢ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٧٨.

٢ ــ ينظر : الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محي الدين عبدالحميد: ، مطبعة السعادة ــ القاهرة ، الطبعة : الرابعة : ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م : ٢ / ٤٧٩.

٣ ــ ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٣ / ١٥٧.

٤ ــ ينظر : اللغات في القرآن : ٤٢.

ــ ففي قوله تعالى(وَأرسلناه إِلَى مائَة ألف أَو يزِيدُونَ) قد جاءت " أو " للإضراب بمعنى " بل " ، وقد رجَّحَ ذلك أنَّ المعطوف بــ " أو " غير مفردٍ ، بــل هو كلام غير مُبِين ، وهذا ناسب أنْ يكونَ الحرف للإضراب(١) ، وإنَّما جاءت " أو" للإضراب في هذه الآية من أجل غرض معين ، وقد تمثل هذا الغــرض فــي تقريب الصور ة لأذهان الناس من خلال الإخبار الأول بأنَّ يونس ــ عليه السلام ــ قد أُرْسِل إلى مائة ألفٍ ، فيدرك الناس أنَّه أُرْسِل إلى عدد كبير ، وبعد تقريــب الصورة في الأذهان يُضْرِبُ عن هذا العدد ويبين أنَّه أرسل إلى أزيد من مائة ألف، فكأنه عزَّ وجلَّ يقول: وأرسلناه إلى عدد كثير أزيد من مائة ألف ، وكأنه ــ عــزَّ وجلَّ ــ أراد من وراء عدم الإخبار بحقيقة عددهم أنْ يذهب كلُّ مســتمع للآيــة مذهبه في تخيل هذا العدد الكبير الذي أُرسِل إليهم، والذي لا يعلمه إلا الله .

ــ وفي قوله تعالى (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) أراد الله ــ عزَّ وجلَّ ــ تقريب المعنى لأذهان البشر من خلال تشبيه قسوة قلوب هؤلاء أولًــا بشــيءٍ معروف لديهم فأخبر أنَّ قلوبَ هؤلاء قاســيةٌ كالحجــارة ، ومــن المعــروف أنَّ الحجارة هي أقسى الأشياء ؛ لأنَّها لا تلين بخلاف الحديد فإنَّه قد يلــين بالنــار ، وبعد أنْ قرَّب الله ــ عزَّ وجلَّ ــ المعنى في الأذهان أضرب عن هــذا التشــبيه ؛ ليبين مدي فرط قساوة قلوب هؤلاء وأنَّها أقسى من الحجارة ؛ لأنَّها لا تتــأثر أو تنفعل ، على العكس الحجارة التي قد تتأثر وتنفعل ويترتب عليها منافع للعبــاد ، وكأنَّه سبحانه وتعالى يقول لنا : أرأيتم الحجارة التي هي أقسى الأشياء فإنَّ قلوب هؤلاء ليست مثلها في القسوة بل هي أقسى منها ، أيّ أنَّ المشبه قد فاق المشبه به في وجه الشبه على غير المعتاد ، وأصبح يشبه شيئًا لا يعلمه إلا الله ، وليقل كلٌّ منا : وما هو الشيء الذي هو أقسى من الحجارة و تشبهه قلــوب هــؤلاء !!!؟؟

وممَّا لا شك أنَّ جعْل " أو " بمعنى " بل " للإضراب كان أبلغ في أداء هذا المعنى .

---

١ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣ / ١٨٠.

ــ والأمر نفسه في قوله تعالى (وَمَا أَمْرُ الساعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُــوَ أَقْرَبُ) فالله ــ عزَّ وجلَّ ــ أخبر أولًا أنَّ أمر الساعة في سرعته يشــبه لمــح البصر الذي نعتبره أسرع الأشياء ليحصل بذلك تقريب المعنى في الأذهان ، ثم بعد ذلك أضرب عن تشبيه أمر الساعة بلمح البصر وبيَّن لنا أنَّها أقــرب مــن لمــح البصر ؛ فكأنه عزَّ وجلَّ يقول لنا : أرأيتم هذا الشيء الذي ترونه أسرع الأشــياء فقيام الساعة أقرب وأسرع عند الله تعالى منه ، وهو في سرعته يشبه شــيئًا لا تعرفونه ، وكأنَّه لا يوجد له شبيهًا من الأشياء المعروفة عندنا ، وهذا الشيء لا يعرف حقيقته إلا الله ، وذلك يدل على عظم قدرة الله تعالى واستأثره بأشــياء لا يعلمها إلا هو .

ــ و أمَّا عن قوله تعالى (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فما قيل في الآيــات السابقة يقال هنا : فالله عزَّ وجلَّ أراد تقريب المعنى من أفهامنا فذكر أولًــا أنَّ دنو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتدليه سواء أكان من رب العــزة أو مــن جبريل ــ عليه السلام ــ كان مثل قاب قوسين ، وبعد تقريب المعنى من الأذهان جاء بعد ذلك الإعراب عن الحقيقة وهي : أنَّ هذا الدنو والتدلي كان أقــرب مــن قاب قوسين .

وهنا أودُّ القول إنَّ السيرافي حين قال إنَّ قوله تعالى(وَمَا أَمْرُ الســاعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)قدجاء على عادة العرب في تشبيهاتهم ، وقال إنَّ قوله تعالى (كَلَمْحِ البصر) وقوله تعالى (أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) بمثابة لفظٍ واحــدٍ ، نجــد أنَّ السيرافي بذلك قد استشهد لما ذهب إليه في تفسير معنى الآية بورود مثله فــي كلام العرب ومن ثَمَّ أقول : أليس مجيء " أو" بمعنى " بل " للإضراب قد جــاء أيضًا على موافقا لما ورد في كلام العرب ؟؟ فما الداعي إذن إلى إنكاره ؟؟!! فهو أيضًا يوافق ما جاء في كلام العرب .

ومن ناحية أخرى فأنا لا أوافق السيرافي في أنَّ المراد بــاللفظين شــيء واحد ، بل لكلٍّ منهما مدلول يختلف عن الآخر ؛ لأنَّ الشيء إمَّا أنْ يكون كلمــح وإمَّا أنْ يكون أسرع منه .

وبناء على ما سبق أرى أنَّ جعل " أو" للإضراب في هذه الشواهد القرآنية أبلغ وأتم في أداء المعنى من غيرها من المعاني التي خرَّجها عليها البصريون .

وأمَّا عمَّا أفسد به المبرد وتبعه عليه أبو حيان مذهب الكوفيين حين قال : إنَّ " أو " لو وقعت في هذا الموضع موقع " بل " لجاز أنْ تقع في غير هذا الموضع ، وكنتَ تقولُ : "ضربتُ زيدًا أو عَمْرًا " و" وما ضربت زيدًا أو عمرًا " على غير الشك ، ولكن على معنى" بل" ، وهذا مردود عند جميعهم ، وذكر أنَّ " بل " لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلطٍ أونسيان ، وهذا منفي عن الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنَّ القائل إذا قال : " مررت بزيد " غالطًا فاستدرك أو ناسيًا فذُكِّر ، قال : " بل عمرٌو " ؛ ليُضْرب عن ذلك ، ويثبت ذا ، وتقول : " عندي عشرة بل خمسة عشر " على مثل هذا ، فإذا أتى بعد كلام قد سبق من غيره فالخطأ إنَّما لحق كلام الأول .

وهنا أقول : الذين قالوا : إنَّ " أو " قد تأتي بمعنى " بل " للإضراب لم يقصدوا أنْ تكون " أو " بمعنى " بل " دائمًا في كلِّ المواضع التي تستعمل فيها " أو" ، وإنَّما قصدوا أنَّها قد تستعملُ بمعناها في مواضع معينة يفرض علينا السياق أنْ تكون " أو " فيها بمعنى " بل "للإضراب ؛ لأنَّ جعْل " أو " فيها على أصل معناها لا يتناسب مع معنى الشاهد .

وأقول أيضًا :ليس بالضرورة أنْ يكون الإضراب بعد غلطٍ ونسيان ، وإنَّما قد يأتي لجعل الأول كأنَّه في حكم المسكوت عنه ونقل الحكم للثاني ، لغرضٍ ما ، وقد ذكرنا في الشواهد القرآنية أنَّ الغرض إنَّما كان لتقريب المعنى أولًا من الأفهام بشيءٍ نعرفه ثُمَّ بيان المراد بعد ذلك .

وأذكرُ هنا ما قاله ابن برهان : " الإضراب في كلام الله تعالى لا يكون إبطالًا لما تقدم ؛ بل لأنَّ الغرضَ المتقدمَ قد انتهى ثم استَأنَف ما بعد كما قال تعالى (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)(١) ، والمعنى: أفأمنوا هذه الضروب

---

١ ــ سورة : ص آية : ١ ، ٢.

كلَّها من معاقبتهم والأخذ لهم ، فجاء هذا ليبصروا ضلالهم (١) " .

فالغرض كان تقريب المعنى من الأذهان ، ولما انتهى هذا الغرض بيَّن الله ــ عزَّ وجلَّ ــ لنا حقائق الأشياء .

وأمَّا ما ذكره النحاس من أنَّ القول بأنَّ " أو" تأتي بمعنى" بل" خطأٌ عند النحويين الحذاق ، وما ذكره من أنَّ "بل " ليس هذا من مواضعها ؛ لأنَّها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده ، وتعالى الله ــ عزَّ وجل ــ عن ذلك ، أو الخروج من شيء إلى شيء ، وليس هذا موضع ذلك ، فأقول: قد وُجِد في القرآن الكريم الإضراب بـ " بل " نفسها حقيقة في قوله تعالى(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) ، ولا يلزم من استعمال " أو " للإضراب إبطال الأول والخروج من شيء لشيء ، وإنَّما اُستُعمل مثل هذا الإسلوب لغرض ما وقد بيَّنْتُ ذلك من قبل .

وما ذكره النحاس من أنَّ حذاق النحويين يرون أنَّ " أو" إذا كانت بمعنى" بل " للإضراب لكان جعل المعنى :" أرسلناه إلى أكثر من مائة ألف " أخصر ، ولكنا لسنا في حاجة لـ " أو " ، فأقول : جعْل " أو " بمعنى " بل " للإضراب أبلغ وأتم في أداء المعنى ممَّا لو قيل : أرسلناه إلى أكثر مائة ألف ، والقرآن الكريم حين أورد " أو " بمعنى" بل " قد جاء بذلك على وفق المستعمل في لسان العرب ، وليس في جعل " او " بمعنى " بل " بطلان للمعاني ؛ لأنَّ مَنْ أجازوا استعمال " أو " بمعنى " بل " لم يقولوا إنَّها تستعمل بمعناها مطلقًا ، بل في بعض المواضع عندما يدل ظاهر السياق على ذلك .

وهنا أتساءل مَنْ هم حذق النحويين الذين حكموا على القول بمجيء " أو" بمعنى " بل " بالخطأ ؟؟!! وقد وجدنا الخليل قد أجاز استعمال الواو في بعض الآيات بمعنى " بل " للإضراب ، وهذا يعني أنَّ الإضراب قد وقع عنده في القرآن الكريم بغض النظر عن طبيعة الحرف الذي اُستُعمل للإضراب سواء أكان " أو " أم الواو ، فالنتيجة واحدة طالما أنَّ معنى الآية في النهاية واحدٌ .

---

١ ــ ينظر : شرح اللمع لابن برهان : ١ / ٢٤٩.

ووجدنا أيضًا الأخفش الذي ذكر أنَّ استعمال" أو " للإضراب قد ورد في كلام العرب ، وكذا ما فعله الزجاج من رفضه لمَنْ قال إنَّ " أو" في الآية بمعنى الواو في قوله تعالى (وَأرسلناه إِلَى مائَة ألف أَو يزِيدُونَ) ، وإقراره القول بأنَّها بمعنى" بل " والقول إنَّها للشك ، بالإضافة إلى ابن جني الذي ذكر أنَّ استعمال" أو " بمعنى" بل " للإضراب وُجِد كثيرًا في كلام العرب وحمل عليه قوله تعالى (أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ) على قراءة أبي السمَّال بسكون الواو في " أو " ، ومن ثَمَّ فأنَّنِي أرى أنَّ ما ذكره النحاس من أنَّ القول باستعمال" أو " بمعنى" بل " للإضراب خطأ عند النحويين الحذاق فيه نظرٌ !! .

وبناء على ما سبق فإنَّنِي أؤيد القول بأنَّ " أو " قد تستعمل بمعنى " بل " للإضراب .

المبحث الثالث : استعمال " ثُمَّ " بمعنى غيرها من حروف

أولًا : استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو :

اختلف النحاة في استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب :

فذهب جمهور النحاة من البصريين ومَن تبعهم إلى أنَّ " ثُمَّ " إنَّما تفيد الترتيب والتراخي حيثما وردت ، ولا تستعمل بمعنى الواو ، وما أوهم خلاف ذلك فهو مؤول عندهم(١) .

وقد صحح ابن عصفور والمالقي وأبوحيان مذهب جمهور البصريين[٢] .

وذهب الكوفيون وقطرب والأخفش إلى جواز استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب(٣) .

وقد نُسِب هذا القول أيضًا للفراء (٤) .

وقد أجاز ابن فارس استعمال "ثُمَّ " بمعنى الواو(٥) .

وقد أفسد ابن عصفور مذهب الكوفيين قائلا : " وممَّا يدل على فساد مذهبهم أنَّ " ثُمَّ " لو كانت بمنزلة الواو لجاز : " اختصم زيدٌ ثُمَّ عمرٌو " ، كما يجوز : " اختصم زيدٌ وعمرٌو" بالواو ، وامتناع ذلك دليلٌ على أنَّها ليست بمنزلة الواو"(٦) .

أدلة الكوفيين ومَنْ معهم على استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب :

استدل الكوفيون ومن معهم على استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب بالعديد من الشواهد ، وسأذكر الشاهد الذي استدلوا به أولًا ثم أقوم بعد ذلك بذكر مَنْ أيده إنْ وُجِد ، ثم أذكر مَنْ عارضه ورفض الاستشهاد به ، وسأذكر الأوجه

---

١ ــ ينظر : الجنى الداني : ٤٢٦ ، توضيح المقاصد : ٢ / ٩٩٨.

٢ ــ ينظر : شرح الجمل :١ / ٢٣١ ، رصف المباني : ١٧٤، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ .

٣ ــ ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١ / ٣٢١ ، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس : ١٠٦ ، شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٣١ ، رصف المباني : ١٧٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٧ ، المغني :١ / ١٣٥ ، التصريح : ٢ / ١٦٤ ، الهمع : ٣ / ١٩٥.

٤ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٧ ، الجنى الداني : ٤٢٧.

٥ ــ ينظر : الصاحبي : ١٠٦.

٦ ــ شرح الجمل : ١ / ٢٣٢.

التي ذكرها المعارضون لاستعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لكي يجعلوا " ثُمَّ " ليست بمعنى الواو ، ثُمَّ أُعَقب في نهاية كلِّ شاهدٍ موضحةً ما أؤيده وأميل إليه ، وفيما يلي ذكر هذه الشواهد :

ــ استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)(١) ، وقالوا إنَّ " ثُمَّ " جاءت في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ لأنَّه معلوم أنَّ جعل زوج آدم منه إنَّما كان قبل خلقنا(٢).

ولم أجد من النحاة والمفسرين ــ فيما تهيأ لي الاطلاع عليه ــ من أيَّد قول القائلين إنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة قد اُسْتُعملت بمعنى الواو .

وقد خُرِّجت هذه الآية على أوجه متعددة لجعل" ثُمَّ " على أصل معناها لإفادة الترتيب ، وهذه الأوجه هي :

الوجه الأول : هو ما ذكره الفراء حيث قال : " إنَّ العرب رُبَّما جعلوا " ثُمَّ " فيما معناهُ التقديم ويَجعلونَ " ثُمَّ " من خبر المتكلم ، من ذلك أنْ تقولَ : " قد بلغني ما صنعت يومك هذا ، ثُمَّ ما صنعت أمس أعجب " فهذا نَسَق من خبر المتكلم ، وتقول: " قد أعطينك اليوم شيئًا ، ثُمَّ الَّذِي أعطيتك أمس أكثر " ، فهذا من ذلك(٣) " .

فقول الفراء السابق يشير إلى أنَّه يرى أنَّ " ثُمَّ " قد جاءت لترتيب الإخبار لا لترتيب المعاني في الوجود ، كأنه قيل: كان مِنْ أمرها قبل ذلك أن جعل منها زوجَها(٤) .

١ــ سورة الزمر من الآية : ٦.

٢ــ ينظر : شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٣١ ، الارتشاف : ٤ / ١٩٨٨ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٧ ، المغني : ١ /١٣٥ ، التصريح : ٢ / ١٦٤.

٣ ــ معاني القرآن للفراء : ٢ / ٤١٥.

٤ــ ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٥١٩ ، البحر المحيط : ٩ / ١٨٥ ، الدر المصون : ٩ / ٤٠٩ ، ٤١٠.

وهنا أودُّ القول إنَّ ابن هشام قال إنَّ "ثُمَّ " على هذا الوجه تكون غير مفيدة للتراخي ؛ إذ لا تراخي بين الإخبارين(١) .

الوجه الثاني : وقد ذكره الفراء أيضًا وأجاز أنْ يُجعَلَ خَلْقَه للزوج مردودًا على واحدة " كأنَّه قال : خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها ، ففي" واحدة " معنى خلقها واحدة(٢) .

وقد تبع الزجاجُ الفراءَ على هذا الوجه وقال به أيضًا(٣).

وعلى هذا الوجه فـ " ثُمَّ " معطوفة على الصفة التي هي" واحدة " على تأويلها بالفعل ،أيّ : من نفسٍ وَحَدَتْ أيّ : انفردت ، والمعنى خلقكم من نفس وَحَدَتْ ثم جعل منها زوجها فشفعها بها(٤) .

الوجه الثالث : وهو ما ذكره الزمخشري من أنَّ " ثُمَّ " أفادت الترتيب والتراخي في الإعجاز وظهور القدرة ، لأنَّ الله خلق حواء من قصيري آدم عليه السلام ، ولم تخلقْ أنثى غير حواء من قصيرى رجل ، فكانت أدخل في كونها آيةً، وأجلب لعجب السامع ، فعطفها بـ "ثُمَّ" على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلًا ومزيةً ، وتراخيها عنها فيما يُرجع إلى زيادة كونها آيةً ، فهو من الترتيب و التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي والترتيب في الوجود(٥) .

وقد أيد ابن عاشور الزمخشري فيما ذهب إليه في هذا الوجه(٦) .

---

١ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٣٦.

٢ ــ ينظر : معاني القران للفراء : ٢ / ٤١٥.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٣٥٤.

٤ ــ ينظر : الكشاف : ٤ / ١١٤ ، مفاتيح الغيب للرازي : ٢٦ / ٤٢٤ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب بتحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف أ. د/ الشاهد البوشيخي ، الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى :١٤٢٩ هـ ــ ٢٠٠٨ م : ١٠ / ٦٢٩٩ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ ، المغني : ١/ ١٣٦.

٥ ــ ينظر : الكشاف : ٤ / ١١٣ ، ١١٤.

٦ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣ / ٣٣١.

الوجه الرابع : أنَّ " ثُمَّ " للعطف على محذوف صفة لـــ " نفــس" أيّ : خلقها ثم جعل منها زوجها(١) .

وقد ذكر تاج الوقار أنَّ هذا الوجه هو أحسن الوجوه علــى الــرغم مــن غرابته(٢) .

وقد أجاز البيضاوي أيضًا هذا الوجه(٣) .

الوجه الخامس : أنَّ المراد أنَّ الله تعالى أخرج ذرية آدم مــن ظهــرِ آدمَ كالذَّرِّ ، ثم خَلَق حواءَ بعد ذلك بزمان(٤) .

الوجه السادس : وهو ما ذكره أبو منصور الماتريدي من أنَّ الخلق معناه التقدير والمعنى : قدركم جميعًا على كثرتكم من أول ما أنشأكم إلى آخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة ، فمنها قدرنا ، ثم أخرج منها زوجها(٥) .

تعقيب :

وبعد عرض الأوجه التي قيلت في تفسير الآية الســابقة والتــي حــاول أصحابها من خلالها جعل" ثُمَّ " على أصل معناها للترتيب والتراخي أودُّ القــول : إنّنِي أؤيد القول بأنَّ " ثُمَّ " قد استعملت بمعنى الواو في الآية الكريمة الســابقة ؛ وذلك لأنّ هذه الأوجه السابقة لا تخلو من التكلف ؛ إذ بعضها يدور حول التأويل أو تقدير محذوف ليستقيم المعنى ، والبعض الآخر يترك الآية على ظاهرها ولكن يلجأ إلى التجوز في معنى " ثُمَّ " بجعلها للترتيب والتراخي في الحــال والمنزلــة على سبيل المجاز ؛ لكي لا يجعلها بمعنى الواو لغير الترتيب ، وهم بذلك يجيزون استعمالها مجازًا في معنى الترتيب والتراخي في الحال والمنزلة ، ولا يجيــزون استعمالها مجازًا بمعنى الواو لغير الترتيب!!! وهناك بعض ثالــث جعــل" ثُــمَّ "

---

١ ــ ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٢ / ١٠١٠.

٢ ــ ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٢ / ١٠١٠.

٣ ــ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥ / ٣٧.

٤ ــ ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري : ٢١ / ٢٥٥ ، الهداية إلــى بلــوغ النهايــة : ١٠ / ٦٢٩٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٥١٩ ، مفاتيح الغيب : ٢٦ / ٤٢٤.

٥ ــ ينظر : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي : ٨/ ٦٥٩.

للترتيب في الإخبار لا للترتيب في الوجود وهذا أيضًا على سبيل المجاز ؛ لأنَّها على هذا الوجه تكون قد فارقت أصلها الذي وُضِعت له وهو الترتيب في الزمان ، وهنا أودُّ القول إنَّني أرى أنَّ مَنْ قال إنَّ " ثُمَّ " للترتيب في الإخبار كمَنْ قال إنَّها بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ لأنَّنا حين نقول إنَّ " ثُمَّ " قد رتبت في الإخبار فقط ، فهذا يعنى أنَّهالم ترتبْ الترتيب الحقيقي الذي اُستُقر أنَّها في أصل معناها تفيده وتدل عليه ، والذي يعني أنَّ الثاني قد جاء حقيقة بعد الأول ، وبذلك تكون كالواو في المعنى ، وممَّا يدل على هذا ويؤكده أنَّ نفس القصة قد وردت في آيتين أخريين وكان حرف العطف المستعمل هو الواو وهما قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)(١) ، وقوله تعالى ({هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)(٢) وهذا يدل على أنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) قد اُستُعملت بمعنى الواو لغير الترتيب .

وأمَّا عمَّا أفسد به ابن عصفور مذهب القائلين بأنَّ " ثُمَّ " قد تستعمل بمعنى الواو لمطلق الجمع فأقول :

المجيزون لاستعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب ليس مرادهم بهذا القول أنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو في كلِّ موضع تستعمل فيه الواو حتى نقول: لو كانت " ثُمَّ " بمنزلة الواو لجاز : " اختصم زيدٌ ثُمَّ عمرٌو " ، كما يجوز : "اختصم زيدٌ وعمرٌو" بالواو ، وامتناع ذلك دليلٌ على أنَّها ليست بمنزلة الواو ، ولكن مراد القائلين بجواز استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو : أنَّ " ثُمَّ " قد تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب في بعض المواضع فقط ، وهذا إنَّما يكون على سبيل المجاز، لا أنَّها تأتي بمعناها دائما في كل المواضع التي تستعمل فيها الواو.

---

١ ــ سورة النساء من الآية : ١.

٢ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٨٩.

ــ كما استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ)(١) فالتسوية والنفخ قُدِّمَ عليهما جعلُ نسله من سلالة وهو متأخر عنهما(٢) .

ولم يرتض ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ وأبو حيان وابن هشام القول بأنّ" ثُمَّ " في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب ، فخرَّج ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ الآية الكريمة على أنَّ المعنى : وبدأ خلق آدم من طين ثم حكم بجعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، هذا إنْ جعل النفخ والتسوية لآدم ــ عليه السلام ــ كما أنَّهما له في قوله تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(٣) ، وإنْ جُعِلا لنسله لم يحتج في الآية الشريفة إلى تأويل(٤) .

وكذا خرَّج أبوحيان الآية الكريمة على أنَّ المعنى : ثُمَّ حكم بجعل نسله[٥] .

بينما ذكر ابن هشام أنَّ قوله تعالى" سَوَّاه" معطوف على جملة(وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)لا على جملة(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ)(٦).

وقد علق الدماميني على قو ابن هشام بقوله :" وعلى هذا فالترتيب متحقق ولا إشكال فيه "(٧) .

---

١ ــ السجدة آية : ٧ ، ٨ وجزء من الآية : ٩.
٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٨ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤.
٣ ــ سورة ص آية : ٧١ ، ٧٢.
٤ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٥.
٥ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٩٠.
٦ ــ ينظر : المغني : ١ /١٣٦ .
٧ ــ شرح الدماميني على المغنى : ١ / ٤٣٨.

موقف المفسرين من جعل" ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب .

لم أجد من المفسرين ــ فيما تهيأ لي من الاطلاع ــ مَنْ قال إنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو ، بل وجدتُ النحاس يرجع الضمائر في قوله تعالى(سوَّاه) وقوله تعالى تعالى(وَنَفَخَ فِيْه) إلى الماء فقال: " قوله تعالى (ثُمَّ سَوَّاهُ) يعني الماء ،(وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ)أي الّذي يحيابه "(١) .

بينما أرجع ابن عباس والرازي وأبو السعود والسعدي وابن عاشور الضمائر في الآية الكريمة للنسل وليس لآدم عليه السلام(٢) .

وأرى أنَّ الذي دفعهم إلى جعل الضمائر في الآية لا تعود لآدم ــ عليه السلام ــ وإنَّما للنسل : هو أنَّهم يرون أنَّ " ثُمَّ " لا تأتي بمعنى الواو ، ولعل ممَّا يؤيد هذا ما ذكره الرازي حين قال : " يَبْعدُ أنْ يُقال قوله تعالى (ثُمَّ سَوَّاه وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) تعود إلى آدم ــ عليه السلام ــ أيضًا ، لأن كلمة " ثُمَّ " للتراخي فتكون التسوية بعد جَعْل النسل من سُلالة ، وذلك بعد خلق آدم " (٣) .

وهذا هو ما ذكره أيضًا ابن عاشور حين قال : " الضمير المنصوب في قوله تعالى(ثُمَّ سَوَّاه وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) عائدٌ إلى" نسله" لأنَّه أقرب مذكور ؛ ولأنَّه ظاهر العطف بـ" ثُمَّ " (٤) .

فالرازي وابن عاشور في قوليهما السابقين يحاولان إبقاء " ثُمَّ " على أصل معناها من إفادتها للتراخي والترتيب ، وهذا عندهما لا يتأتي بجعل الضمائر تعود لآدم ، وإنَّما بجعلها تعود للنسل .

---

١ ــ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠.

٢ ــ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٣٤٨ ، مفاتيح الغيب : ٢٥ / ١٤١ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٧ / ٨١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي بتحقيق/عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، الطبعة: الأولى :١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠ م : ١ / ٦٥٣ ، التحرير والتنوير : ٢١ / ٢١٦، ٢١٧.

٣ ــ ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٥ / ١٤١.

٤ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٢١ / ٢١٧.

تعقيب :

وبعد عرض ما خرَّج به ابن عصفور وأبوحيان وابن هشام هذه الآية الكريمة أقول : إنَّ ابن عصفور وأبا حيان قد قدرا محذوفًا بعد " ثُمَّ " ليستقيم المعنى ، وأرى أنَّ هذا تكلفٌ لا داعي إليه ،والأولى من هذا جعل" ثُمَّ "في الآية الكريمة بمعنى الواو لمطلق الجمعِ .

وأمَّا عمَّا خرَّج به ابن هشام الآية الكريمة من أنَّ قوله تعالى " سَوَّاه " معطوف على جملة (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) لا على جملة (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) فأرى أنَّه بذلك قد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) ، وعلى هذا فهل تكون هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه أم ماذا ؟ ! مع أنَّ ظاهر معنى الآية الكريمة يدل على أنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) عاطفة هذه الجملة على قوله تعالى(وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) ،كما أنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى(ثُمَّ سَوَّاه) عاطفة هذه الجملة على الجملة التي قبلها وهي قوله تعالى(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ، ومن ثَمَّ فأنا لا أؤيد ما ذكره ابن هشام من أنَّ " سَوَّاه " معطوف على جملة (وبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ) ، والأولى من هذا كلِّه جعل " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لمطلق الجمعِ بدلًا من اللجوء لمثل هذه التخريجات ظاهرة التكلف .

<u>وأمَّا عمَّا خرَّخ به المفسرون هذه الآية فأقول :</u>

ما ذكره المفسرون من أنَّ الضمائر في الآية الكريمة السابقة تعود للنسل لا لآدم ــ عليه السلام ــ فيه نظرٌ ؛ وذلك لأنَّ قصة خلق آدم ــ عليه السلام ــ قد ذُكِرت في مواضع أخرى من القرآن الكريم كما هو الحال في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(١)، وفي قوله تعالى(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(٢) فكلتا الآيتين الكريمتين تدلان على أنَّ الذي حدث له النفخ والتسوية

---

١ ــ سورة الحجر آية : ٢٨ ، ٢٩.
٢ ــ سورة ص آية : ٧١ ، ٧٢.

هو آدم عليه السلام ، وهذا يؤيد أنَّه هو المقصود بهما في هذه الآيـــة الكريمـــة أيضًا ، و على هذا فالضمائر في هذه الآية الكريمة تعود لآدم ــ عليه السلام ــ لا للنسل ، وقد ذكر الشوكاني أيضًا أنَّ إضافة الروح في قوله تعالى (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) تؤيد كون المقصود هو آدم ــ عليه السلام ــ لا ذريتـــه(١)، وإذا ثبـــت كون الضمائر تعود في الآية الكريمة إلى آدم ــ عليه السلام ــ يكون ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين من أنَّ الضمائر تعود للنســـل فيـــه نظـــرٌ ، وبعـــود الضمائر لآدم ــ عليه السلام ــ يكون أيضًا المعنى الذي استبعد الرازي أنْ يكون هو المقصود من الآية الكريمة :وهو أنَّ تسوية آدم ونفخ الروح فيه قد جاء بعد جعل نسله من سلالة من ماء مهين قد تحقق هذا المعنى بالفعل ، والـــدافع إلـــى تحققه هو كون " ثُمَّ " إنَّما تدل في أصل معناها على الترتيب والتراخي، وباعتبار بقاء " ثُمَّ " على أصل معناها يكون الظاهر من معنى الآية : أنَّ الله بدأ خلـــق آدم من طين ثم جعل ذريته من سلالة من ماء مهين ، ثم بعد ذلك سوى آدم ونفخ فيه من روحه ، ولكن في ذات الوقت هذا المعنى ليس هو المقصود في الآية بحال من الأحوال ؛ لأنَّ الحاصل أنَّ الله ــ عزَّ وجلَّ ــ قد خلق آدم وســـواه ونفـــخ فيـــه الروح ثم جعل بعد ذلك نسله من ماء مهين ، ونقول ما المخرج إذن مـــن هـــذا المأزق ، وكيف يستقيم المعنى إذن ؟؟!!

والجواب : أنَّ الخروج منه سهلٌ ويسيرٌ بجعل " ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلـــق الجمع ؛ وبذلك يستقيم معنى الآية الكريمة .

ــ كما استدل القائلون أيضًا بأنَّ " ثمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيـــب بقوله تعالى(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَـــجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ)(٢) ومعلوم أنَّ أمر الملائكة بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا(٣) .

---

١ ــ ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٢٨٨.

٢ ــ سورة الأعراف من الآية : ١١.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٨ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٢ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الأول : ١ / ١١٦.

وقد أيَّد الأخفش وأبوحيان في أحد أقواله في الآية كون "ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب(١) .

كما أيَّد هذا القول من المفسرين : السمر قندي والباقلاني والزركشي وشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني صاحب كتاب (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم)" (٢) .

ومن النحاة مَنْ لم يجز أنْ تكونَ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب في الآية الكريمة السابقة ، وقاموا بتخريجها على أوجه أخرى غير كونها بمعنى الواو ومن هؤلاء :

الزجاج الذي لم يجزْ أن تكونَ " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو ، وردَّ على ما ذهب إليه الأخفش من كون " ثُمَّ " في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب فقال: " زعم الأخفش أنَّ (ثُمَّ) ههنا في معنى الواو ، وهذا خطأٌ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته ، إنَّما " ثُمَّ " للشيءِ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنَّما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداءُ خلق آدم أولًا ، فإنَّما المعنى: إنَّا بدأنا خلق آدم ثم صورناه"(٣) .

ومنهم أيضًا النحاس الذي رَدَّ على القائلين بأنَّ " ثُمَّ " تكون بمعنى الواو لغير الترتيب وقال إنَّ هذا القول خطأٌ على مذهب أهل النظر من النحويين ، وقال إنَّه لا يجوز أن تكون " ثُمَّ " بمعنى الواو لاختلاف معنيهما ، وقال إنَّ أحسن الأقوال هو القول بأنَّ المعنى : أنَّه خلقهم في ظهر آدم ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ثم كان السجود لآدم بعد ذلك ، وذكر أنَّ قوله تعالى(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)(٤) يقوي هذا المعنى(٥) .

---

١ ــ ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١ / ٣٢١ ، البحر المحيط : ٥ / ١٦.

٢ ــ ينظر : بحر العلوم ١ / ٥٠٥ ، الانتصار للقرآن للباقلاني : ٢ / ٦١٤ ، البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢٦٨، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق الأميرية ــ القاهرة ، طبعة سنة : ١٢٨٥ هـ : ١ / ٤٦٤.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢ /٣٢١.

٤ ــ سورة الأعراف من الآية : ١٧٢.

٥ ــ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ١٢ ،١٣.

كما خرَّج ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ الآيــة الكريمــة على أنَّ الكلامَ محمولٌ على حذف مضاف لفهم المعنى كأنَّه قيل : ولقد خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم(١) .

وعلى الرغم من أنَّ أبا حيان قد أجاز في كتابه (البحر المحيط) أنْ تكون " ثُمَّ " في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب ، إلا أنه في كتابه(التذييل والتكميــل) رفض مذهب القائلين بأنَّ " ثُمَّ " قد تأتي بمعنى الواو لغيــر الترتيــب وقــال : " والصحيح أنَّ "ثُمَّ " تفيد أنَّ الثاني بعد الأول ، وأنَّه متراخ عنه حيثما وردت ، ولا حُجة في شيء ممَّا استدلوا به ، وخرَّج هذه الآية أيضًا على حذف مضاف تقديره : خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم(٢) .

وبذلك تكون أقوال أبي حيان قد تعددت في مسألة مجيء " ثُــمَّ " بمعنــى الواو لغير الترتيب ، فتارة يجيز القول بجواز مجيء " ثُمَّ " بمعنى الــواو لغيــر الترتيب ، وتارة يرفض هذ القول .

موقف المفسرين من القول بأَن " ثُمَّ " في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب في قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)

من المفسرين من لم يرتض القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب في الآية الكريمة ، ومن ثَمَّ قاموا بتخريج الآية على عدة أوجه منها :

أحدها : أنَّ المراد بــ " خَلَقْنَاكُمْ " يعنى آدم ــ عليه السلام ــ ، والمــراد بــ " صَوَّرْنَاكُمْ " أي : صورناه ، وإلى هذا الوجه ذهــب ابــن قتيبــة والطبــري والزجاج والزمخشري والألوسي(٣) .

الثاني : قيل المراد بقوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) أي : خلقنا آدم ، وبقوله (ثُــمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) يعني: ذريته في الأرحام ، وأخبر عن خلق آدم بلفظ الجماعة ؛ لأنَّــه

---

١ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٢.

٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩.

٣ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٩٨ ، جامع البيان : ١٢ / ٣٢١ ، معاني القرآن وإعرابه : ٢ /٣٢١ ، الكشاف : ٢ / ٨٩ ، روح المعاني : ٤ / ٣٢٧.

الأصل للجميع فكأن(خلقه) خلق الجميع ، وإلى هذا الوجه ذهب ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ وغيره(١) .

الثالث : أنَّ " ثُمَّ " تفيد الترتيب في الإخبار والمعنى : ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثُمَّ إنَّا نخبركم أنَّا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، وهذا العطف يفيد ترتيب خبرٍ على خبرٍ(٢).

الرابع : أنَّ المراد بالخلق (التقدير)وتقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء ومشيئته لتخصيص كلِّ شيءٍ بمقداره المعين ، فقوله تعالى (خَلَقْنَاكُمْ) إشارة إلى حكم الله ومشيئته وتقديره لأحداث البشر في هذا العالم ، وقوله تعالى(صَوَّرْنَاكُم) إشارة إلى أنَّه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كلِّ شيءٍ كائنٍ مُحْدَثٍ إلى قيام الساعة ، ثم بعدين هذين الأمرين أحدث اللهُ آدم وأمر الملائكة بالسجود له(٣) .

وقد ذكر الرازي أن هذا التأويل هو أقرب عنده من سائر الوجوه(٤) .

إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها المفسرون في تفسير الآية ، والتي حاولوا من خلالها تفسير الآية على وجهٍ تكون فيه " ثُمَّ" على أصل وضعها للترتيب(٥) .

---

١ ــ ينظر : تنوير المقباس : ١٢٤ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤ / ٢١٨ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ٤ / ٢٢٩٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢ / ١٨١، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٨.

٢ ــ ينظر : النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه لعلي بن فضال المجاشعي : ٢٢٦ ، إعراب القرآن للأصبهاني لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني أبو القاسم بتحقيق د / فائزة بنت عمر المؤيد ، مكتبة الملك فهد الوطنية ــ الرياض ، الطبعة: الأولى : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م : ١٢٧.

٣ ــ ينظر : مفاتيح الغيب للرازي : ١٤ / ٢٠٦ ، اللباب في علوم الكتاب :٩ / ٢٨.

٤ ــ ينظر : مفاتيح الغيب للزاري : ١٤ / ٢٠٦.

٥ ــ ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي : ٤ / ٢١٨ ، زاد المسير في علم التفسير : ٢ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، اللباب في علوم الكتاب :٩ / ٢٧ ، ٢٨.

تعقيب :

وبعد عرض ما خرَّج به النحاة والمفسرون في هذه الآية الكريمة لجعل " ثُمَّ " على أصل معناها للترتيب أودُّ القول : إنَّنِي أؤيد كون" ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ وذلك لأنَّ ما ردَّ به النحاة والمفسرون هذا القول لا يخلو من التكلف واللجوء إلى تقدير محذوف لاستقامة المعنى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فأنا أرى في القول بجواز استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب سدًا لباب الاختلاف القائم بين المفسرين في تفسير المراد بالآية الكريمة السابقة ، وقد رأينا العديد من الأقوال التي وردت في تفسير معنى هذه الآية والتي كان السبب الأساسي وراءها هي رغبة المفسرين في صحة العطف بـ " ثُمَّ " كما قال ابن جزي(١) .

كما أودَّ القول أيضًا إنَّ كثرة التأويلات الواردة في الآية تدل على أنهم لم تتفق كلمتهم حول تفسير المقصود بالآية ، و إنَّما ذهب كلٌّ منهم مذهبًا في تفسير المقصود بالآية ، في حين أنَّ جَعْلَ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب ينأي بنا عن هذه الاختلافات الكثيرة الواردة في تفسير الآية ، كما أنَّ في القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب إبطالًا لما توهمه أعداء الإسلام وحاولوا الطعن به في القرآن الكريم كما قال الباقلاني(٢) .

كما استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى(وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)(٣) فقالوا إنَّ " ثُمَّ" في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ لأن التوبة لا تتراخى عن الاستغفار ، وأيضًا لأن التوبة هي الاستغفار، والاستغفار هو التوبة(٤).

---

١ ــ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١ / ٢٨٥.

٢ ــ ينظر : الانتصار للقرآن : ٢ / ٦١٥.

٣ ــ سورة هود من الآية : ٩٠.

٤ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٨ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤ ، دراسات في أسلوب القرآن الكريم القسم الأول : ٢ / ١١٦.

وقد أيد السمرقندي كون" ثُمَّ" بمعنى الواو وإنْ كان لم يذكرْ هذا صراحة لكن قوله يدل هذا حيث قال: "معناه وتوبوا إليه"(١).

فقد جعل السمرقندي" ثُمَّ " بمعنى الواو عند ذكره لمعنى الآية ، وهذا يدل على أنَّها بمعناها عنده ؛ ولذا وضعها مكانها عند تفسيره لمعنى الآية .

كما أجاز أبو منصور الماتريدي أيضًا كون " ثُمَّ " لغير الترتيب ودل على هذا قوله :" يحتمل أن يكون قوله(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) واحدًا ، ويحتمل على التقديم والتأخير أيّ : توبوا إليه ثم استغفروا ما كان منكم من المساوي"[٢] .

وكلا الاحتمالين اللذين ذكرهما أبو منصور يدلان على أنَّ " ثُمَّ " لم تدل على الترتيب ؛ لأنَّ على الاحتمال الأول الذي ذكره يكون الاستغفار والتوبة بمعنى واحد ، وعلى هذا فـ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب ، وعلى الاحتمال الثاني تكون " ثُمَّ "لم تفدْ الترتيب أيضًا ؛ لأنَّ الاحتمال الثاني دل على أنَّ ما بعدها كان ينبغي أنْ يكون متقدمًا ولكنه أُخِر ، وما قبلها كان ينبغي فيه التأخير ولكنه قُدِم ، وعلى هذا فهي لم ترتب ، ومن ثَمَّ فهي بمعنى الواو لمطلق الجمع .

وعلى هذا فما ذكره الماتريدي يدل على أنَّ " ثُمَّ " عنده لم تفد الترتيب في الآية الكريمة وأنْ لم يذكر هذا صراحة ، ومتى لم تفدْ " ثُمَّ " الترتيب فهي بمعنى الواو .

وقد نسب أبو هلال العسكري للأخفش القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو في الآية الكريمة ؛ وقال إنَّه يرى أنَّ الاستغفار هاهنا بمعنى التوبة ، وإنَّمَا فصل بينهما للتوكيد(٣) .

ولكن برجوعي لكتاب" معاني القرآن " للأخفش لم أجدْه قد صرَّح بهذا ، ولعله صرَّح به في موضعٍ آخر خاصةً وأنَّ الأخفش قد أجاز كون " ثُمَّ " بمعنى الواو في مواضع أخرى .

---

١ ــ ينظر : بحر العلوم : ٢ / ١٣٧ ، ١٦٧.

٢ ــ ينظر: تفسير الماتريدي : ٦ / ١٤٣.

٣ ــ ينظر : الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري : ٥٧.

كما نسب الثعلبي والبغوي وابن الجوزي والقرطبي وأبو حفص سراج الدين الحنبلي والشوكاني للفراء القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو(١) .

لكن بجوعي لكتاب (معاني القرآن) للفراء وجدته لم يصرِّح بهذا ، ورُبَّما يكون قد صرَّح به في موضع آخر .

وقد ردَّ ابن عصفور ــ فيما نقله عنه ناظر الجيش ــ على القائلين بأنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو وقال إنَّ معنى الآية : ثُمَّ داوموا على التوبة(٢) .

وذهب الرضي إلى أنَّ " ثُمَّ " في الآية تفيد الاستبعاد ؛ وذلك لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها ، وعدم مناسبته له ، وذكر أنَّ هذا المعنى فرع التراخي ومجازه ، وذكر الرضي أنَّ بين توبة العبد وبين طلب المغفرة بونًا بعيدًا(٣) .

كما ردَّ أبو حيان على ما احتج به القائلون بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو في الآية الكريمة لأنَّ الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فقال : " الاستغفار والتوبة معنيان متباينان ؛ لأنَّ الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر ، والمعنى أنَّه لا يبقى لها تبعة ، والتوبة الانسلاخ من المعاصي والندم على ما سلف منها والعزم على عدم العودة إليها"(٤) .

ومن المفسرين أيضًا مَنْ لم يرتض القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو في الآية الكريمة السابقة ، ولجأوا إلى تفسير معنى الآية على أوجه لا تكون فيها التوبة بمعنى الاستغفار ، وفي ذات الوقت تكون التوبة مرتبة على الاستغفار، وعلى

١ــ ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي : ٥ / ١٥٧ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : ٢ / ٤٣٨ ، زاد المسير في علم التفسير لا بن الجوزي : ٢ / ٣٥٧ ، الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٣ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٠ / ٤٣١ ، فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٥٤٦.

٢ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٥.

٣ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤١٣.

٤ ــ البحر المحيط : ٦ / ١٢٠.

الرغم أنَّهم حاولوا التفريق بين الاستغفار والتوبة إلا أنَّهم لم تتفق كلمتهم على وجه الفرق بينهما ، بل اختلفوا في وجه الفرق بين هاتين المرتبتين على وجوه :

الوجه الأول : الاستغفار هو طلب المغفرة للذنوب ، والشيء الذي يطلب به الاستغفار هو التوبة ، فالداعي إلى التوبة والمُحَرِّض عليها هو الاستغفار ، فالاستغفار هو المطلوب بالذات ، والتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار ؛ ولهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة .

الوجه الثاني: أنَّ المراد : استغفروا من سالف الذنوب ، ثُمَّ توبوا في المستأنف .

الوجه الثالث : المراد استغفروا من الشرك والمعاصي ، ثُمَّ توبوا من الأعمال الباطلة بالإيمان .

الوجه الرابع : الاستغفار طلب من الله لإزالة ما لا ينبغي ، والتوبة سعيٌ من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي ، فالتوبة عملٌ من الإنسان يأتي به ويتوسل إلى دفع المكروه ، وقُدِم الاستغفار على التوبة ؛ لأنَّ الاستعانة بفضل الله مقدمة على الاستعانة بسعي النفس .

الوجه الخامس : المراد اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا إليه ؛ لأنَّ الاستغفار هو طلب المغفرة وهو الستر ، والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية إلى خلاف ذلك ، فلهذا السبب قُدِم الاستغفار على التوبة(١).

وقال ابن عباس المراد : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيّ : وحدوا ربكُم وقوله (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) أيّ : أقبلوا إليه بالتوبة والإخلاص(٢) .

وذكر الزمخشري أنَّ الاستغفار وأنْ كان توبة إلا أنَّ المراد بالتوبة : أخلصوا التوبة واستقيموا عليها(٣).

---

١ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٢ / ٢٧١ ، ٢٨٥ ، مفاتيح الغيب للرازي : ١٧ / ٣١٥ ، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام : ٢ / ٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٩ / ٣ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢ / ١٢٧ ، تفسير النسفي : ٢ / ٤٦ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري : ٤ / ٥، ٦ ، فتح القدير للشوكاني ٢ / ٥٤٦.

٢ ــ ينظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ١٨١.

٣ ــ ينظر : الكشاف : ٢ / ٣٧٨.

وقد ذكر ابن عطية أنَّ الاستغفار والتوبة إذا كانا من الشرك كان المعنى: " اطلبوا غفران الله بالإنابة ، ثم توبوا بالإيمان من كفركم "، فيجيء الترتيب على هذا مستقيمًا ، وإلَّا احتيج في ترتيب التوبة بعد الاستغفار إلى تحيل كثير(١) .

وقد ذكر السمين الحلبي وأبو حفص سراج الدين الحنبلي صاحب (اللباب في علوم الكتاب) أنَّ " ثُمَّ " على بابها من إفادة الترتيب والتراخي ؛ لأنَّ قوله (ثُمَّ توبوا) عطفٌ على ما قبله من الأمر بالاستغفار ؛ و لأنَّه يستغفرُ أولًا ثم يتوبُ ويتجرَّدُ من ذلك الذنب المستغفرِ منه(٢) .

وقد جعل الزركشي" ثُمَّ " في الآية لترتيب الإخبار لا لترتيب المخبر عنه(٣) .

كما ذكر ابن عاشور أن " ثُمَّ " ههنا للترتيب في الرتبة ؛ وذلك لأنَّ الاستغفار : طلب المغفرة للذنب ، أيّ طلب عدم المؤاخذة بما مضى منهم من الشرك ، والتوبة : الإقلاع عن الذنب في المستقبل والندم على ما سلف منه ، وثُمَّ للترتيب الرُتبي ؛ لأنَّ الدوام على الإقلاع أهم من طلب العفو عمَّا سلف(٤) .

تعقيب :

وبعد عرض ما وُجِه من ردَّ للقول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة لغير الترتيب بمعنى الواو أودُّ القول : إنَّنِي أؤيد القول بأنَّ " ثُمَّ " في هذه الآية الكريمة بمعنى الواو لمطلق الجمع ؛ وتأييدي هذا ليس لكون الاستعفار بمعنى التوبة كما قالوا ؛ لأنَّنِي أرى أنَّهما مختلفان في المعنى ، ولكن لأنَّني أرى أنَّ التوبة ينبغي أنْ تكون مقدمةً على الاستغفار ؛ لأنَّ العبدَ يتوب أولًا ويرجع إلى الله ثم يستغفره ، وممَّا يدل على أنَّ التوبة تكون قبل الاستغفار قوله تعالى(أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ)(٥) فقد جاءت التوبة في الآية الكريمة قبل

---

١ ــ ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٣/ ١٨٠.

٢ ــ ينظر : الدر المصون : ٦ / ٢٨٢ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٠ / ٤٣١.

٣ ــ ينظر : البرهان : ٤ / ٢٦٦.

٤ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٩٦.

٥ ــ سورة المائدة من الآية : ٧٤.

الاستغفار ، ووقع العطف بينهما بالواو ، وهذا يؤيد كون التوبة مقدمة على الاستغفار ، ويدل أيضًا على أنَّ " ثُمَّ " فى قوله تعالى(وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) لم تفدْ الترتيب ؛ لأنَّ ما بعدها ينبغي أنْ يكون متقدمًا .

ولقناعة الكثير من المفسرين بكون التوبة قبل الاستغفار وجدنا كلًّا منهم يلتمس وجهًا في تفسير الآية يُبرر من خلاله سبب تقدم الاستغفار على التوبة ، ووجدنا في نهاية الأمر العديد من الأوجه في بيان سبب تقديم الاستغفار على التوبة ، مع أنَّه كان يمكننا اللجوء إلى أسهل السبل وأيسرها بدلا من هذا العدد الهائل من الأوجه التي وردت في بيان الفرق بينهما ، وفي سبب تقديم الاستغفار على التوبة ، وهذا الأمر اليسير يتمثل في جعل " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب ، وقد أيد ذلك قوله تعالى (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) الذي تقدم فيه التوبة على الاستغفار .

وأمَّا عمَّا ذكره الرضي من كون " ثُمَّ " في الآية للاستبعاد فأقول:كيف يكون بين التوبة والاستغفار بونًا بعيدًا ، ويكون مضمون التوبة غير مناسب لمضمون الاستغفار ، مع أنَّ التوبة يستلزم لها الاستغفار بل هو من متمماتها .

وهنا أودُّ الإشارة إلى ما ذكره ابن عطية من قبل من أنَّنا إنْ لم نجعل المخاطب بالآية الكريمة السابقة الكفار احتجنا إلى تحيل كثير لجعل التوبة مرتبة على الاستغفار ، فكأنَّ ابن عطية بهذا يشير إلى أنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة إذا بقيت على ظاهرها دون تحيل في المعنى تكون لغير الترتيب ، ومتى كانت لغير الترتيب فهي بمعنى الواو ، وما ذكره ابن عطية من أنَّهم في حاجة إلى تحيل كثيرٍ لترتيب التوبة بعد الاستغفار في الآية الكريمة إنْ لم يكن المخاطب بها الكفار ، يشير إلى أنَّ المعنى يدل على أنَّ " ثُمَّ " لغير الترتيب ، ولكنهم يحاولون بأيَّ وسيلة ألَّا تكونَ " ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلق الجمع ، حتى لو كان ذلك بالتحيل في المعنى وفرض الاحتمالات الكثيرة في تفسير معنى الآية.

كما أودُّ القول إنَّ ما ذكره الزركشي وابن عاشور من أنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة للترتيب في الإخبار أو الرتبة ، إنَّما هو في مضمونه يدل على أنَّ " ثُمَّ "

لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي وإنَّما رتبت في الإخبار والرتبة فقط ، ومتى كانت هكذا فهي بمعنى الواو لغير الترتيب .

وأرى أنَّ ما ذكره السمين الحلبي وأبو حفص سراج الدين الحنبلي صاحب (اللباب في علوم الكتاب) من أنَّ " ثُمَّ " على بابها من إفادة الترتيب والتراخي ، لأنَّه يستغفرُ أولًا ثم يتوبُ ويتجرَّدُ من ذلك الذنب المستغفرِ منه ، فيه نظرٌ ؛ لأنَّ المعنى بعكس ما ذكرا ؛ لأنَّ العبد يتوب أولًا من الذنوب والمعاصي ثُمَّ يحقق التوبة بالاستغفار ، وممَّا يدل على أنَّ التوبة تكون أولًا أيضًا قوله تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا)(١) فالآية الكريمة قد دلت على أنَّ التوبة هي التي تقع أولًا ويليها غيرها .

وبناء على ما سبق أرى أن " ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة لم تفد الترتيب وأنَّما هي بمعنى الواو لمطلق الجمع .

ــ وقد استدل القائلون بأنَّ" ثُمَّ" قد لا تفيد الترتيب وتكون بمعنى الواو أيضًا بقوله تعالى(يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا)(٢) وقالوا : إنَّ إنكار النعمة غير متراخ عن معرفتها(٣) .

وهنا أودُّ القول إنَّني أرى أنَّ هذه الاية الكريمة لا تصلح شاهدًا على جعل" ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ وذلك لأنَّ الذين احتجوا بهذه الآية ذكروا أنَّ الحُجةَ لجَعْلِ " ثُمَّ " بمعنى الواو هي أنَّ إنكار النعمة لا يتراخى عن معرفتها ، وعلى هذا فهم يرون أنَّ " ثُمَّ " لم تفدْ التراخي ، و لكني أرى أنَّها مع هذا قد أفادت الترتيب أيضًا ؛ لأنَّ معرفة النعمة تتقدم على إنكارها ، وطالما أفادت " ثُمَّ " الترتيب فهي ليست بمعنى الواو ، و أرى أنَّ " ثُمَّ " في الآية قد جاءت بمعنى الفاء ؛ وذلك لأنَّ الذي يعرف النعمة لا ينتظر فترة ثُمَّ ينكرها ، ولكن إنكارها يعقب معرفتها ؛ ولذا أرى أنَّها جاءت بمعنى الفاء للترتيب والتعقيب .

---

١ ــ سورة طه من الآية : ٨٢.

٢ ــ سورة النحل من الآية : ٨٣.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤.

ــ كما استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)(١)، وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)(٢) ، فقالوا إنَّ " ثُمَّ " في الآيتين ليست للترتيب وإنَّما هي بمعنى الواو ؛ لأنَّ الاستواء قبل خلق السماوات والأرض(٣) .

وقد ذهب مقاتل بن سليمان والسمرقندي إلى أنَّ " ثُمَّ " في الآيتين لم تفدْ الترتيب ، ولكنهما لم يذكرا هذا صراحة ، ولكن فُهِم هذا من تفسيرهما لمعنى الآيتين حين قالا في تفسيرهما :" فيهما تقديم : أي أنَّ الله استوى على العرش قبل خلق السموات والأرض"(٤) .

وما ذكراه يدل على أنَّ ما بعد" ثُمَّ " متقدمٌ على ما قبلها ، ممَّا يعني أنَّها لم تفدْ الترتيب ، وإنْ لم تفدْ " ثُمَّ " الترتيب فهي بمعنى الواو .

كما ذكر ابن عطية أنَّ " ثُمَّ " في الآية لعطف الجمل لا للترتيب ، وعلل ذلك بأنَّ الاستواء على العرش قبل رفع السماوات(٥) .

وإذا ما تأملنا ما ذكره ابن عطية نجد أنَّه يدل على أنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو وإنْ لم ينص على هذا صراحة ؛ لأنّ كون " ثُمَّ " للعطف بين الجمل فهذا يعني أنَّها لابد لها من معنى تدل عليها ؛ لأنَّ لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنى يدل عليه سواء بطريق الأصالة أم المجاز ، وإذا كانت" ثُمَّ "لم ترتب فهي في هذه الحالة بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو هي التي لا تفيد الترتيب عند جمهور النحاة ، وإنَّما هي لمطلق الجمع ، وهذا هو ما حدث في الآية الكريمة فـ " ثُمَّ " قد جمعت بين ما بعده وما قبلها مطلقًا دون مراعاة أيُّهما كان أولًا .

---

١ ــ سورة الرعد من الآية : ٢.
٢ ــ سورة الأعراف من الآية : ٥٤.
٣ ــ ينظر : بحر العلوم للسمر قندي : ١ / ٥٢١ ، دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول : ٢ / ١١٤.
٤ــ تفسير مقاتل بن سليمان : ٢ / ٢٢٥ ، ٣٦٦ ، ٥/ ٩٩ ، بحر العلوم : ١ / ٥٢١ ، ٢ / ٢١٥ ، ٣ / ٣٣.
٥ ــ ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩١ ، ٢٩٢

وقد تبع الثعالبي ابن عطية فيما ذهب إليه(١) ، وهذا يعني أنَّ " ثُمَّ " عند الثعالبي أيضًا بمعنى الواو لمطلق الجمع .

وقد أيد القرطبي القول بكون " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب فقال : " وليست" ثُمَّ " للترتيب ولكنها بمعنى الواو"(٢) .

ولم يرتض السيرافي القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو وذكر أنَّ" ثُمَّ " على الموضع الصحيح من تأخير ما بعدها عمَّا قبلها ولكن بتأويل يشهد به كلام العرب ، وذكر أنَّ الاستواء سواء أكان بمعنى الاستيلاء أو غيره لا يصح إلا على الموجودات بعد خلقه إياها ، والعرش داخل في خلق السماوات الأرض(٣) .

ومن المفسرين من جعل " ثُمَّ " على بابها للترتيب و التراخي ، ولكن كلَّفهم هذا القول أنْ يحاولوا التوفيق بين هاتين الآيتين ، وبين ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنَّ خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض(٤) بدليل قوله تعالى (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ)(٥)، ومن هؤلاء المفسرين :

ــ الباقولي الذي ذهب للقول بأنَّ : " ثُمَّ " في الآيتين للتقديم والتقديره عنده : هو الذي خلق السموات والأرض أي أخبركم بخلقهما ، ثم أخبركم بالاستواء(٦).

وعلى ما ذكره الباقولي تكون " ثُمَّ " عنده للترتيب في الإخبار .

ــ ومنهم أيضًا الرازي الذي تعدد أقواله في تفسير المراد من معنى الآية:

---

١ ــ ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن :٣ / ٣٥٨.

٢ ــ ينظر :الجامع لأحكام القرآن : ١٤ : ٨٦.

٣ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢ / ٣٣٤.

٤ ــ ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٤ / ٥٥٦.

٥ ــ سورة هود من الآية : ٧ .

٦ ــ ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج لعلي بن الحسين بن علي الأَصْفهاني الباقولي بتحقيق / إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصرية ــ القاهرة ، الطبعة : الرابعة : ١٤٢٠ هـ : ١ / ١٠١.

ــ فذكر في أحد أقواله أنَّ " ثُمَّ "في الآية على بابها للتراخي، وهــذا يــدل على أنَّ اللهَ ــ سبحانه وتعالى ــ إنَّما استوى على العرش بعد تخليق الســماوات والأرض(١).

ولما وجد الرازي قوله السابق يتعارض مع ما ذكره جمهور المفسرين من أنَّه لا يمكن أنْ يكون المعنى أنَّه تعالى خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض قال : " يجب تفسير هاتين الآيتين بوجوه أُخَر وهو أنْ يكونَ المراد : ثُــمَّ يــدبر الأمر وهو مستوٍ على العرش"(٢) .

ــ ثُمَّ ذكر الرازي تفسيرًا آخر لمعنى قوله تعالى" ثُمَّ استوى على العرش" فقال : " الحاصل أنَّ العرش عبارة عن الملك ، وملك الله تعالى عبارة عن وجــود مخلوقاته ، ووجود مخلوقاته إنَّما حصل بعد تخليق السماوات والأرض ، لا جــرمَ صحَّ إدخال حرف " ثُمَّ " الذي يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراده "(٣) .

ــ وفي محاولة أُخرى من الرازي لجعل ظاهر قوله تعالى(ثُمَّ استوى على العرشِ) يتوافق مع قوله تعالى (وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ) ذكر الرازي أنَّ كلمة " ثُمَّ " ما دخلت على خلق العرش ، بل على رفعه على السماوات ، وكــأن المعنــى عنده : ثم رفع العرش على السماوات والأرض(٤) .

ــ وذكر الرازي في قول آخر له أنَّ المعنى : خلق الســماوات والأرض ثُمَّ القصة أنَّه استوى على العرش ، فــ" ثُمَّ " هنا للحكاية لا للمَحْكِي(٥) .

ــ وذكر الرازي أيضًا أنَّه يجوز أنْ يكــونَ المعنــى : خلــق الســماوات والأرض ثُمَّ ههنا ما هو أعظم منه استوى على العرش ، فإنَّه أعظم من الكرسي، والكرسي وسع السماوات والأرض(٦) .

---

١ ــ ينظر : مفاتيح الغيب : ١٤ / ٢٨٦.
٢ ــ مفاتيح الغيب : ١٧ / ١٩٢ بتصرف يسير.
٣ ــ مفاتيح الغيب : ١٧ / ١٩٢.
٤ ــ مفاتيح الغيب : ٢٤ / ٤٧٨.
٥ ــ ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٥ / ١٣٨.
٦ ــ ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٥ / ١٣٨.

ــ وقد ذهب سراج الدين عمر بن علي الحنبلي إلى أنَّ كلمة " ثم " للتراخي ، و ذكر أنَّ هذا يدل على أنَّه تعالى إنَّمَا استوى على العرش بعد تخليق السموات والأرض "(١) .

وقال سراج الدين الحنبلي في موضع آخر : " فإن قيل: يلزم أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات ، وليس كذلك لقوله تعالى(وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء) ، فالجواب: كلمة "ثُمَّ " ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه على السموات(٢).

ــ بينما ذهب ابن عاشور إلى أنَّ " ثُمَّ :" قد دلت على التراخي الرُّتْبِي ، وذكر أنَّ المعنى : أيّ وأعظم من خلق السماوات والأرض استواؤه على العرش ، للتنبيه على أنَّ خلق السماوات والأرض لم يحدث تغييرًا في تصرفات الله بزيادة ولا نقصان(٣) .

تعقيب :

وبعد عرض أقوال النحاة و المفسرين القائلين بأنَّ " ثُمَّ " في الآيتين قد أفادت الترتيب والتراخي أقول :

ما ذكره السيرافي من أنَّ " ثُمَّ " على وضعها الأصلي منْ تأخير ما بعدها عمَّا قبلها ولكن بتأويل يدل على أنَّ " ثُمَّ " في حقيقة الأمر ليست على وضعها الأصلي ؛ إذ إنَّه طالما لجأنا إلى التاويل لاستقامة المعنى فلا تكون على وضعها الأصلي إذن ، ومن ناحية أُخرى ما الدليل على أنَّ خلق العرش داخل في خلق السماوات والأرض؟؟ ! وقد رأينا جمهور المفسرين يقولون إنَّ خلق العرش مستقل عن خلق السماوات والأرض ومتقدمٌ على خلقهما ، لذا أرى أنَّ ما ذكره السيرافي ما هو إلا محاولة منه لإبقاء" ثُمَّ" على أصل وضعها بأي وسيلة كانت ، حتى لو اضطر إلى التاويل ومخالفة جمهور المفسرين ، فالسيرافي بذلك قد لجأ

---

١ ــ ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٩/ ١٤٩.

٢ ــ ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٤/ ٥٥٦.

٣ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ١٦٦.

إلى التأويل لإثبات صحة ما يراه ، والبصريون من أسس مذهبهم أنَّ ما لا يحتاج إلى التأويل أولى ممَّا يحتاج .

ومن ثَمَّ فإنني أرى أنَّ السيرافي بذلك قد اعتمد في إثبات صحة ما يراه على أمرٍ قد رفضه القائمون على المذهب البصري الذي ينتمي إليه ، وهذا يعني أنَّه خالفَ أسس مذهبه من أجل تأييد ما يراه .

وما الداعي إلى ذلك والسيرافي نفسه قد ذكر أنَّ بعض حروف العطف قد يدخلها من المجاز والاتساع بحيث يؤدي الحرفان معنى واحدًا ، فلماذا لا نجعل " ثُمَّ " والواو من هذه الحروف التي تؤدي معنى واحد ؟؟!

وأمَّا عمَّا ذكره الرازي وسراج الدين الحنبلي من أنَّ " ثُمَّ" قد أفادت الترتيب والتراخي فأقول : قد ترتب على ذلك مخالفتهما لماذهب إليه جمهور المفسرين من أنَّ الاستواء على العرش قبل خلق السماوات الأرض .

وعندما وجدا أنفسهما مخالفين لمذهب جمهور المفسرين قاما بتفسير الآية على أوجه أخرى :

فقال الرازي إنَّ " ثُمَّ " إنَّما دخلت على قوله تعالى (يُدَبِرُ الأمرَ) ، وجعل قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) جملة حالية والمعنى عنده :" ثُمَّ يدبر الأمر وهو مستوٍ على العرش " .

وأقول : الرازي بذلك قد جعل مدخول " ثُمَّ " قوله تعالى (يُدَبِرُ الأمرَ) ، وجعل المعنى : خلق السماوات والأرض ثُمَّ يدبر الأمر وهو مستوٍ على العرش ، وهذا المعنى بعيدٌ عن ظاهر معنى الآية ، وليس هناك ما يدفعنا إلى القول بأنَّ مدخول " ثُمّ " هو قوله تعالى " يدبرُ الأمر " ، لأنَّها في ظاهر الأمر إنَّما دخلت على قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) ، ومن الواضح أنَّ المعطوفَ بـ ثُمَّ " أنَّما هو قوله (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) ، وأميل إلى كون قوله تعالى(يُدَبِرُ الأمرَ) جملة حالية ، ومن ناحية أخرى : ما ذكره من المعنى يدفع البعضُ إلى القول بأنَّ تدبير الأمر وهو مستوٍ على العرش قد حصل أيضًا بعد أنْ خلق السماوات والأرض ، وهذا أيضًا أمرٌ غير مقبول عند جمهور المفسرين ، ومن ناحية أخرى

أقول : وماذا عن الآية الأخرى التي جاء فيه قوله تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) متأخرًا وكان المعطوف على قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو قوله تعالى (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) فهل المعنى في هذه الآية : أنَّه ــ سبحانه وتعالى ــ سخر الشمس والقمر وهو مستوٍ على العرش ؟؟!!

ثم نجد الرازي قد ذكر قولًا آخر له وذكر أنَّ المعنى هو : " الحاصل أنَّ العرش عبارة عن الملك ، وملك الله تعالى عبارة عن وجود مخلوقاته ، ووجود مخلوقاته إنَّما حصل بعد تخليق السماوات والأرض ،لا جرمَ صحَّ إدخال حرف " ثُمَّ " الذي يفيد التراخي على الاستواء على العرش .

وأقول : الرازي قد فسَّر الاستواء على العرش بأنَّ المرادَ به وجود المخلوقات ؛ ولذا صحَّ عنده العطف بـ " ثُمَّ " التي تفيد الترتيب و التراخي ؛ وذلك لأنَّ وجود المخلوقات قد حصل بالفعل بعد خلق السماوات والأرض ، ولكنَّ هذا التفسير الذي فسَّر به الاستواء على العرش غريبٌ ، بل هو في غاية الغرابة ولم أجدْ من المفسرين ــ فيما تهيأ ليَّ من الاطلاع ــ مِنْ قال به .

وذكر الرازي في قول ثالثٍ وتبعه فيه سراج الدين الحنبلي : إنَّ كلمة " ثُمَّ " ما دخلت على خلق العرش ، بل على رفعه على السماوات .

وأقول : من أين أتى الرازي وسراج الدين بهذا المعنى وذكرا أنَّه هو مدخول " ثُمَّ "، وليس هناك في الآيتين ما يشير من قريبٍ ولا بعيدٍ إلى أنَّ المعنى هو : أنَّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ خلق السماوات والأرض ثُمَّ رفع العرش على السماوات .

وذكر الرازي في قول رابعٍ له بأن " ثُمَّ " للحكاية .

وأرى أنَّ هذا القول للرازي يوافق عندي ما ذهب إليه الباقولي من كون " ثُمَّ " لترتيب الإخبار .

وأقول : إنَّ جعْل " ثُمَّ " للحكاية أو للترتيب في الإخبار يُعني أنَّها لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي ، وإذا لم ترتب فهذا يعني أنَّ ما بعدها ليس متأخرًا عمَّا

قبلها في واقع الأمر ، بل هو قبله ، وقد ذكر الباقولي أيضًا أنَّ " ثُمَّ " للتقديم ، وهذا يعني أنَّ ما بعدها متقدمٌ على ما قبلها ، وهذا يؤيد أنَّها قد أفادت معنى الواو ولم تدل على الترتيب والتراخي ، وإنَّما هي لمطلق الجمع .

وذكر الرازي في قولٍ خامسٍ له أنَّ المعنى : أنَّه خلق السماوات والأرض ثُمَّ ههنا ما هو أعظم منه استوى على العرش ، فإنَّه أعظم من الكرسي ، والكرسي وسع السماوات والأرض .

و أقول : هذا يدل على أنَّ " ثُمَّ " تفيد أيضًا أنَّ الاستواء على العرش بعد خلق السماوات والأرض ، ولكنَّ من ناحية العظمة ليس خلق السماوات والأرض هو أعظم الأشياء ، ولكنَّ الاستواء على العرش أعظم من خلق السماوات ، فهو بذلك قد جعل " ثُمَّ " للترتيب والتراخي ، وكلامه يدل دلالة صريحة على أنَّ الاستواء حاصلٌ بعد خلق السماوات والأرض ، ولكنه أعظم من خلقهما ، وبذلك يكون الرازي قد خالف ثانيةً ما ذهب إليه جمهور المفسرين بجعله الاستواء على العرش حاصل بعد خلق السماوات والأرض .

ولا أدرى ما الذي يدفع الرازي إلى مثل هذه الأقوال الغريبة لكي يثبتَ أنَّ " ثُمَّ " على أصل وضعها للترتيب والتراخي ، مع أنَّ القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلق الجمع ينأي به عن مثل هذه الأقوال ، وإذا كان الرازي يرى غرابة في القول بجعل" ثُمَّ " بمعنى الواو ، أو يرى أنَّه مخالف لما وضُعِت له " ثُمَّ " في أصل معناها ، فأرى أنَّ بعض ما ذكره في تفسير الآيتين أشد غرابة ومخالفة من جعل" ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلق الجمع ، بل على العكس فجعل " ثُمَّ " بمعنى الواو أمرٌ قد أجازه بعض النحاة ـــ كما أشرتُ من قبل ـــ وحملوا عليه بعض آيات القرآن ، ووجدنا من المفسرين من أيده وقال به ، ووجدنا فيه أنَّ فيه إبطالًا لما توهمه أعداء الإسلام وحاولوا الطعن به في القرآن الكريم كما قال الباقلاني(١) ، وقد ذكر ذكر الألوسي أنَّ استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب قد ورد كثيرًا في

١ ـــ ينظر : الانتصار للقرآن : ٢ / ٦١٥.

كتاب الله(١) ، والسؤال هنا لمَ يحاول البعض إنكار استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو ؟؟!! مع أنَّ فيه سدًا لباب الاختلافات الكثيرة التي وردت في تفسير العديد من الآيات التي يدل ظاهرها على أنَّ " ثُمَّ " فيها بمعنى الواو لمطلق الجمع .

وأمَّا عمَّا ذهب إليه ابن عاشور من أنَّ " ثُمَّ " للتراخي الرُّتبِي وذِكْره أنَّ المراد من معنى الآيتين : أعظم من خلق السماوات والأرض استواؤه على العرش ، للتنبيه على أنَّ خلق السماوات والأرض لم يحدث تغييرًا في تصرفات الله بزيادة ولا نقصان .

فأقول : هو بذلك يرى أنَّ " ثُمَّ " للترتيب ، وكلامه يدل على أنَّ الاستواءَ حاصلٌ بعد خلق السماوات والأرض ولكنَّه أعظم منهما، وهو بذلك يخالف القول بكون الاستواء على العرش قبل خلق السماوات والأرض ، ومن ناحية أُخرى نجد أنَّه عندما جعل " ثُمَّ " للتراخي الرُّتبي فهو بذلك لم يجعلها للتراخي الزماني الذي هو أصل معناها ؛ ولذا أرى أنَّ الأولى القول بأنَّ " ثُمَّ " لم تفد الترتيب ولم تفد أيضًا التراخي بمعناه الحقيقي ، وإنَّما هي بمعنى الواو لمطلق الجمع .

ــ كما استدل القائلون بمجيء" ثُمَّ " لغير الترتيب بمعنى الواو بقوله تعالى (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(٢)، وقالوا إنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو ؛ لأنَّ الاتقاء والإيمان لم ينقطعا ثم حدث بعدهما بمهلة اتقاء وإيمان آخران(٣) .

ولم أجدْ من المفسرين ــ فيما تهيأ ليَّ من الاطلاع ــ من قال إنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب ، ولكن كان شغلهم الشاغل هو تفسير المراد من تكرار الاتقاء ثلاث مرات في الآية الكريمة ، وقد ذهبوا في تفسير المراد من تكراره إلى عدة مذاهب منها :

---

١ ــ ينظر : روح المعاني للألوسي : ٤ / ٣٠٢.

٢ ــ سورة المائدة آية : ٩٣.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٨ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤.

ــ أنَّ المراد بالاتقاء الأول : مَنْ اتقى فيما سلف ، وبالثاني : الاتقاء منهم في مستقبل الأوقات ، وبالثالث: اتقاء ظلم العباد والإحسان إليهم(١).

وقيل : الاتقاء الأوّل: هو الاتقاء بتلقِّي أمر الله بالقَبُول والتصديق، والدينونة به والعمَل ، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق ، وترك التبديل والتغيير ، والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان ، والتقرُّب بنوافل الأعمال(٢) .

إلى غير ذلك من الأوجه التي قيلت في المراد من تكرار الاتقاء(٣) .

تعقيب :

بالنظر إلى ما ورد من الأقوال في تفسير المراد من تكرار الاتقاء ثلاث مرات في الآية الكريمة أقول : إنَّنِي لا أؤيد القول بإنَّ " ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ إذ لو جعلت بمعناها لكان المعنى : " اتقوا وآمنوا واتقوا وآمنوا واتقوا وأحسنوا " وعلى هذا فما المعنى الذي أفادته الواو حينئذ ؟!! بل على العكس القول ببقاء" ثُمَّ " على أصل معناها أتم وأبلغ في أداء المعنى من جعلها بمعنى الواو ؛ وأرى أنَّ " ثُمَّ " قد أفادت الترتيب في الآية الكريمة ؛ وذلك لأنَّ الآية الكريمة تتحدث عن ثلاث مراحل أو مراتب إذا تحققت في الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يكون عليهم جناحٌ فيما طعموا ، وأرى أنَّ هذه المراحل أو المراتب الثلاثة يترتب كلٌّ منها على ما قبلها من أجل الوصول إلى المرتبة الثالثة ، والتي تعتبر من أسمى وأجل المراتب ؛ لأنَّه من المعروفِ أنَّ الإحسانَ في العبادة يعتبر من أعلى المراتب ، بل أنَّ البعضَ يعتبره المنتهى

١ــ ينظر :أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص بتحقيق/محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، طبعة سنة :١٤٠٥ هـ : ٤ / ١٢٩.

٢ ــ ينظر : جامع البيان للطبري : ١٠ / ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ٣ / ١٨٦٧.

٣ ــ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٨١ ، بحر العلوم : ١ / ٤١٧ ، الكشاف : ١ / ٦٧٦ ، أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي علَّق عليه/محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة: الثالثة : ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م : ٢ / ١٦٧، مفاتيح الغيب: ١٢ / ٤٢٧ ، البحر المحيط : ٤ / ٣٦٠ ، الدر المصون : ٤ / ٤١٦ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٢ / ١١٥.

الذي يمكن أنْ يصل إليه الشخص ، ومن ثَمَّ أرى أن " ثُمَّ " في الآية الكريمة للترتيب ، وكأنَّ الآية تحدثت عن مرحلة البداية الذي يشير إليه قوله تعالى (إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، ثم تحدثت مرحلة الوسط والتي تحدث عنها قوله تعالى (ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) ، ثم تحدثت عن مرحلة أو مرتبة المنتهى والتي تتمثل في قوله تعالى (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل أفادت" ثُمَّ " في الآية السابقة التراخي مع إفادتها للترتيب أم لا ؟

والجواب : إنَّني أرى أنَّ " ثُمَّ " قد أفادت التراخي أيضًا مع إفادتها للترتيب ؛ وذلك لأنَّ الآية تحدثت عن ثلاث مراحل ، وممَّا لا شكَ أنَّ كل مرحلة تقتضي الزيادة على ما قبلها ، وأيضًا يحتاج المؤمنون في كلِّ مرحلةٍ إلى فترة زمنية لكي يتمكنوا من الوصول إلى المرحلة التي تليها ، والتي تعتبر أرفع وأعلى ممَّا قبلها، ولا شكَ أنَّ مثل هذا يحتاج إلى بعض الوقت ، وكأن الله ــ عزَّ وجلَّ ــ يريد التدرج والارتقاء بهم لكي يصلوا إلى أعلى درجات التقوى ، وهي التي يكون فيها الإيمان مقترنًا بالإحسان ؛ ولذا كنا في حاجة إلى حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي ؛ لذا كان المناسب من ناحية المعنى هو استعمال" ثُمَّ " التي تدل على هذين المعنيين .

ــ كما استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)(١) وقالوا إنَّ الاهتداء هو ما تقدم ذكره في الآية ، وعلى هذا فتراخيه عنه لا يُتصور(٢) .

وقد أيَّد تاج الوقار القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية لم ترتب ، ولكنه لم ينص على هذا صراحة ، ولكن فُهم هذا من كلامه حين قال : " ثُمَّ " قد تأتي مع الجملة دالًا على التقدم كقوله :(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) ، والاهتداء سابق "(٣) .

---

١ ــ سوره طه آية : ٨٢.

٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ /٨٨ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤ ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢ / ٢٢٣ ، معترك الأقران : ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧.

٣ ــ غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١ / ٢٦٠.

فقوله هذا يدل على أنَّ ما بعد" ثُمَّ " سابقٌ على ما قبلها ، وهذا يدل على أنَّها لم تفدْ الترتيب ، ومتى ما اُسْتُعملت" ثُمَّ " لغير الترتيب كانت بمعنى الواو لمطلق الجمع .

ردُّ النحاة المانعين لاستعمال" ثُمَّ "بمعنى الواو لغير الترتيب في الآية الكريمة السابقة على مَنْ أجاز ذلك :

من النحاة من ردَّ على القائلين بأنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب ومنهم :

الزمخشري الذي لم يؤيد القول بكون " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب وذهب إلى أنَّها للتباين بين الشيئين في المنزلة ،كما كانت للتباين بين الوقتين في الحدوث ؛ لأنَّ منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنَّها أعلى منها وأفضل(١).

وقد تبع ابن عاشور الزمخشري فيما ذهب إليه(٢) .

ولم يرتضْ الرضي أيضًا القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب ، وذهب إلى أنَّ " ثُمَّ " للاستبعاد أيّ : استبعاد لمرتبة البقاء عليها من مرتبة ابتدائها ؛ لأنَّ البقاء عليها أفضل ، والمعنى عنده : ثُمَّ بقي على ذلك الهْدي من التوبة والعمل الصالح ، فقد اُسْتُعملت" ثُمَّ " نظرًا إلى تمام البقاء(٣) .

وكذا لم يرتض ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ وأبوحيان القول بأن " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو ولم تفدْ الترتيب ،وذهبا إلى أنَّ " ثُمَّ " تفيد أنَّ ما بعدها إنَّما هو في الحقيقة بعد ما قبلها، وأنَّه متراخٍ عنه لأنَّ المعنى عندهما : ثُمَّ داوم على الهُدى(٤) .

---

١ ــ ينظر : الكشاف : ٣ / ٨٠.

٢ ــ ينظر : التحرير والتنوير :١٦ / ٢٧٦.

٣ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤/ ٤١٥.

٤ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧/ ٣٤٤٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٩٠.

ردُّ المفسرين المانعين لاستعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب في الآيــة السابقة على مَنْ أجاز ذلك :

من المفسرين مَنْ ردَّ القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب ، و قاموا بتوجيه معنى قوله تعالى (ثُمَّ اهْتَدَى) على عدة أوجه منها :

ــ ذكر ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنَّ المراد : رأى ثواب عمله حقًــا ولم يشك (١) .

ــ ذكر يحيي بن سلام أنَّ المراد به : ثم عرف الصواب(٢) .

ــ ذكر مقاتل بن سليمان والفراء والنحاس أنَّ المراد : ثم علم أنَّ لذلك ثوابًا وعقابًا(٣) .

ــ وذكر الطبري أنَّ المراد : ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئا منه(٤) .

ــ وذكر الزجاج أنَّ المراد : ثم أقام على إيمانه(٥) .

ــ وذكر الراغب الأصفهاني والفيروزآبادي أنَّ المراد : ثم أدام طلب الهداية، ولم يفتر عن تحرّيه ، ولم يرجع إلى المعصية(٦) .

ــ وذكر السيرافي و الزمخشري والباقولي والزركشي أنَّ المــراد : ثــم دام وثبت واستقام على الاهتداء(٧) .

---

١ ــ ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٤ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ٧ / ٤٦٧٩ ، تفسير القرآن للسمعاني : ٣ / ٣٤٦ ، زاد المسير في علم التفسير : ٣ / ١٧٠.

٢ ــ ينظر : التصاريف لتفسير القرآن : ٩٩.

٣ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٣ / ٣٦ ، معاني القرآن للفــراء : ٢/ ١٨٨، إعــراب القــرآن للنحاس : ٣/ ٣٧.

٤ ــ ينظر : جامع البيان : ١٨ / ٣٤٧.

٥ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣٧٠.

٦ ــ ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٣٩ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتــاب العزيــز : ٥ / ٣١٨

٧ ــ ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٢ / ٣٣٥ ، الكشاف : ٣/ ٨٠ ، إعراب القرآن للباقولي : ١ / ١٠٢ ، البرهان : ٤ / ٢٦٦.

ــ وذكر ابن عطية أنَّ المراد : ثم مشى في عقائد الشرع على طريق قويم دون أنْ يخالف الحق في شيء من الأشياء ؛ لأنَّ الاهتداء على هذا الوجه غير الإيمان وغير العمل ، ورُبَّ مؤمنٍ عمل صالحًا قد أوبقه عدم الاهتداء كالقدرية والمرجئة وسائر أهل البدع والخوارج(١) .

إلى غير ذلك من الأوجه التي قيلت في تفسير قوله تعالى(ثُمَّ اهْتَدَى) لجعل " ثُمَّ " على أصل معناها للترتيب (٢) .

تعقيب :

وبعد عرض ما ردَّ به النحاة والمفسرون المانعون لاستعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو في الآية السابقة على مَنْ أجاز ذلك أودُّ القول : إنَّنا إذا ما رجعنا لمعنى" اهتدى" في نحو قولنا :" اهتدى فلان للأمر" نجد أنَّ معناه : عرفه وتبين له(٣)، وممَّا لا شك فيه أنَّ المعرفة والبيان مرحلةٌ سابقة على الإيمان والعمل الصالح ، وهذا يؤيد كون " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الواو لغير الترتيب .

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الزمخشري والرضي من أنَّ " ثُمَّ " للتباين بين المنزلتين أو للاستبعاد فيه نظرٌ ؛ إذ أنَّ " ثُمَّ " لم توضع في الأصل لمعنى التباين أو الاستبعاد ؛ وإنَّما وضعت للترتيب والتراخي الزمني بين المعطوف والمعطوف عليه ، ومن ثُمَّ أرى أنَّ القول باستعمال" ثُمَّ " للتباين في المنزلة أو للاستبعاد إنَّما هو بمنزلة القول إنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ إذ في كلا القولين تكون " ثُمَّ " قد فارقت معناها الأصلي الذي وضِعت له ، ما أودُّ قوله : لمَ يُجِيز الزمخشري والرضي استعمال " ثُمَّ " للتباين أو الاستبعاد ولا يجيزان القول باستعمالها بمعنى الواو لغير الترتيب ؟؟!! مع أنَّ جعْل " ثُمَّ " بمعنى الواو هو المناسب لمعنى الآية ، والقول بهذا يجعلنا لسنا في حاجة لكلِّ هذه الأوجه التي وردت في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ اهْتَدَى) ، وأيضًا استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو

---

١ ــ ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٥٧.

٢ ــ ينظر: زاد المسير في علم التفسير : ٣ / ١٧٠ ، مفاتيح الغيب : ٢٢ / ٨٤ ، ٨٥.

٣ ــ ينظر : تاج العروس : ٤٠ / ٢٨٤.

لغير الترتيب أمرٌ قد أجازه قوم من النحاة ــ كما أشرتُ من قبل ــ وقد جاءت العديد من الشواهد التي تؤيد أنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب ، كما قال : الألوسي : " وقد جاء " ثُمَّ " بمعنى الواو كثيرا "(١) ؛ لذا أرى أنَّ الأولى والأنسب هو جعل " ثُمَّ " بمعنى الواو ؛ لأنَّ الاهتداء إنَّما يكون قبل الإيمان والعمل الصالح ، فالاهتداء يترتب عليه التوبة التي يتبعها الإيمان والعمل الصالح .

وأيضًا أودُّ القول إنَّ الرضي لكي يجعل" ثُمَّ " للاستبعاد اضطر أولًا لتأويل قوله تعالى (ثُمَّ اهتدى) بمعنى :ثُمَّ بقى على الهدى ، وبعد التأويل قال : المراد استبعاد مرتبة البقاء عليها عن مرتبة ابتدائها ، ومن ثَمَّ فجعل " ثُمَّ " للاستبعاد مترتبًا على تأويل " الاهتداء " بمعنى البقاء ، مع أنَّ جعل الاهتداء بمعنى البقاء أمرٌ لا يمكن لأحدٍ الجزم به ؛ لأنَّ هناك من المفسرين من فسَّر الفعل" اهتدى " بمعانٍ أخرى غير معنى البقاء .

وأقول أيضًا : كان من الممكن أنْ نوافقَ الرضي فيما ذهب إليه من أنَّ " ثُمَّ " للاستبعاد ، إنْ كان الرضي قد جعل" ثُمَّ " للاستبعاد مباشرة دون اللجوء للتأويل ، وأيضًا كان ينبغي أنْ نجدَ بعد جعْلها للاستبعاد أنَّ ما بعدها يتناسب مع ما قبلها دون تأويل ، ولكن الأمر تتطلب من الرضي خطوة سابقة لكي يجعل" ثُمَّ " للاستبعاد ألا وهي التأويل ، وبدون التأويل ما معنى كون " ثُمَّ " للاستبعاد مع بقاء الفعل" اهتدى " على أصل معناه الذي عُرِف به في اللغة ؟؟!!

وما قيل مع الرضي يُقال مع الزمخشري فهو الآخر اضطر أولًا إلى تأويل الفعل " اِهْتَدَى " بمعنى : " دام وثبت واستقام " لكي يتسنى له بعد ذلك جعْل" ثُمَّ " للتباين ، في حين أنَّنا إذا ما إذا جعلنا " ثُمَّ " بمعنى الواو فلسنا في حاجة إلى أيّ تأويل ، وإنَّما يستقيم المعنى ويصبح متوائمًا بمجرد جعلها بمعنى الواو ، ممّا يعني أنَّنا لسنا في حاجة إلى هذا الكم الهائل من الأوجه التي قيلت في تفسير معنى قوله تعالى (ثُمَّ اِهْتَدَى) ؛ لذا أرى أنَّ الأولى جعْلها بمعنى الواو .

---

١ ــ ينظر : روح المعاني للألوسي : ٤ / ٣٠٢.

ــ كما استدل القائلون بمجيء " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب بقوله تعالى (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)(١) فقالوا إنَّ " ثُمَّ " اُسْتُعملت بمعنى الواو في الآية الكريمة والمعنى :" وآتَيْنَا مُوسَى"(٢) .

وقد أيَّد السمرقندي القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو ويدل على هذا قوله في تفسير الآية : " ويقال : معناه " ثم أتل عليكم آتينا موسى الكتاب " ، ويقال : " ثُمَّ " بمعنى الواو يعني : " وآتينا موسى الكتاب تَمامًا على الذي أحسن " ، ثم قال معلقًا : " ومعنى الآية- والله أعلم- " وآتينا موسى الكتاب تماما على أحسن من العلم والحكمة" ، وقال أيضًا: "ويجوز معنى آخر : "وآتينا موسى الكتاب إتمامًا منا للإحسان على مَنْ أحسن ، تفصيلًا لكل شيء"[٣] .

فقد ذكر السمرقندي أنَّه قد قيل في معنى الآية إنَّ المراد :" ثُمَّ أتل عليكم آتينا موسى الكتاب" أيّ : أنَّ " ثُمَّ " لترتيب الأخبار ، وقد قيل أيضًا : إنَّ " ثُمَّ " في الآية بمعنى الواو ، وبعد أنْ ذكر السمرقندي هذين القولين في معنى " ثُمَّ " فسَّر هو الآية بالمعنيين اللذين ذكرهما ، وفي كلا المعنيين جعل " ثُمَّ " بمعنى الواو ، وهذا يدل على أنَّه يؤيد قول من قال إنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو .

و قد أيَّد تاج الوقار القول بأنَّ "ثُمَّ" في الآية الكريمة السابقة بمعنى الواو فقال: " قوله : (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا) " ثُمَّ " مع الجملة يقع موقع الواو "[٤] .

موفق النحاة المانعين لاستعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو من القول بأنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب :

على الرغم من أنَّ ابن مالك قد أجاز استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو في مواضع أخرى إلا أنَّه جعل " ثُمَّ " في هذه الآية السابقة لترتيب اللفظ(٥) .

---

١ ــ سورة الأنعام من الآيتين : ١٥٣ ، ١٥٤.
٢ ــ ينظر : المغني : ١/ ١٣٦ ، أحكام القرآن للجصاص : ٤ / ١٩٧ ، شرح الأشموني :٢ / ٣٦٦ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٢٣ ، معترك الأقران : ٢ / ١٣٧.
٣ ــ ينظر : بحر العلوم : ١ / ٤٩٥.
٤ ــ ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١ / ٣٩٢.
٥ ــ ينظر التسهيل بشرح ابن مالك بتحقيق د / عبد الرحمن السيد ، د / محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة ، الطبعة: الأولى : ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠م : ٣ / ٣٥١.

وذهب ابن هشام والسيوطي إلى أنَّ " ثُمَّ " قد أفادت الترتيب في الآية السابقة ، ولكن الترتيب الذي أفادته " ثُمَّ " في الآية هو ترتيب الإخبار لا ترتيب الحكم(١) .

وما ذكره ابن مالك من أنَّ" ثُمَّ " في الآية السابقة لترتيب اللفظ ، هو نفس ما أراده ابن هشام والسيوطي بقولهما إنَّ " ثُمَّ " فيها لترتيب الإخبار .

ومن المفسرين أيضًا مَنْ خرَّج الآية السابقة على أوجه أخرى غير جَعْل" ثمَّ " فيها بمعنى الواو ومنهم :

النحاس والزجاج اللذين ذهبا إلى أنَّ معنى الآية : " قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ثم اتلُ ما آتينا موسى(٢) " .

وعلى هذا فـ " ثُمَّ " عندهما قد أفادت الترتيب .

كما ذكر الطبري والجصاص والباقولي أنَّ المراد : " ثم قُلْ بعد ذلك يا محمد :" آتينا موسى الكتابَ " ، فترك ذكر" قُلْ" لدلالة قوله :(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) ، وأنه مراد في الكلام(٣) .

وجعل البغوي وابن العربي والنسفي والخازن " ثُمَّ " في الآية لترتيب الإخبار وقالوا إنَّ المعنى : " ثُمَّ أخبركم أنَّا آتينا موسى الكتاب " ، فـ " ثمَّ " لتأخير الخبر لا لتأخير النزول(٤) .

كما ذكر الزمخشري أن معنى الآية :" ثُمَّ أعظم من ذلك أنَّا آتينا موسى الكتاب ، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك "(٥) .

---

١ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٣٦ ، الهمع : ٣ / ١٩٥.

٢ ــ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٢/ ٥٢٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢ / ٣٠٦ .

٣ ــ جامع البيان للطبري : ١٢ / ٢٣٥ ، أحكام القرآن للجصاص : ٤ / ١٩٧ ، إعراب القرآن للباقولي : ١/ ١٠٤.

٤ ــ ينظر : معالم التنزيل للبغوي : ٢ / ١٧٢ ، أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ١٩٦ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي : ١ / ٥٤٩ ، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : ٢ / ١٧٣.

٥ ــ ينظر : الكشاف : ٢ / ٨٠.

وذكر ابن عطية والثعالبي أنَّ " ثُمَّ " في هذه الآية إنَّما مهلتها في ترتيب القول الذي أمر به ــ محمد صلى الله عليه وسلم ــ كأنه قال : " ثم ممَّا قضيناه أنَّا آتينا موسى الكتاب"(١) .

وأوَّل ابن الجوزي معنى الآية الكريمة على أنَّ المراد:" ثُمَّ كنا قد اتينا موسى الكتاب وهو التوراة "(٢) .

وذهب البيضاوي والإمام أبو السعود إلى أنَّ قوله تعالى(ثُمَّ آتينا موسى الكتاب) معطوف على قوله تعالى (وَصَّاكُمْ) و" ثُمَّ " للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنَّه قيل : " ذلكم وصاكم به قديمًا وحديثًا ثُمَّ أعظم من ذلك أنَّا آتينا موسى الكتاب تمامًا للنعمة "(٣) .

وذهب ابن عاشور إلى أنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة قد عطفت الجمل ، وقال إنَّها حين تعطف الجمل تكون للتراخي الرُتبي ، وهو مهلة مجازية(٤).

تعقيب :

وبعد عرض أقوال النحاة و المفسرين الذين خرَّجوا الآية الكريمة السابقة على أوجه أخرى غير جَعْل " ثُمَّ " بمعنى الواو نجد أنَّ هذه الأقوال لا تخلو من التكلف ؛ فبعضها يلجأ إلى تقدير محذوف ليستقيم المعنى ، وبعضها يجعل" ثُمَّ " للتراخي في الإخبار ، مع أنَّه في حقيقة الأمر لا تراخي بين الإخبارين ؛ لأن الله ــ عزَّ وجلّ ــ أخبر بأنَّه وصانا بما ذُكِر في الآية الكريمة ثم أخبر بأنَّه آتى موسى ــ عليه السلام ــ الكتاب ، وهناك بعضٌ ثالث يجعل " ثُمَّ " للتفاوت في الرُتبة أو للتراخي فيها ، وهم بذلك قد استعملوها في هذا المعنى على سبيل المجاز ؛ إذ أنَّها لم توضع للدلالة على هذا في أصل معناها ، وهنا سؤال يطرح

---

١ ــ ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٦٤ ، الجواهر الحسان للثعالبي : ٢ / ٥٣١.

٢ ــ ينظر : تذكرة الأريب في تفسير غريب القرآن الكريم لجمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي بتحقيق / طارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٥ ه ــــــ ٢٠٠٤ م : ١٠٦.

٣ ــ ينظر : أنوار التنزيل : ٢ / ١٨٩ ، إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢٠١.

٤ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ١٧٦.

نفسه لمَنْ جعل " ثُمَّ " للتفاوت أو التراخي في الرُتبة :لمَ تجيزون استعمال " ثُمَّ " للتفاوت أو للتراخي في الرتبة على سبيل المجاز ولا تجيزون استعمالها بمعنى الواو ، مع أنَّ استعمالها بمعنى الواو إنَّما هو على سبيل المجاز أيضًا ؟؟!!

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ النحاة عندما تحدثوا عن معنى" ثُمَّ " ذكروا أنَّها تفيد الترتيب والتراخي الزماني بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولم يذكروا أنَّ هذا خاص بعطف المفردات فقط كما ذكر ابن عاشور ، وعلى هذا فما ذكره ابن عاشور من أنَّ" ثُمَّ " في الآية الكريمة للتراخي في الرُتبة ؛ لأنَّها عطفت الجمل مخالفٌ لما أقره النحاة في كتبهم عن معنى" ثُمَّ" ، وعلى فرض صحة ما ذكره ابن عاشور من أنَّ " ثُمَّ " للتراخي في الرتبة ، إلا أنَّها مع ذلك في الآية الكريمة السابقة لم تفدْ الترتيب ، وهذا ظاهر ظهورًا جليًا من معنى الآية على الرغم من محاولة البعضِ إنكارَ ذلك ، وطالما أنَّها لم تفدْ الترتيب فهي إذن بمعنى الواو لمطلق الجمع ، والقول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو مع مناسبته لمعنى الآية نجد أنَّه أيضًا ينأى بنا عن كل هذه الأقوال المتكلفة التي قيلت في تفسير هذه الآية الكريمة ، وممَّا يؤيد أيضًا أنَّ " ثُمَّ " في الآية السابقة بمعنى الواو لغير الترتيب أنَّنا وجدنا أبا حيان وهو المانعين لاستعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو يقول بعد ذكره للأقوال التي حاول أصحابها تخريج الآية على أوجه لا تكون فيها " ثُمَّ " بمعنى الواو : " وهذه الأقوال كلُّها متكلفة ، والذي ينبغي أنْ يُذهب إليه أنَّها استعملت للعطف كالواو دون اعتبار مهلة" (١) .

فنجد أبا حيان قد أقر بأنَّ " ثُمَّ " كالواو ولا تدل على مهلة ، وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ دلالةَ " ثُمَّ " على معنى الواو في الآية السابقة أمرٌ ظاهر، وإنْ حاول البعضُ إنكاره بعض الوقت فإنَّهم لا يستطيعون الثبات على هذا الإنكار كل الوقت؛ لأنهم يجدون في هذا القول خلاصًا من كلِّ هذه الأقوال المتكلفة.

---

١ ــ ينظر : البحر المحيط : ٩ / ٢٩١.

كما استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب أيضًا بقول الشاعر(١) :

إنَّ مَنْ سادَ ثُمّ سادَ أَبُوه ثُمَّ قد سَادَ قَبْلَ ذلِك جَدُّه

وقالوا إنَّ " ثُمَّ " قد اُسْتُعملت في البيت السابق بمعنى الواو ؛ لأنَّ المدح يكون بتوارث السؤدد(٢) .

ومن النحاة مَنْ جعل" ثُمَّ " في البيت لمعانٍ أخرى غير كونها بمعنى الواو:

فذهب السهيلي إلى القول بأنَّ " ثُمَّ " لترتيب الكلام ، لا لترتيب المعنى في الوجود(٣) .

وذهب الرضي إلى أنَّ " ثُمَّ " لمجرد الترتيب في الذكر ، والتدرج في دَرج الارتقاء ، وذكر ما هو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي بين تلك الدرج ، ولا أنَّ الثاني بعد الأول في الزمان ، والمقصود في البيت ترتيب درجات معالي الممدوح ، فابتدأ بسيادته ، ثم بسيادة أبيه ، ثم بسيادة جدَّه ؛ لأنَّ سيادة نفسه

١ــ من الخفيف لأبي نواس في ديوانه بتحقيق د / بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية أبو ظبي ــ الإمارات ، الطبعة : الأولى : ١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ م : ٢٦١ ، برواية :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أبُوهُ قَبْله ثُمَّ سَادَ قَبْلَ ذَلِك جَدُّه

ــ والبيت منسوب لأبي نواس في : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع العدواني بتحقيق د/ حفني محمد شرف ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ، بدون تاريخ : ٢٥٥ ، خزانة الأدب : ١١ / ٤٠ ، التحرير والتنوير : ٢٤ / ٢٠٤ ، وبلا نسبة : الأزمنة والأمكنة لأبي على أحمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٧هـ : ٣٦ ، نتائج الفكر : ١٩٦ ، رصف المباني : ١٧٤، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ ، الجنى الداني : ٤٢٨ ، المغني :١ / ١٣٦ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤ ،شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٦ ، الهمع :٣ / ١٩٥.

ــ اللغة : ساد الرجل: إذا صار صاحب سيادة ومجد ورياسة.

ــ المعنى : إنَّ السيد الحقيقي من كان رئيسًا ، وكان قبله أبوه وجده كذلك.

ــ الشاهد: قوله " ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده "حيث استدل بها القائلون بأنَّ " ثُمَّ " اُستُعملت بمعنى الواو لمطلق الجمع ؛ لأنَّها لم تفدْ الترتيب.

٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ ، المغني : ١ / ١٣٦، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٦ ، الهمع : ٣ / ١٩٥.

٣ ــ ينظر : نتائج الفكر : ١٩٧.

أخص ، ثم سيادة الأب ، ثم سيادة الجدّ ، وإنْ كانت سيادة الأب مقدمة في الزمان على سياة نفسه(١) .

كما ذهب ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ إلى أنَّ البيت ينبغي أنْ يُحمل على ظاهره ، وأنْ يكون الجد أتاه السؤدد من قبل الأب ، وأتى الأب من قِبل الابن ، وهذا ممَّا يمدح به ، وإنْ كان الأكثر في كلامهم المدح بتوارث السؤدد(٢) ، ويكون البيت إذ ذاك مثل قول القائل(٣) :

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرَى شَرَفٍ ... كَمَا عَلَتْ بِرَسُوْلِ اللهِ عَدْنَانُ

وقد تبع أبو حيان ابن عصفور فيما ذهب إليه(٤) .

وذكر المالقي أنَّه لا حُجة في البيت السابق الذي استدل القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب لوجهين :

أحدهما : أنَّه قد يحتملُ أنْ يسود الوالدان بسيادة الولد ، والجدُّ بسيادة الوالد ، وهذا موجودٌ ، فلا يلزم أنْ تكون سيادة أحدهما قبل الآخر .

والثاني : أنْ تكونَ سيادة الجدُّ قبل الوالد ، والوالد قبل الولد ، ولا يعلم المتكلمُ بالإخبارِ السيادةَ ، فيُخبر على ما عَلِم لا على الأصل(٥) .

تعقيب :

وبعد عرض ما رد به المانعون لاستعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو في قول الشاعر السابق أودُّ القول :

---

١ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤١٤.

٢ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٦.

٣ ــ من البسيط لابن الرومي في ديوانه بشرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الثالثة : ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢ م : ٣ / ٣٧٣ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٩١ ، الجنى الداني: ٤٢٩ ، المغني : ١ / ١٣٧.

ــ وقد استشهد ابن عصفور بهذا البيت على أنَّ المدح قد ينتقل من الابن إلى آبائه وأجداده ،كما هو الحال مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي انتقل منه المجد والشرف إلى آبائه وأجداده.

٤ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ٧ / ٩١.

٥ ــ رصف المباني : ١٧٤ ، ١٧٥.

إنَّ قول القائلين بأنَّ " ثُمَّ " ليست بمعنى الواو وإنَّما هي للترتيب في الإخبار أو في الذكر أو في اللفظ يتوافق عندي مع مَنْ قال إنَّها لم ترتب ؛ لأنَّها في كلتا الحالتين لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي الذي وُضِعت له ، ومتى ما حدث هذا كانت بمعنى الواو لمطلق الجمع من دون اعتبار الترتيب .

وأرى أنَّ ما ذكره الرضي من أنَّها للتدرج في الارتقاء وذكر ما هو الأولى فالأولى إنَّما هو في حقيقة الأمر مترتب على جعل " ثُمَّ " بمعنى الواو ؛ لأنَّ " ثُمَّ " حين لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي الذي وُضِعت له وصارت لمطلق الجمع كالواو ، فهذا يدفع للتساؤل : وما الغرض من استعمال " ثُمَّ " لغير الترتيب كالواو ؟؟ فنقول إنَّ مراد الشاعر إنْ يذكر ما هو الأولى عنده فالأولى دون اعتبار الترتيب الزماني الذي وُضِعت له " ثُمَّ " في أصل معناها ؛ لأنَّه في مقام المدح ، ومقام المدح كثيرًا ما يدفع الشعراء إلى التجوز ، وهذا ما حدث هنا فالأولى عند الشاعر أن يذكر أولًا سيادة ممدوحه وإنْ كانت متأخرة حقيقة في الزمانِ .

وأمَّا عمَّا ذكره ابن عصفور من أنَّ البيت ينبغي أنْ يُحمل على ظاهره ، وأنْ يكونَ الجد أتاه السؤدد من قبل الأب ، وأتى الأب من قِبل الابن كما هو الحال في البيت الذي استشهد به فأقول : هذا أمرٌ متحققٌ تماما في البيت الذي استشهد به ابن عصفور وهو قول ابن الرومي :

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرَى شَرَفٍ ... كَمَا عَلَتْ بِرَسُوْلِ اللهِ عَدْنَانُ

ولكن في قول الشاعر :

إنَّ مَنْ سادَ ثُمّ سادَ أَبُوه ... ثُمَّ قد سَاد قَبْلَ ذلِك جَدُّه

نجد أنَّ قوله " قبل ذلك " يؤكد أن سيادة الجد والأب متقدمة على سيادة الابن(١) ، وأيضًا إذا ما رجعنا إلى ديوان أبي نواس نجد أنَّ رواية البيت هي :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أبُوهُ قَبْله ... ثُمَّ سَاد قَبْل ذَلِك جَدُّه(٢)

---

١ ــ ينظر : الجنى الداني : ٤٢٩.

٢ ــ ينظر : ديوان أبي نواس : ٢٦١.

فنجد أنَّ الشاعر لكي يؤكد أنَّ سيادة الأب متقدمة على الابن ذكر قوله : " قبله " بعد حديثه عن سيادة الأب ، وكذا فعل عند الحديث عن سيادة الجد ، وهذا إنْ دل على شيء فإنَّها يدل على أنَّ مراد الشاعر إنَّما هو المدح بتوارث الابن السيادة والمجد عن أبيه وجدِّه ، وليس الأمر كما ذكر ابن عصفور ، وممَّا لا شكَ فيه أنَّ وجودَ قوله " قبله " وقوله الآخر" قبل ذلك " يؤيد أن " ثُمَّ " لم تفد الترتيب ، وإنَّما هي لمطلق الجمع كالواو .

وهذا الردُّ السابق الذي وُجِه لابن عصفور يوجه أيضًا للمالقي عن الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما .

وأمَّا عن الوجه الثاني الذي ذكره المالقي من أنَّ المتكلم بالإخبار لا يعلمُ أنَّ سيادة الجدِّ قبل الوالد ، والوالد قبل الولد فأمرٌ غيرُ مقنعٍ ، وعلى فرضِ صحته فلمَ تحدَّثْ في البيت عن سيادة الجدِّ والأب وذكر أنَّهما قبل سيادة الابن إنْ كان لا يعلم بهما ؟؟!!!!

وبناء على ما سبق فأنا أؤيد القول بأنَّ" ثُمَّ " في البيت السابق قد اُستُعملت بمعنى الواو لمطلق الجمع لا للترتيب .

ــ كما استدل القائلون بأن " ثُمَّ " قد تأتي بمعنى الواو لمطلق الجمع لا للترتيب بقول الشاعر(١) :

سَأَلْتُ رَبِيْعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا فَقَالَتْ : لِمَهْ

وقالوا إنَّ " ثُمَّ " قد استُعْمِلت في البيت لغير الترتيب لأنَّ خيرية أمِّ الشخص لا تتأخر عن خيرية أبيه(٢) .

---

١ ــ من المتقارب للأقيشر الأسدي في ديوانه بشرح محمد علي دقه ، دار صادر ــ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٩٩٧ : ١١٥ برواية :

سَأَلْتُ رَبِيْعَةَ : مَنْ شَرُّهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا فَقَالَتْ : لِمَهْ

ــ والبيت منسوب للأقشير في : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٩ ، وبلا نسبة في : النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه لأبي الحسن علي بن فَضَّال المُجَاشِعِي القيرواني : ٢٢٦ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤.

ــ الشاهد قوله : " أبًا ثُمَّ أُمًّا " حيث استدل به القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لمطلق الجمع على صحة مذهبهم ، والمعنى عندهم : أبا وأُمًّا.

٢ ــ ينظر : الصاحبي : ١٠٦، التذييل والتكميل : ١٣/ ٨٩ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٤.

وقد جعل الطبري " ثُمَّ " في البيت بمعنى الواو ، ولكنه ذكر أنَّ هذا لضرورة الشعر(١) .

كما جعلها الباقلاني والثعلبي أيضًا في البيت السابق بمعنى الواو لغير الترتيب(٢) .

ولم يرتض ابن عصفور ــ فيما حكاه عنه ناظر الجيش ــ وأبوحيان القول بأنَّ " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب في البيت السابق ، وقالا إنَّها للبعد المعنوي لا للبعد الزماني ؛ لأنَّ الشر الذي يلحق في الأنساب من قِبَل الأب أشد من الشر الذي يلحق من قِبل الأُمِّ ؛ لأنَّ الاعتماد في النسب إنَّما هو على الآباء ، فتفاوت ما بين الشرين لذلك(٣) .

تعقيب :

وبعد عرض أقوال المؤيدين والمانعين لجعل" ثُمَّ " في البيت السابق بمعنى الواو أودُّ القول :

إنَّنِي أؤيد القول بأنَّ " ثُمَّ " في البيت السابق بمعنى الواو لمطلق الجمع ، ولستُ مع ابن عصفور وأبي حيان في جعْلِ" ثُمَّ " للبعد المعنوي والتفاوت بين الشرين ؛ وذلك لأنَّ جعْل" ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلق الجمع يعني أنَّها جمعت بين شرية الأب والأم ، وأنَّ الشر موجود فيهما معًا في ذات الوقت ، وليست شرية الأُم متأخرة عن الأب ، وممَّا لاشكَ فيه أنَّ هذا أبلغ في الذم ممَّا لو جُعِلتْ " ثُمَّ " للبعد المعنوي أو للتفاوت بين الشرين ؛ لأنَّ اجتماع الشرية ووجودها في الأب والأمِّ معًا ممَّا يُعاب ويُذم به أكثر ممَّا لو جعل بعدًا معنويًا وتفاوتًا بين شرية الأب والأُمِّ ، فهو بذلك يكون من أشر الناس ؛ لأنَّ الشر موجود في أبيه وأمِّه معًا .

---

١ ــ ينظر : جامع البيان : ١٢ / ٣٢٢.

٢ ــ ينظر : الانتصار للقرآن للباقلاني : ٢/ ٦١٤ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤ / ٢١٨.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ /٩٠ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٥ ، ٣٤٤٦.

وأيضًا نفس الكلام يُقال إذا كانت رواية البيت مَـنْ خيرهـا ؛ إذ اجتمـاع الخيرية ووجودها في الأب والأم معًا الأب أبلغ في المدح ممَّا لو جُعِل بينهما بُعدًا معنويًا وتفاوت في الخيرية .

وأيضًا أقول : الذي دفع ابن عصفور وأبوحيان للقول بأنَّ " ثُمَّ " للتفاوت والبعد المعنوي هو رفضهما أنَّ تكون بمعنى الواو لمطلق الجمع ؛ لأنَّهما يقولان إنَّ " ثُمَّ " تفيد أنَّ الثاني بعد الأول ، وأنَّه متراخٍ عنه حيثما وردت ، وعلى هـذا فما ورد على خلاف هذا المعنى فهو عندهما على سبيل المجاز ، وهنـا أقـول : أليس استعمال " ثُمَّ " أيضًا للتفاوت والبعد المعنوي هو من قبيل المجـاز أيضًـا ؟؟!!وعلى هذا فمن قال إنَّ " ثم " بمعنى الواو لمطلق الجمع يقول إنَّ هـذا علـى سبيل المجاز ، وما قاله ابن عصفور وأبوحيان من أنَّها للتفاوت والبعد المعنـوي إنَّما هو أيضًا على سبيل المجاز ، و على هذا فهي على كلا القولين مستعملة في غير ما وُضِعت له في أصل معناها ، فلماذا إذن يجيزان أنَّهـا للتفـاوت والبعـد المعنوي ، ولا يجيزان أن تكون بمعنى الواو لمطلق الجمع؟؟!!

مع أنَّ جعلها بمعنى الواو هو الذي يتناسب مع معنى البيت سـواء أكـان بالمدح أو بالذم ؛ لأن الشاعر إنَّما أرادَ : سألتُ ربيعةَ مَنْ خيرها أبا وأمَّـا ؛ لـذا أؤيد القول بأنَّها في البيت السابق بمعنى الواو لمطلق الجمع .

تعقيب :

وبعد عرض الشواهد التي استدل بها القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب أقول :

القول بأنَّ "ثُمَّ " تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب لا يعني أنَّ " ثُمَّ " قد تركت المعنى الذي وُضِعت له في أصل معناها بالكلية وتحولت إلى معنى آخـر ،ولكـن مراد القائلين بذلك أنَّه يجوز في بعض المواضع والشواهد استعمال" ثُمَّ " بمعنـى الواو لغير الترتيب على سبيل المجاز ، وقد رأينا مرارًا وتكـرارًا فـي الشـواهد القرآنية التي استدل بها القائلون بأنَّ " ثُمَّ " يجوز استعمالها بمعنى الواو أنَّ الذين حاولوا إنكار استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو في هذه الشواهد قد ترتب على إنكارهم

هذا أنَّه قد وُجِدتْ العديد من الاختلافات والأقوال الغريبة والمتكلفة في تفسير المراد من معنى هذه الآيات ، وكما قلتُها من قبل وأكررها هنا القول بجواز استعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو ينأى بنا عن كل هذه الاختلافات الواردة في تفسير هذه الآيات الكريمات .

ويكفينا ما ذكره الباقلاني من أنَّ القول بأنَّ " ثُمَّ " قد اُسْتُعملت بمعنى الواو لغير الترتيب في بعض آيات القرآن الكريم ، يبطل ما توهمه أعداء الإسلام وحاولوا الطعن به في القرآن الكريم من خلال هذا الآيات ؛ لذا أرى أنَّ القول بجواز استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب يسد على أمثال هؤلاء الطاعنين كل الطرق للطعن في القرآن الكريم (١).

ثانياً : استعمال " ثُمَّ " بمعنى الفاء للتعقيب

للنحاة في استعمال" ثُمَّ " بمعنى الفاء للتعقيب مذهبان :

فذهب جمهور النحاة إلى أنَّ " ثُمَّ " إنَّما هي للترتيب بانفصال أيّ : بمهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وما أوهم خلاف ذلك فهو مؤول عندهم(٢) .

وذهب قومٌ من النحاة ومنهم ابن مالك إلى أنَّ" ثُمَّ" تستعمل بمعنى الفاء لإفادة التعقيب ، كما تستعمل الفاء بمعنى " ثُمَّ " لإفادة التراخي(٣) ، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بقول الشاعر(٤) :

---

١ ــ ينظر : الانتصار للقرآن : ٢ / ٦١٥.

٢ ــ ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : ٢ / ٩٩٨.

٣ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٠٩ ، شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٥ ، الجنى الداني : ٤٢٧ ، توضيح المقاصد :٢ / ٩٩٨.

٤ ــ من المتقارب لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه بشرح وتحقيق / أنوار محمود الصالحي ، د / أحمد هاشم السامرّائي ، دار العصماء ، الطبعة الأولى : ١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ : ٥٩ ، المعاني الكبير في أبيات المعاني لمسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق المستشرق د / سالم الكرنكوي ، / عبد الرحمن اليماني ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ــ الدكن ، الطبعة : الأولى : ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩م : ١ / ٥٨ ، المقاصد النحوية : ٤ / ١٦١٩ ، التصريح : ٢ / ١٦٥ ، شرح شواهد المغني : ٣٥٩ ، وبلا نسبة في : الكافية الشافية : ٣ / ١٢٠٩ ، شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٥ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٧ ، اللمحة في شرح الملحة ٢ / ٦٩٣ ، الجنى الداني : ٤٢٧ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٢٧ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٥ ، الهمع : ٣ / ١٩٥. =

كهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تَحت العَجَاج جَرَى فِي الأنابيب ثُمَّ اضْطَرِبْ

فقالوا إنَّ " ثُمَّ " قد وقعت في البيت موقع الفاء ؛ إذ الهز متى جرى فِي أنابيب الرمْح يعقبه الاضطراب ولم يتراخ عنه (١) .

وقد ذكر ابن مالك أنَّ " ثُمَّ " في قول الشاعر : " ثُمَّ اضطرب " وقعت موقع الفاء التي يعطف بها المفصل على المجمل ؛ لأنَّ جريان الهزّ في الأنابيب هو اضطراب المهزوز ، لكن في الاضطراب تفصيل ، وفي الهزِّ إجمال(٢) .

وقد أيَّد القولَ بكون " ثُمَّ " في البيت السابق بمعنى الفاء ابنُ الصائغ وابن هشام والأشموني والشيخ خالد والسيوطي(٣) .

وقد اعترض البعضُ على القول بأنَّ " ثُمَّ " في البيت السابق بمعنى الفاء وقالوا : الظاهر أنَّ الاضطراب لا يعقب الجري ، بل الاضطراب والجري يكونان في زمنٍ واحدٍ ، وعلى هذا فتكون " ثُمَّ " بمعنى الواو(٤) .

وقد أُجيب عن هذا الاعتراض بأنَّ : الترتيب يحصل في لحظات لطيفة(٥).

= اللغة : الرديني : الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة عملت مع زوجها في تقويم الرماح ، العجاج : الغبار والمراد به ما تثيره أقدام المتحاربين أو خيولهم ، الأنابيب : جمع أنبوب وهو ما بين كل عقدتين من القصب.

ــ والمعنى : إن اهتزاز هذا الفرس ، وسرعة عدوه ذهابا وجيئة أثناء القتال ، يشبه اهتزاز الرمح واضطرابه في سرعة وخفة في كل ناحية تحت غبار المعركة.

ــ والشاهد قوله : " ثم اضطرب " حيث استدل به القائلون بأنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الفاء ، وقالوا إنَّ " ثُمَّ " في البيت بمعنى الفاء ؛ لأنَّ اضطراب الرمح يحدث عقب اهتزاز أنابيبه مباشرة في لحظات من غير مهلة.

١ ــ ينظر : المغني : ١/ ١٣٧ ، شرح التصريح : ٢ / ١٦٥ ، الهمع : ٣ / ١٩٦.

٢ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٥.

٣ ــ ينظر : اللمحة في شرح الملحة ٢ / ٦٩٣ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٢٧ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٥ ، التصريح : ٢ / ١٦٢، الهمع : ٣ / ١٩٥ ، ١٩٦.

٤ ــ ينظر : التصريح : ٢ / ١٦٥ ، حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٣ / ١٣٩.

٥ ــ ينظر : التصريح : ٢ / ١٦٥ ، حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٣ / ١٣٩.

وقد نسب ابنُ هشام والسيوطي للفراء أنَّه زعم أنَّ المهلة قد تتخلف بدليل قولك : " أعجبني مَا صنعت اليوم ثمَّ مَا صنعت أمس أعجب " ؛ لأنَّ " ثُمَّ " في ذلك لترتيب الإخبار ، ولا تراخي بين الإخبارين(١) .

وقد نسب الشيخ خالد للأخفش هذه المقوله السابقة التي نسبها ابن هشام والسيوطي للفراء فقال الشيخ خالد : " وزعم الأخفش أنَّ " ثُمَّ " قد تتخلف عن التراخي بدليل قولك : أعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب ؛ لأنَّ " ثُمَّ " في ذلك لترتيب الإخبار ، ولا تراخي بين الإخبارين "(٢)

كما نسب ابن هشام لابن مالك القول بأنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) لم تفدْ التراخي(٣) .

وأقول : الفراء عندما ذكر هذه المقولة لم يكن مقصوده أنَّ إفادة " ثُمَّ " للمهلة قد تتخلف ، بل كان مراده إثبات أنَّ ما بعد" ثُمَّ " قد يكون متقدمًا على ما قبلها كما هو الحال في قوله تعالى(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) وذكر أنّه قد يقول القائل : كيف قَالَ(خلقكم) لبني آدم ، ثُم قال: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) والزوجُ مخلوق قبل الولد ؟ ثم ذكر أنَّهم رُبَّما جعلوا " ثُمَّ " فيما معناهُ التقديم ، ويَجعلون " ثُمَّ " من خبر المتكلم ، ومثَّل لهذا بقوله إنَّنَا قد نقول : " قد بلغني ما صنعت يومك هَذَا ، ثُمَّ ما صنعت أمس أعجب " ، و " قد أعطينك اليوم شيئًا ، ثُمَّ الَّذِي أعطيتك أمس أكثر " ، وذكر أنَّ هذا نَسَق من خبر المتكلم(٤) .

فالفراء يقصد بقوله هذا أنَّ " ثُمَّ " قد يكون ما بعدها متقدمًا على ما قبلها، وتكون في هذه الحال لترتيب الإخبار أيّ للترتيب في الذكر ،كما هو الحال في القولين اللذين استشهد بها ، ولم يقصد الفراء بقوله هذا إثبات أنَّ " ثُمَّ " لا تفيد المهلة أو التراخي كما نَسَبَ إليه ابن هشام والسيوطي .

---

١ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٣٧ ، الهمع : ٣ / ١٩٥.
٢ ــ التصريح : ٢ / ١٦٤.
٣ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٣٧.
٤ ــ ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٤١٤ ، ٤١٥.

وقد تحقق لنا ممَّا سبق أنَّ هذه المقولة ليست للأخفش كما نَسَبَ إليه الشيخ خالد وإنَّما هي للفراء ، وعلى هذا فالأخفش لم يقلْ إنَّ " ثُمَّ " قد تتخلف عن إفادة التراخي كما نُسِب إليه .

وأمَّا عمَّا نسبه ابن هشام لابن مالك فأقول :

الواقع أنَّ ابن مالك لم يقلْ هذا القول الذي نسبه إليه ابن هشام ؛ وذلك لأنَّ ابنَ مالك قد استشهد بهذه الآية ــ كما ذكرتُ

من قبل ــ على أنَّ " ثُمَّ " قد يُعطف بها المتقدم في الزمان ، وقد جعل ابن مالك " ثُمَّ " في الآية للترتيب في اللفظ ، ولم يذكر أنَّها بمعنى الفاء كما نَسَب إليه ابن هشام .

العجيب في الأمر أنَّ الشيخ خالد قد نسب إلى ابن هشام القول بأنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى(ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) بمعنى الفاء ، مع أنَّ ابنَ هشام هو الآخر لم يقل بهذا القول ، وإنَّما ذكر هذه الآية الكريمة كشاهد استشهد به ابن مالك على أنَّ " ثُمَّ " لم تفدْ التراخي (١) .

تعقيب :

وبعد عرض البيت الذي استشهد به القائلون بجواز وقوع " ثُمَّ " موقع الفاء ، وذِكْر مَنْ أيَّد هذا القول من النحاة ، وما وُجِه لهذا القول من اعتراض أودُّ القول : إنَّني أميل إلى أنَّ " ثُمَّ " في البيت السابق ليست بمعنى الفاء ، وأرى أنَّ " ثُمَّ " قد جاءت في هذا البيت بمعنى الواو ؛ لأنَّ الجري يكون مع الاضطراب في زمانٍ واحد ؛ فالرمح في أثناء جريانه يهتز ويضطرب في ذات الوقت ، لا أنَّه يجري أولًا ثم يعقبه الاضطرابُ والهزُّ بعد ذلك ، وإنَّما الاهتزاز والاضطراب مصاحبٌ للجري ، وبدون وجود الجري لن يكون هناك اهتزازٌ واضطرابٌ ، فالمعطوف مرتبطٌ في وجوده بوجود المعطوف عليه ، وعلى هذا فمعنى التعقيب الذي تفيده الفاء والذي يعني أنَّ الثاني يأتي عقيب الأول غير متحقق هنا؛ إذ

---

١ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٣٧.

الثاني لم يأتِ عقيب الأول وإنَّما جاء مصاحبًا له ؛ لذا أرى أنَّ الأولى جعْل " ثُمَّ " في البيت السابق بمعنى الواو لمطلق الجمع .

وأمَّا عمَّا ذكره ابن مالك من أنَّ ثُمَّ " وقعت موقع الفاء التي يعطف بها المفصل على المجمل فأقول : قول الشاعر :

جَرَى فِي الأنابيب ثُمَّ اضْطَرَبْ

ليس من عطف المفصل على المجمل كما قال ابن مالك؛ لأنَّ اضطراب الشيء ليس بمعنى جريانه حتى يكون تفصيلًا له ، فالاضطراب هنا لم يُوضح ويُبين المقصود بالجري ، وإنَّما هو مصاحبٌ له ؛ لذا أرى أنَّ " ثُمَّ" في البيت بمعنى الواو لمطلق الجمع.

ومن الشواهد التي أرى أنَّ " ثُمَّ " قد اُسْتُعملت فيها بمعنى الفاء للتعقيب قوله تعالى(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)(١) فـ" ثُمَّ " في قوله تعالى (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) بمعنى الفاء ؛لأنَّ الجنين يصير علقة بعد أنَّ كان نطفة مباشرة ، ويصير مضغة بعد أنَّ علقة مباشرة ، ولا يكون هناك تراخٍ يفصل بين المعطوف والمعطوف عليه في كلتا الحالتين، ولكن لا مانع مع إفادة التعقيب أنْ تكون المدةُ التي يحدث المعطوف عليه متطاولةً ، وما ينبغي التركيز عليه هو أنَّ يأتي المعطوف عقيب المعطوف عليه مباشرة دون أنْ يفصلَ بينهما بأمر أجنبي عنهما .

وهنا أودُّ القول إنَّ " ثُمَّ " في قوله تعالى (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) على أصل وضعها للتراخي ؛ لأنَّ الذي خُلِقَ من تراب هو آدم عليه السلام، والذي خُلِق من نطفة هو أول مولود لآدم عليه السلام ، وبين خلق آدم من طين تراب وخلق أول مولود له من نطفه انقطاعٌ ومهلة زمانية ، فلم يأتِ هذا عقيب هذا .

---

١ ــ سورة الحج من الآية : ٦.

وكذا أرى أنَّ " ثُمَّ " بمعنى الفاء للتعقيب في قوله تعالى (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً)(١) فـ " ثُمَّ " في الآية الكريمة بمعنى الفاء ؛ وذلك لأنَّ خلق العلقة قد أتى عقيب خلق النطفة ولم يكن بينهما انقطاع أي :لم يأتِ خلق آخر يفصل بين هذين الخلقين ؛ وبذلك تكون " ثُمَّ " لم تفدْ التراخي وإنَّما أفادت التعقيب واُستُعملت بمعنى الفاء ، وأرى أيضًا أنَّ " ثُمَّ" في قوله تعالى(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى)(٢) بمعنى الفاء للتعقيب لنفس العلة التي ذكرتها في الآيتين السابقتين .

وهنا أمر أودُّ أنْ أشيرَ إليه وهو : أنَّنِي لستُ مع الدكتور / أنور حجاج فيما ذكره من أنَّ معظم الآيات التي تأولها النحاة والمفسرون على أنَّ " ثُمَّ " فيها للترتيب في الإخبار والذكر يمكن حملها على أنَّ " ثُمَّ " فيها بمعنى الفاء ؛ وذلك من منطلق أنَّه ليس هناك تراخٍ ولا مهلة في ترتيب الإخبار والذكر .

وأقولُ : عندما نقول إنَّ " ثُمَّ " قد أفادت الترتيب في الإخبار أو الذكر أو اللفظ فهذا يعني أنَّها لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي الذي وُضِعت له في أصل معناها ، والذي يكون فيه المعطوف عليه متقدمًا في الزمان على المعطوف ، وطالما أنَّها لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي فلا تكونُ بمعنى الفاء ؛ لأنَّ الفاء هي الأُخرى تقتضي الترتيب بين معطوفيها ، وأرى أنَّ " ثُمَّ " تكون في هذه الحالة بمعنى الواو لمطلق الجمع ، فعدم إفادة " ثُمَّ " للتراخي لا يلزم أنَّها تكون بمعنى الفاء ؛ إذ قد تكون بمعنى الواو .

---

١ ــ سورة المؤمنون من الآية : ١٤.

٢ ــ سورة القيامة آية : ٣٧ ، ٣٨.

المبحث الرابع: استعمال " الفاء" بمعنى غيرها من حروف العطف

اولًا : استعمال" الفاء" بمعنى الواو :

وردت عدة شواهد قيل فيها إنَّ الفاء قد اُسْتُعملت بمعنى الواو ، و للنحاة في استعمال الفاء بمعنى الواو لغير الترتيب عدة أقوال :

أولًا قول البصريين :

ذهب البصريون ومَنْ تبعهم إلى أنَّ الفاء لا تستعمل بمعنى الواو ولا تكون إلا للترتيب ، وعلى هذا فكلّ ما ورد يخالف إفادة الفاء للترتيب فهو مؤول عند البصريين ومَن تبعهم(١) .

وقد صحح ابن عصفور وأبو حيان قول البصريين(٢) .

ثانياً : قول الفراء :

نسب ابنُ هشام والشيخ خالد والسيوطي إلى الفراء القولَ بأنَّ الفاءَ لا تفيدُ الترتيبَ مطلقًا(٣) .

بينما نسب أبو حيان والمرادي إلى الفراء القول بأنَّ ما بعد الفاء قد يكون سابقًا على ما قبلها ، إذا كان في الكلام ما يدل على ذلك كقوله تعالى(وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا)(٤) والبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك(٥).

ولكن برجوعي لكتاب(معاني القرآن) للفراء وجدتُ أنَّه لم يذكر أنَّ الفاءَ لا تفيد الترتيب مطلقًا كما نسب إليه ابنُ هشام والسيوطي ، ولم يذكر أيضًا أنَّ الفاءَ قد يكون ما بعدها سابقًا على ما قبلها إذا كان في الكلام ما يدل عليه كما نسب إليه أبو حيان والمرادي ، ولكن الذي ذكره الفراء : أنَّ الفعلين إذا وقعا معًا وعطفت أحدهما على الآخر بالفاء ، قدمتَ ما شئتَ وأخرتَ الآخر واستدل على هذا بعدة آيات كريمات منها :

---

١ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، الجنى الداني : ٦١ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٠.
٢ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٢٩ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٥.
٣ ــ ينظر : مغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٨٣ ، التصريح : ٢ / ١٦١ ، الهمع : ٣ / ١٩٢.
٤ ــ سورة الأعراف من الآية : ٤.
٥ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٤ ، الجنى الداني : ٦٣.

ــ قوله تعالى (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا) قال الفراء : " يُقال: إنَّما أتاها البأس من قَبْل الإهلاك ، فكيف تقدم الهلاك؟

قلتُ : لأنَّ الهلاك والبأس يقعان معًا كَمَا تَقُولُ: " أعطيتني فأحسنت " ، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله وإنّما وقَعا معًا ، فاستجيزَ ذلكَ"(١) .

وقد أيَّد الطبري ماقاله الفراء في الآية الكريمة من أنَّه يجوز تقديم أيِّ الفعلين وتأخير الآخر(٢) .

بينما ذهب ابنُ عصفور إلى أنَّه لا حُجة للفراء في الآية السابقة لأنَّ المعنى يحتمل أمرين : أحدهما : أنَّ المراد أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا ، والآخر : أنّه يراد بقوله " أَهْلكناها " أنَّه أهلكها هلاكًا من غير استئصال ، فجاءها بأسنا فهلكت هلاك استئصال(٣) .

كما ذهب أبو حيان أيضًا إلى أنَّه لا حُجة للفراء في الآية السابقة لأنَّ معنى الآية عنده: حكمنا بإهلاكها أو أردنا إهلاكها(٤).

وقد أيَّد ابن هشام القول بأن معنى" أهلكناها " أي : أردنا إهلاكها ، وجعل هذا أولى من قول مَنْ ادعى القلب في الآية (٥) .

وقد أجاز الفراء أيضًا في الآية السابقة وجهًا آخر وهو أنْ تكونَ الفاء في الآية بمعنى الواو والمعنى عنده : أهلكناها وجاءها البأسُ بياتًا(٦) .

وقد أجاز العز بن عبد السلام أيضًا في أحد أقواله في تفسير معنى الآية السابقة أنْ تكون الفاء بمعنى الواو(٧) .

---

١ ــ معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٧١.

٢ ــ ينظر : جامع البيان ١٢ / ٣٠١.

٣ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٣٠.

٤ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٦.

٥ ــ ينظر : المغني : ٢ / ٧٩٥.

٦ ــ ينظر : معاني القرآن : ١ / ٣٧٢.

٧ ــ ينظر : تفسير القرآن للعز بن عبد السلام بتحقيق / عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، دار ابن حزم ــ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م : ٤٧٥.

بينما ضَعَّف أبوحيان والسمين الحلبي وصاحب كتاب(اللباب في علوم الكتاب) القول بكون الفاء بمعنى الواو في الآية السابقة(١) .

ــ وقد استدل الفراء أيضًا لما ذهب إليه بقوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا)(٢) فقال الفراء :" يَقُولُ القائل: كيف كذبوه فعقروها ؟ونرى أنَّ الكلام أنْ يُقال: " فعقروها فكذبوه " ، فيكون التكذيب بعد العقر، وقد يكون على ما ظنَّ لأنَّك تقولُ: " قتلوا رسولهم فكذبوه " أي: " كفى بالقتل تكذيبًا " فهذا وجه ، ويكون " فكذبوه " كلمة مكتفى بها ، ويكون قوله:(فعقروها) جوابًا لقوله:(إذ انبعث أشقاها فعقروها) وكذلك جاء التفسير ، ويكون مقدمًا ومؤخرًا لأنَّ العقر وقع بالتكذيب، وإذا وقع الفعلان معًا جاز تقديم أيُّهما شئتُ ، من ذلك " أعطيتَ فأحْسنت "، وإن قلتَ: " أحسنت فأعطيت " كَانَ بذلك المعنى لأنَّ الإعطاء هو الإحسان ، والإحسان هو الإعطاء ، كذلك العقر: هو التكذيب ، فقدمتَ ما شئتَ وأخرتَ الآخر "(٣) .

يرى الفراء في قوله السابق أنَّ البعضَ قد يتساءل كيف قُدِم التكذيب على العقر ، والوجه في الكلام أنْ يُقدم العقر على التكذيب ؛ لأنَّ التكذيب بعد العقر ، ويعلق الفراء قائلًا : " وقد يكون الأمرُ كما ظنَّ هؤلاء البعض لأنَّنا نقول : " قتلوا رسولهم فكذبوه " فالقتل تكذيبٌ ، وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى :" فعقروها " جوابًا للشرط وهو قوله تعالى (إِذَا انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) ، ويكون قوله تعالى(فَكَذَّبُوه) كلمة مكتفية بنفسها وليس لها علاقة بما بعدها ؛ إذ الفاء في قوله (فعقروها) ليست للعطف وإنَّما واقعة في جواب الشرط .

ويرى الفراء أيضًا أنَّ فيها وجهًا آخر وهو أنَّ الفعلين " كذَّب " و " عَقر " يجوز فيهما التقديم والتأخير ؛ وعلل لذلك بقوله : " لأنَّ العقر وقع بالتكذيب ، وإذا وقع الفعلان معًا جاز تقديم أيُّهما شئت ، من ذلك : " أعطيتَ فأحْسنت "، وإنْ قلت:" أحسنت فأعطيت " كان بذلك المعنى ؛ لأنَّ الإعطاء هو الإحسان ، والإحسان هو الإعطاء ، كذلك العقر: هو التكذيب ، فقدمتَ ما شئتَ وأخرتَ الآخر .

---

١ ــ ينظر : البحر المحيط : ٥ / ١١ ، الدر المصون : ٥ / ٢٤٨ ، اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي : ٩ / ١٤.
٢ ــ سورة الشمس : من الآية ١٤.
٣ ــ معاني القرآن : ٣ / ٢٦٩.

ومن القائلين أيضًا إنَّ الفاء قد اُسْتُعملت في قوله تعالى(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) لغير الترتيب ابن قتيبة في أحد قوليه والباقولي والزركشي ، ولكنهم لم ينصوا على هذا صراحة ولكن اتضح من خلال تفسيرهم لمعنى الآية حين فسروا الآية بقولهم : أي: فعقروها فكذّبوه بالعقر(١).

ــ كما استدل الفراء أيضًا لمذهبه بقوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)(٢) فقال الفراء : " كأن المعنى: " ثُمَّ تدلَّى فدَنا "، ولَكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدًا أو كالواحدِ قدمتَ أيُّهما شئتَ ، فقلتَ : " قَدْ دنا فقرُبَ " ، و" قرُبَ فدَنا " ، و" شتمني فأساء " ، و" أساء فشتمني" ؛ لأنَّ الشتم والإساءة شيءٌ واحدٌ ، وكذلك قوله:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)(٣) والمعنى ــ والله أعلم ــ : انشق القمرُ واقتربت الساعةُ ، والمعنى واحدٌ "(٤).

وقد أيَّد الطبري والواحدي الفراء فيما ذهب إليه في الآية السابقة من أنَّ الفاء لم تفدْ الترتيب (٥) .

وقد نسب ابن عصفور وأبو حيان للفراء القول بأنَّه استدل أيضًا على صحة مذهبه بقوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(٦)، وذكرا أنَّه قال إنَّ الآية على التقديم والتأخير، وقد قُدِّمتْ القراءة على الاستعاذة وهي مؤخرة عنها ؛ لأنَّ الاستعاذة من سبب القراءة ؛ لأنَّها قراءة في المعنى(٧) .

---

١ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري : ١٣٠ ، إعراب القرآن للباقولي :٢ / ٧٢٥ ، البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٨١.

٢ ــ سورة النجم آية : ٨.

٣ ــ سورة القمر آية : ١.

٤ ــ معاني القرآن للفراء : ٣ / ٩٥ ، ٩٦.

٥ ــ ينظر : جامع البيان : ٢٢ / ٥٠١ ، التفسير الوسيط : ٤ / ١٩٣ ، الوجيز : ١٠٣٨.

٦ ــ سورة النحل آية : ٩٨.

٧ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٢٩ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٤.

كما نسب أبوحيان للفراء أنَّه استدل لمذهبه أيضًا بقوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)(١) ، وذكر أبو حيان أنَّ الفراء يرى أنَّ هذه الآية على التقديم والتأخير ؛ لأنَّ الوضوء مقدمٌ على القيام للصلاة(٢) .

ولكن برجوعي لكتاب(معاني القرآن) للفراء وجدتُ أنَّه لم يستشهد بهايتن الآيتين على استعمال الفاء لغير الترتيب كما نُسِب إليه .

تعقيب على ما استدل به الفراء على صحة مذهبه :

وبعد عرض ما استدل به الفراء على صحة مذهبه أودُّ القول إنَّ لبعض المفسرين في الآيات التي استدل بها الفراء على صحة مذهبه أقوالًا أُخْرى تخالف ما ذهب إليه الفراء ، وسوف أذكر ما قالوه في كل آية استدل بها الفراء ، ثم أُعقب بعد ذلك على قول القراء وقول غيره من المفسرين موضحًة أيُّهما أولى عندي بالقبول .

أولًا : قوله تعالى (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها فَجاءَها بَأْسُنَا)

للمفسرين في هذه الآية الكريمة أقوالٌ أخرى تخالف ما ذهب إليه الفراء ، وهذه الأقوال تجعل الفاء باقية على أصل وضعها للترتيب ومن ذلك :

ــ ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب والزمخشري والباقولي ــ في أحد أقواله في الآية ــ والعُكبري والبيضاوي والنسفي وأبو حيان والزركشي وأبو السعود والشوكاني وابن عاشور والسيوطي من أنَّ الفعل (أَهْلَكْنَاهَا) مستعمل في معنى إرادة الفعل وعلى هذا فمعنى الاية الكريمة :" أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا"(٣) .

---

١ ــ سورة المائدة من الآية : ٦.
٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٤.
٣ ــ ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية : ٤ / ٢٢٧٨ ، الكشاف : ٢ / ٨٧ ، إعراب القرآن للباقولي : ١ / ١٠٠ ، التبيان في إعراب القران للعكبري :١ / ٥٥٦ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣ / ٥ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١ / ٥٥٥ ، البحر المحيط : ٥ / ١١ ، البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٢٩٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٣ / ٢١١ ، فتح القدير : ٢ / ٢١٤ ، التحرير والتنوير : ٨ / ٢٠ ، الإتقان في علوم القرآن : ٣ / ١٢٧ ، معترك الأقران : ١ / ١٩١.

وعلى ما ذهب إليه هؤلاء تكون الفاء باقية على أصل وضعها للترتيب ، ولكن يرى المحققون أنَّ الترتيب الذي دلت عليه الفاء في الآية الكريمة قد يكون الترتيب الذكري أي : ترتيب الإخبار بشيءٍ عن الإخبار بالمعطوف عليه ، وفي الآية أخبر عن كيفية إهلاكهم بعد الخبر بالهلاك ، وهذا الترتيب في الغالب تفصيل بعد إجمال ، فيكون من عطف المفصل على المجمل ، ومنه قوله تعالى (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)(١) لأنَّ الإزلال عن الجنة فُصِّل بأنَّه الإخراج(٢) .

ــ أجاز الرازي أنْ تكون الفاء للتفسير ؛ وذلك لأنَّ البأس جرى مجرى التفسير للإهلاك ؛ لأنَّ الإهلاك قد يكون بالموت المعتاد ، وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم ، فكان ذكر البأس تفسيرًا لذلك(٣) .

وما ذكره الرازي من أنَّ الفاء للتفسير قريبٌ في المعنى ممَّا ذكره المحققون من المفسرين من أنَّ الفاء لعطف المفصل على المجمل ؛ لأنَّ كلا القولين يدلان على أنَّ ما بعد الفاء قد وضَّح وبيَّن وفسَّر ما قبلها .

ــ وذهب العزُّ بن عبد السلام إلى أنَّ المعنى : حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا ، أو أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا بوقوع العذاب بهم ، أو أهلكناها بالخذلان عن الطاعة فجاءتهم العقوبة(٤) .

وعلى ماذكره العزُّ بن عبد السلام فالفاء هنا للترتيب والتعقيب .

ــ وذهب الباقولي في أحد تفسيراته للآية إلى أنَّ المعنى : قربت من الهلاك ولم تهلك بعد ، ولكن لقربها من الهلاك ودنوها وقع

عليها لفظ الماضي ؛ لمقاربتها له وإحانته إياها ، وكأنَّ المعنى: كم من قرية قاربت الهلاك فجاءها البأس ليلًا و نهارًا فأهلكناها(٥) .

---

١ ــ سورة البقرة من الآية : ٣٦.

٢ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ٢١.

٣ ــ ينظر : مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٩٩.

٤ ــ ينظر : تفسير القرآن للعز بن عبد السلام : ٤٧٥.

٥ ــ ينظر : إعراب القرآن للباقولي : ١ / ٩٨.

تعقيب:

وبعد عرض قولي الفراء في قوله تعالى(وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنَا) وأقوال غيره من المفسرين فيها أودُّ القول : إنَّنِي لا أؤيد ما ذهب إليه الفراء من أنَّ البأس والهلاك قد وقعا معًا ، وإنَّما أرى أن مجيء البأس متقدم على الإهلاك ؛ لأنَّ الإهلاك تسبب عن مجيء البأس والسبب يكون قبل المسبب ، ولا أؤيد أيضًا قول الفراء إنَّ الفاء بمعنى الواو .

وأمَّا عن أقوال غيره من المفسرين فلا أميل إلى كون الفاء تفسيرية كما قال الرازي ؛ إذ مجيء البأس ليس تفسيرًا للإهلاك ، وإنَّما الإهلاك يتسبب عن مجيء البأس .

وأمَّا عمَّا ذكره العزُّ بن عبد السلام من أقوال فلا أؤيده في أنَّ المعنى : " أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا بوقوع العذاب بهم " ، أو " أهلكناها بالخذلان عن الطاعة فجاءتهم العقوبة " ؛ لأنَّ هذين المعنيين قد اشتملا على أكثر من مضمر ، كما أنَّ المعنى على هذين التفسيرين به تكلف لسنا في حاجة إليه .

وكذا أقول في المعنى الذي ذكره الباقولي فهو الآخر به أكثر من مضمر ، وبه أيضًا تكلف لسنا مضطرين إليه .

ومن ثَمَّ فإنَّنِي أميل إلى ما ذهب إليه معظم المفسرين وابن عصفور وأبوحيان وأيَّده ابن هشام من أنَّ المعنى: " أردنا إهلاكها " ؛ لأن هذا المعنى يخرجنا من التكلف الذي لجأ إليه البعضُ بتقديرِ أكثر من محذوف ليستقيم المعنى ، مع أنَّنا في واقع الأمر لسنا في حاجة إلى ذلك ، وأمَّا عن سر التعبير عن إرادة الفعل بذكر الصيغة التي تدل على وقوع الفعل فهو ما ذكره ابن عاشور : من أنَّ التعبير بذلك إنَّما هو لإفادة عزم الفاعل على الفعل عزمًا لا يتأخر عنه العمل ، بحيث يُستعار اللفظ الدال على المراد للإرادة لتشابههما ، وسر الإتيان بحرف التعقيب (الفاء) هو الدلالة على عدم التريث ، والغرض من ذلك تهديد السامعين

المعاندين وتحذيزهم من أنْ يحلَّ عليهم غضب الله فيريد إهلاكهم(١)، وليست هذه الآية بِدْعًا عن غيرها في استعمال الفعل فيها بمعنى الإرادة ؛ إذ قد حكى ابنُ هشام كثيرًا من الشواهد عُبِّر فيها بالفعل عن الإرادة ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى (فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) ، وقوله تعالى (إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) ، وقوله تعالى (إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَ)(٢)والمعنى ــ والله أعلم ــ : " إذا أردْتَ القراءة" ، و" إذا أردتم القيام إلى الصلاة " ، و" أردتم الطلاق)(٣) .

وفي ذات الوقت لا أؤيد أنَّ الفاء على تقدير المعنى:" أردنا أهلاكها " قد أفادت الترتيب الذكري وأنَّها لعطف المفصل على المجمل ؛ لأنَّ القول بأنَّ الفاء في الآية الكريمة للترتيب الذكري الذي هو من عطف المفصل على المجمل لا يصح إلا إذا أبقينا الفعل " أهلكنا " كما هو ، ولم نقدره بمعنى : أردنا إهلاكها "، وعلى هذا يكون في الفعل " أهلكنا " إجمالٌ ثم جاء قوله تعالى " فجاءها بأْسُنا " تفصيلًا لهذا الإجمال وبيان لكيفية الإهلاك ، وأمَّا على تقدير الفعل " أهلكنا " بمعنى : " أردنا إهلاكها فجاءها بأْسُنا " فليس هناك مجملٌ يستدعي التفصيل ، والفاء على هذا التقدير تكون قد أفادت الترتيب بمعناه الحقيقي والتعقيب ؛ إذ إرادة الإهلاك قد جاءت أولًا ثم أعقبها مباشرة مجيء البأس والعذاب لهم .

ثانيًا : قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا)

ورد في هذه الآية الكريمة أقوالٌ أُخرى غير قول الفراء ومنها :

ــ ذهب بعضُ المفسرين إلى أنَّ الآية لا تقديمَ فيها أو تأخيرَ ، والدليل على ذلك أنَّهم قد فَسَّرُوا الآية كما وردت بتقديم التكذيب على العقر، ومن هؤلاء المفسرين : مقاتل بن سليمان وابن قتيبة في أحد قوليه و الزجاج و الثعلبي ومكي بن أبي طالب والقشيري والواحدي والسمعاني والبغوي وجمال الدين

---

١ ــ ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ٢٠ ، ٢١.

٢ ــ سورة الطلاق : من الآية ١.

٣ ــ ينظر : المغني : ٢ / ٧٩٥.

عبدالرحمن الجوزي والقرطبي والبيضاوي والنسفي وأبي حيان والنيسابوري والشوكاني(١) .

وتفسيرهم للآية هكذا يدل على أنَّ كلا الفعلين عندهم في مكانه الطبيعي ، وليس في الآية تقديم وتأخير ، وأنَّ الفاء في الآية على أصل وضعها للترتيب .

ــ وذهب الطبري إلى القول بأنَّه يحتمل أنْ يكون التكذيب بالعقر ، وذكر أنَّه إذا كان الأمرُ كذلك ، جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب ؛ وذكر أن العلة في جواز تقديم إيِّهما هي : أنَّ كلَّ فعلٍ وقع عن سبب حَسُنَ ابتداؤه قبل السبب وبعده ، ولما كان العقرُ سببَ التكذيبِ ، جاز تقديم أيّ ذلك شاء المتكلم(٢).

فالطبري يرى أنَّ العقرَ هو سبب التكذيب ؛ والفعلان إذا كان أحدهما سببًا للآخر جاز تقديم أيُّهما شئنا على الآخر ؛ ولذا قُدم في الآية التكذيب على العقر لكونه مسببًا عنه .

ــ لم يوافق النحاس الفراء فيما ذهب إليه في الآية الكريمة وقال النحاس تعليقًا منه على قول الفراء : " أراد :" فعقروها فكذبوه " : وهذا خطأٌ في الفاء(٣) لأنَّها تدلّ على أنَّ ثانيا بعد الأول، وهذا عكس اللغة ، ومع هذا فليست ثَمَّ حال يضطر إليه ؛ لأنَّهم كذّبوا صالحًا حين قال لهم: إنْ عقرتموها انتقم الله منكم فكذبوه في ما قال فعقروها(٤)" .

---

١ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ــ : ٤ / ٧١٢ ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٣١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٣٣٣ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي : ١٠ / ٢١٥ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب : ١٢ / ٨٣٠٢ ، لطائف الإشارات للقشيري : ٣ / ٧٣٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي : ١٢٠٧ ، تفسير القرآن للسمعاني : ٦ / ٢٣٤ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي : ٥/ ٢٦١ ، زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين عبد الرحمن الجوزي : ٤ / ٤٥١ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢٠ / ٧٩ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي : ٥ / ٣١٦ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي : ٣ / ٦٤٩ ، البحر المحيط لأبي حيان: ١٠ / ٤٩٠ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري : ٦ / ٥٠٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٥ / ٥٤٨.

٢ ــ ينظر : جامع البيان : ٢٤ / ٤٤٩.

٣ ــ أيّ ما ذهب إليه الفراء من أنَّ التقدير : فعقروها فكذبوا.

٤ ــ إعراب القرآن للنحَّاس : ٥ / ١٤٧.

فالنحَّاس يقول : إنَّه على تقدير الفراء :" فعقروها فكذبوه " يكون هذا خطأً في الفاء لأنَّها وُضِعت للترتيب ، وهذا عكس ما وُضع في اللغة لمعنى الفاء ، ثم يقول النحاس بعد ذلك : ولكننا لسنا مضطرين للقول بأنَّ الفاء قد دلت على عكس ما وُضِعت له ؛ لأنَّ معنى الآية : " أنَّهم كذبوا صالحًا ــ عليه السلام ــ فيما قاله لهم من أنَّهم إذا عقروا الناقة انتقم اللهُ منهم ، وبعد تكذيبهم له عقروا الناقة ، وعلى هذا فالفاء في الآية قد دلت على الترتيب .

وعلى هذا فالنحاس يرى أنَّ الفاء قد أفادت الترتيب في الآية الكريمة .

تعقيب :

وبعد عرض قول الفراء و أقوال غيره من المفسرين في قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) أقول :

ما ذهب إليه الفراء في هذه الآية الكريمة من أنَّ الفعلين " كذَّب " و " عَقر" يجوز فيهما التقديم والتأخير ؛ لأنَّ العقر وقع بالتكذيب ، وإذا وقع الفعلان معا جاز تقديم أيُّهما شئتَ ، ومن ذَلكَ : " أعطيتَ فأحْسنت "، وإنْ قلت: " أحسنت فأعطيت " كَانَ بذلك المعنى ؛ لأنَّ الإعطاء هو الإحسان ، والإحسان هو الإعطاء ، كذلك العقر: هو التكذيب ، فقدمتَ ما شئتَ وأخرتَ الآخر .

أقول : إنَّنِي أتفقُ مع الفراء في بعض مقولته ، وأختلفُ معه في البعض الآخر :

أتفق معه في أنَّنا حين نقول : " أعطيتَ فأحسنتَ " ؛ يكون الإعطاء والإحسان بالفعل قد وقعًا معًا ؛ لأنَّه في الوقت الذي يُعطي فيه يُحسن إليه ، والوقت الذي أحسن إليه فيه هو نفس الوقت الذي أعطاه فيه .

وأختلفُ معه فيما قاله من أنَّ العطاءَ هو الإحسان ، الإحسان هو العطاء ، بل أرى أنَّ المعنيين مختلفان ؛ لأنَّ العطاء نوعٌ من أنواع الإحسان ؛ إذ الإحسان قد يكون بالعطاء وبغيره ، ومن ثَمَّ لا نقولْ إنَّ معناهما واحدٌ ، وكذا الحال في الإساءة والشتم فليسا أيضًا بمعنى واحدٍ ؛ لأنَّ الإساءة تكون بالشتم وغيره ، وهي أيضًا أعم من الشتم .

وأمَّا ما يراه الفراء في الآية الكريمة من أنَّ الفعلين فيها قد وقعا معًا كما هو الحال في قولنا : " أعطيت فأحسنتَ " فإنَّني أقول : إنِّ الفعلين في الآية الكريمة لم يقعا معًا ، وليسا بمعنى واحدٍ كما ذكر ؛ لأنَّ التكذيب كما ذكر بعضُ المفسرين قد وقع منهم أولًا لصالح ــ عليه السلام ــ إمَّا في رسالته ، وإمَّا في خبره الذي أخبرهم به من أنَّ الله جعل للناقة شِرْبَ يوم ، ولهم شِرْبُ يوم معلوم ، وأنَّ الله يُحِلُّ بهم نقمته إنْ عقروها(١) ،أو أنَّهم كذَّبُوه حين قال لهم (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٢) ولم يوقنوا أنَّهم يعذبون(٣) ، وبعد أنْ كذَّبُوا قاموا بعقر الناقة ، فالتكذيب سابقٌ على العقر ، وأيضًا من حيث المعنى فالفعل " عقر " والفعل " كذَّب " ليسا بمعنى واحدٍ ؛ لأنَّ العقر ليس هو التكذيب ، وإنّما مسببٌ عن التكذيب ، والتكذيب ليس في معنى العقر .

وعلى هذا فما ذكره الفراء هنا من أنَّ الفعلين" كذَّب " و" عقر" يجوز تقديم أيُّهما وتأخير الآخر لكونهما وقعا معًا ، ولكونهما بمعنى واحدٍ فيه نظرٌ .

وأقول أيضًا : إنَّني لا أؤيد ما ذهب إليه الطبري في الآية الكريمة من أنَّ العقرَ سببُ التكذيب ؛ إذ التكذيب هو السبب في العَقْر ، فهم لما كذبوا صالحًا ــ عليه السلام ــ عقروا الناقة ، فالعقر مسببٌ عن التكذيب وليس العكس .

وهنا أودُّ القول إنَّني لست مع الطبري أيضًا فيما ذهب إليه من أنَّ الفعلين إذا كان أحدهما سببًا للآخر جاز لنا تقديم إيُّهما شئْنا على الآخر ؛ وذلك لأنَّ السببَ متقدمٌ على المسبب وسابق عليه ، ومن ثَمَّ فالأولى تقديم السبب وتأخير المسبب ، لا أنْ نُقدمَ أيُّهما شئْنا كما قال الطبري .

وأودُّ القول : إنَّني أميل إلى أنَّ الفاء في الآية الكريمة قد أفادت الترتيب على أصل وضعها كما ذهب إلى ذلك النحاس ومعظم المفسرين ،كما أرى أنَّها أفادت أيضًا مع الترتيب معنى السببية ، وعلى هذا فليس في الآية الكريمة تقديم

---

١ ــ ينظر : تفسير الماتريدي : ١٠ / ٥٤٦ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ١٢ / ٨٣٠٢.

٢ ــ سورة الأعراف من الآية : ٧٣.

٣ ــ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٣٣٣.

وتأخير ، وسياق الآيات الكريمات السابقات على هذه الآية تؤيد ذلك ؛ وهي قوله تعالى(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)(١) فهي تدل على أنَّ ثمود قد كذَّبوا صالحًا ــ عليه السلام ــ فقال محذرًا لهم: احذروا ناقة واحذروا سُقياها ، وعلى هذا فالتكذيب سابقٌ ومتقدمٌ منهم كما ورد في الآيات ، والعقر متأخرٌ وواقعٌ بعده .

ثالثًا : قوله تعالى :(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)

ورد في هذه الآية الكريمة أقوالٌ أخري تخالف ما ذهب إليه الفراء ومنها :

ــ ذهب بعضُ المفسرين الذين فسَّروا الآية إلى أنَّ الفاء على أصل وضعها للترتيب و الآية لا تقديمَ فيها ولاتأخيرَ ومن هؤلاء المفسرين : مقاتل بن سليمان والسمر قندي ومكي بن أبي طالب والقشيري وابن عطية وبيان الحق والنسفي والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان والثعالبي والشوكاني(٢) .

وهنا أودُّ القول إنَّ هؤلاء المفسرين لم ينصوا صراحةً على أنَّ الفاء للترتيب ، ولكن اتضح هذا من خلال تفسيرهم للآية ، كما أنَّهم لم يقولوا إنَّ فيها تقديمًا أو تأخيرًا ؛ ومن ثَمَّ فهذا يعني أنَّ الفاء عندهم في الآية على أصل وضعها للترتيب ؛ لأنَّ مَنْ يرى أنَّ الفاء لغير الترتيب ينصَّ على هذا .

ــ ردَّ النَّحَّاس ما ذهب إليه الفراء من أنَّ هذه الآية على التقديم والتأخير وأنَّها تشبه قوله تعالى(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) الذي يرى الفراء أنَّ معناه: " انشق القمرُ واقتربت الساعةُ " فقال النحاس: " وهذا التشبيه غلطٌ بيّن ؛ لأنَّ حكم الفاء خلاف حكم الواو ؛ لأنها تدلّ على أنَّ الثاني بعد الأول ، فالتقدير : ثم دنا فزاد في القرب"(٣) .

---

١ ــ سورة الشمس : الآيات : ١١ ، ١٢ ، ١٣.

٢ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ١٦٠ ، بحر العلوم : ٣ / ٣٥٩ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ١١ / ٧١٤٦ ، لطائف الإشارات : ٣ / ٤٨١ ، المحرر الوجيز : ٥ / ٩٧ ، باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن : ٣ / ١٣٩٣ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ٣٩٠ ، الجامع لأحكام= =القرآن للقرطبي : ١٧ /٨٨ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥ / ١٥٧، البحر المحيط : ١٠ / ١٠، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي : ٥ / ٣٢٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٥ / ١٢٧.

٣ ــ إعراب القرآن للنحاس : ٤ / ١٨٠.

فالنحاس على هذا يجعل الفاء على أصل وضعها للترتيب ، ويرى أنَّه لا ينبغي للفراء أنْ يشبه الفاء بالواو ؛ لأنَّ الواو لا تدل على الترتيب ، بخلاف الفاء فهي للترتيب وقد أفادت الترتيب في الآية والمعنى عنده ثم دنا فزاد في القرب .

وبناءً على ما سبق يكون لدينا في الآية السابقة قولان في الفاء : أحدهما : القول بأن الفاء لغير الترتيب وأنَّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا كما ذهب إلى ذلك الفراء ومَنْ تبعه .

والآخر : ما ذهب إليه النحاس ومعظمُ المفسرين من أنَّ الفاء للترتيب ، ولا تقديمَ أو تأخيرَ في الآية .

تعقيب :

وقبل أنَّ أبين إلى أيٍّ القولين أميل أودُّ الإشارة أولًا إلى أنَّ المفسرين قد اختلفوا في تفسير معنى الآية وعلام تعود الضمائر فيها :

ــ فذهب مقاتل بن سليمان وآخرون إلى أنَّ الضمائر في الآية السابقة تعود للرب ــ سبحانه وتعالى ــ و المعنى : أنَّ الله ــ تبارك وتعالى ــ دنا من محمد فتدلى ، وذلك ليلة أسري بالنبي- صلى الله عليه وسلم- إلى السماء السابعة فكان منه قدر ما بين طرفي القوس من قسي العرب أو أقرب من ذلك(١).

ــ وذهب ابن عباس في أحد قوليه والضحاك إلى أنَّ الضمائر في الآية تعود لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمعنى : دنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ربِّه فتدلى أيّ : أهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى(٢) .

ــ وذهب البعض إلى أنَّ الضمائر في الآية تعود لجبريل ومنهم : ابن عباس في أحد قوليه وابن أبي حاتم والطبري والسمرقندي والقشيري والسمعاني

---

١ ــ تفسير مقاتل بن سليمان : ٤ / ١٦٠ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: ٤ /٣٠٢ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي : ٩ / ١٣٧.

٢ ــ ينظر : تنوير المقباس : ٤٤٦ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي : ٩ / ١٣٧، معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٤ / ٣٠٢ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ٤ / ١٨٥ ، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام : ٣ / ٢٤٣.

والبغوي والقرطبي والبيضاوي والنسفي وابن جزي وأبي حيان إلى أنَّ المعنى : ثم دنا جبريل من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتدلى فزاد في القرب[١].

وبناءً على ما سبق فإنَّني أرى أنَّ هذه الآية الكريمة يجوز حملها على أنَّ الفاء فيها على أصلها وضعها لإفادة الترتيب ، ويجوز حملها أيضًا على أنَّ الفاء قد اُستُعملت بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ ولكن استعمالها بمعنى الواو ليس للعلة التي ذكرها الفراء وهي كون الفعلين " دنا " و" تدلى " بمعنى واحد ، ولكن لعلة أخرى ألا وهي مرجع الضمائر في قوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) ، فعلى القول بأنَّ الضمائر في الآية الكريمة تعود إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ فالأرجح عندي أنَّ الآية كما هي ولا تقديمَ ولا تأخيرَ فيها والمعنى ــ والله أعلم ــ :ثم دنا الجبار ربُّ العزة من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتدلى .

وعلى القول بأنَّ الضمائر في الآية تعود لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالأرجح عندي أيضًا أنَّ الفاء في الآية للترتيب على أصل وضعها ، ولا تقديم في الآية ولا تأخير ، والمعنى كما ذكر الضحاك : دنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ربِّه فتدلى أيّ : أهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى .

وأمَّا على القول بأنَّ الضمائر في الآية تعود لجبريل ــ عليه السلام ــ فالأرجح عندي أنَّ الفاء قد جاءت في الآية بمعنى الواو لغير الترتيب ، والمعنى ــ والله أعلم ــ : ثُمَّ تدلى جبريل ــ عليه السلام ــ ونزل من السماء بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد ــ صلي الله عليه وسلم ــ بالوحي ،

١ــ ينظر : تنوير المقباس : ٤٤٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي بتحقيق/ أسعد محمد الطيب ، / نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة : ١٤١٩ هـ : ١٠ / ٣٣١٩ ، جامع البيان : ٢٢ / ٥٠١ ، بحر العلوم : ٣ / ٣٥٩ ، لطائف الإشارات : ٣/ ٤٨١ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١٠٣٨ ، تفسير القرآن للسمعاني : ٥ / ٢٥٨ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٤ / ٣٠٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧ / ٨٨ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٥ / ١٥٧ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ٣٩٠ ، التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي بتحقيق د/عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت، الطبعة :الأولى: ١٤١٦هـ : ٢ / ٣١٦ ، البحر المحيط : ١٠ / ١٠.

وعلى هذا القول يكون قوله تعالى" تدلى" باقيًا على أصل معناه في اللغة ؛ لأنه يدل في اللغة على النزول من علو إلى أسفل(١) .

وأمَّا على القولين الأول والثاني يكون الفعل " تدلى " قد ضُمِن معنى : " زاد في القرب " .

ثالثًا : قول الجرمي :

ذهب الجرمي إلى أنَّ الفاء لا تفيد الترتيب في الأماكن ولا في الأمطار ، بدليل قولهم " مُطِرنا مكان كذا فمكان كذا " وإنْ كان نزول المطر فيهما في وقتٍ واحدٍ ، و"عفا مكانُ كذا فمكانُ كذا " وإنْ كان عفاؤهما في وقتٍ واحدٍ(٢) .

واستدل الجرمي على صحة ما ذهب إليه بقول الشاعر(٣) :

---

١ ــ ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن قتيبة : ٢ / ١٣١ ، لسان العرب : ١٤ / ٢٦٦ ، ٢٦٧، تاج العروس : ٣٨ / ٦٢.

٢ ــ ينظر : شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٢٨ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، الجنى الداني : ٦٣، المغني :١ / ١٨٣ ، مصابيح المغاني : ١٣٢ ، تمهيد القواعد : ٧ /٣٤٤٠ ، التصريح : ٢ / ١٦١ ، الهمع : ٣ / ١٩٢.

٣ ــ من الطويل لأمرئ القيس في ديوانه بشرح عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ــ بيروت ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤ : ٢١ ، الجمل في النحو : ٢٥٧ ، جمهرة أشعار العرب :٥١ ، الكامل في اللغة والأدب للمبرد بتحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ــ القاهرة ، الطبعة : الثالثة : ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧ م : ١ / ١٩٩ ، نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ــ القسطنطينية ، الطبعة : الأولى : ١٣٠٢ه : ١٤ ، الأوائل لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، دار البشير ــ طنطا ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٨ هـ :٣٨١ ، الأزهية : ٢٤٤ ، فقه اللغة وسر العربية : ٢٤٤ ، سر الفصاحة : ٢٨٦ ، درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي بن محمد الحريري البصري بتحقيق/ عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ــ بيروت، الطبعة : الأولى: ١٤١٨ــــ ١٩٩٨هـ :٧٣ ، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٠٧ ، الجنى الداني : ٦٣ ، التصريح :٢ / ١٥٧ ، الهمع : ٣ / ١٨٦ ، وبلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة : ٧٢ ، الإنصاف : ٢ / ٥٤٠ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، شرح قطر الندى : ٨٠ ، المغني : ١ / ١٨٣ ، مصابيح المغاني : ١٣١.

- اللغة : المنزل : المكان الذي ينزل فيه الأحباب ، السقط : منقطع الرمل ، اللوى : ما التوى من الرمل واسترق منه ، الدخول وحومل : مكانان.
- المعنى : يخاطب الشاعر صاحبيه على عادة الجاهليين بأنْ يقفا ليساعداه على البكاء عند منزل حبيبته ، حيث كان يلقاها بين الدخول وحومل.
- الشاهد : قوله " بين الدخول فحومل " حيث استدل به الجرمي على أنَّ الفاء لا تفيد الترتيب في الأماكن ، وقد اُستُعمِلت الفاء في البيت بمعنى الواو والمعنى عنده : بين الدخول وحومل.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

والمعنى عند الجرمي: بين الدخول وحومل ؛ لأنَّ الفاء عنده لا تفيد الترتيب في الأماكن وتكون بمعنى الواو ، وأيضًا وجود لفظ

" بين " قد رجَّح كون الفاء بمعنى الواو ؛ لأنَّ البينية لا يعطف فيها بالفاء، وإنَّما بالواو(١).

وقد نسب الهروي للأخفش القول بأنَّ " الفاء " في البيت السابق بمعنى الواو(٢) ، ولكن برجوعي لكتاب (معاني القرآن) للأخفش لم أجدْ هذا القول ، ولعل الأخفش صرَّح به في موضع آخر .

وقد استدل الجرمي أيضًا بقول الشاعر(٣) :

عَفَا ذُو حُسًى مِنْ فَرْتَنَى فَالفَوَارِعُ فَجَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ

والمعنى عند الجرمي : عفا ذو حسى من منازل فرتنى والفوارع وجبنا أريك والتلاع الدوافع ؛ فالفاء عنده بمعنى الواو ، ومعلوم أنَّ هذه الأماكن لا تعف

---

١ ــ ينظر : التصريح : ٢ / ١٥٨.

٢ ــ ينظر : الأزهية في علم الحروف : ٢٤٥.

٣ ــ من الطويل للنابغة الذبياني في ديوانه بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ــ القاهرة ، الطبعة : الثانية ، بدون تاريخ : ٣٠ ، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده :٩/ ٥٥٢ ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني بتحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة: الخامسة : ٤٠١ هـ ــ١٩٨١ م : ٢ / ١٧٨ ، شرح الجمل لابن عصفور: ١ / ٢٣٠ ، الجنى الداني : ٦٣ ، تاج العروس :٢٧ / ٤٠ ، خزانة الأدب : ٢ / ٤٥١ ، وبلا نسبة في : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤١.

- اللغة : عفا : دَرَسَ ومُحِيت آثاره ، ذو حسى : موضع في ديارة بني مُرَّة ، فرتنى : اسم امرأة ، من فرتنى أي : من منازل فرتنى ، الفوارع : مواضع مرتفعة ، أريك : موضع أو جبل بالبادية ، أو وادٍ ، التلاع : مجاري الماء من أعالي الأرض إلى بطون الأودية ، الدوافع : التي تدفع الماء إلى الوادي الأعظم.
- المعنى : يقول الشاعر إنَّ كل هذه المواضع التي ذكرها في البيت ومنها منازل محبوبته قد عفت ومُحِيت آثارها.
- الشاهد : حيث استشهد به الجرمي على أن الفاء في البيت لا تفيد الترتيب ؛ لأنَّها قد دخلت على الأماكن ، وإنَّما هي عنده بمعنى الواو.

على ترتيب ، والوقوف على أنْ يكون الآخر من هذه الأماكن قد عفا عند انقضاء عفاء الأول من غير مهلة بينهما متعذر(١) .

ردُّ البصريين ومن تبعهم على ما استدل به الجرمي لمذهبه :

لم يرتضِ البصريون ومَنْ تبعهم من البغداديين وغيرهم ما ذهب إليه الجرمي ، وخرَّجوا الشواهد التي استشهد بها على أوجه أخرى تخالف ما يراه الجرمي :

فخرَّج أبوحيان قولهم : " مُطِرنا مكان كذا فمكان كذا "، و"عفا مكانُ كذا فمكانُ كذا " وإنْ كان نزول المطر وعفاؤهما في وقتٍ واحدٍ على أنَّ : الفاء في هذه الشواهد قد أفادت الترتيب في الذكر ؛ والقائل قد ذكر هذه الأماكن وتتبعها بحسب تذكره إياها ، وقال أبوحيان إنَّ العرب لا تقصر الترتيب بالفاء على الزمان بدليل قولهم : " أعلى الناس منزلة في الدنيا الأمير فالوزير " ، وقال إنَّ المراد : أنَّ الوزير يلي الأمير في المنزلة لا في الزمان ، وكذا هذه الأماكن يلي بعضها بعضًا في الذكر لا في الزمان (٢) .

كما خرَّج بعض البغداديين قول الشاعر : بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

على أنَّ الفاء بمعنى " إلى " وليست بمعنى الواو ، وقالوا إنَّ هناك " ما " محذوفة قبل " بين " وصحت إضافة "بين " إلى" الدخول " لاشتماله على مواضع ، أو لأنَّ التقدير : " ما بين مواضع الدخول إلى حومل" (٣) .

وقد خرَّج ابنُ عصفور قول الشاعر : بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

على أنَّه على حذف مضاف فقال: " كأنَّه قال بين نواحي الدخول "(٤) .

وكذا قدَّر السيوطي معنى البيت السابق بما قدَّره به ابن عصفور(٥) .

---

١ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٣٠ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤١.

٢ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٥.

٣ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٨٤ ، خزانة الأدب : ١١ / ٧ ، ٨.

٤ ــ شرح الجمل : ١ / ٢٦٠.

٥ ــ ينظر : الهمع : ٣ / ١٨٧.

وذكر الشيخ خالد أنَّ يعقوب بن السكيت قال : إنَّ المعنى في البيت السابق على حذف مضاف ، وأنَّ التقدير : "بين أهل الدخول فحومل " (١) .

وذكر الشيخ خالد أيضًا أنَّ خطاب الماردي قال : " إنَّ المعنى في البيت السابق على اعتبار التعدد حكمًا ، لأنَّ الدخول مكان يجوز أنْ يشتمل على أمكنة متعددة "(٢) .

وقد تبع أبوحيان والأشموني والسوطي خطاب الماردي فيما ذهب من أنَّ " الدخول "و ما عُطِف عليها يشتمل على أمكنة ، والمعنى عندهم : بين أماكن الدخول فأماكن حومل(٣) .

كما خرَّج ابن عصفور قول الشاعر :

عَفَا ذُو حُسًى مِنْ فَرْتَنَى فَالفَوَارِعُ فَجَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ

على أنَّ الصحيح أنَّ الفاء استقر لها الترتيب ، ومهما أمكن إبقاؤها على ما استقر لها كان أولى ، وذكر أنَّه قد أمكن في البيت السابق ذلك بأنَّ تجعل الفاء للترتيب في الذكر ؛ لأنَّ هذه الأماكن لم تحضر في ذهن الشاعر وقت الإخبار بها دفعة واحدة ، فجعل يتذكرها متتبعًا لها ، ويرتبها حسب ورودها على خاطره ، فما سبق إلى ذكره أتى به أولًا، وما تأخر في ذكره أتي به بالفاء(٤) .

وقد تبع أبو حيان ابن عصفور فيما ذهب إليه من أنَّ الفاء في البيت السابق قد أفادت الترتيب في الذكر(٥) .

وبعد عرض ما ردَّ البصريون ومَنْ تبعهم مذهبَ الجرمي أودُّ أنْ أعقبَ على ردِّهم هذا من عدة أمور :

الأمر الأول : ما ردَّ به البصريون ومَنْ تبعهم قول الشاعر :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

---

١ ــ التصريح : ٢ / ١٥٨ بتصرف يسير.

٢ ــ التصريح : ٢ / ١٥٨ بتصرف يسير.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٥ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٣ ، الهمع : ٣ / ١٨٧.

٤ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٣٠ ، ٢٣١.

٥ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٥.

فيه ادعاء كون الفاء بمعنى" إلى " وهذا أمر قد ضـعَّفه المـرادي(١) ، وحكم عليه ابن هشام بالغرابة (٢)، وليت الأمر انتهى واستقام المعنـى بجعـل الفاء بمنزلة " إلى " ، بل احتاجوا إلى جانب ذلك ادعاء حذف " ما " قبل " بـين "، وحذف مضاف قبل " الدخول " وقبل "حومل " ، وفي هذا من التكلف والعناء مـا نحن في غنى عنه بجعل الفاء بمعنى الواو ، فهذا القول أيسر وأسهل وأقرب من غيره كما ذكر البغدادي(٣) .

وهنا أمرٌ أود الإشارة إليه وهو أنَّني أرى أن الشاعر حين قـال : بِسِـقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

قد أراد بقوله :" بين الدخول فحومل " تحديد الموقع الذي يقع فيه " سقط اللوى " تحديدًا دقيقًا ، فذكر أنَّ مكانه بين الدخول وحومل ، وعلى هذا فلا معنـى لتقدير مضاف قبل كلمتي" الدخول " و " حومل " ؛ لأنَّنا لسنا في حاجة إلى ذلك ؛ إذ ليس مراد الشاعر : أن سقط اللوى يقع بين أماكن الدخول فأمـاكن حومـل ، وإنَّما مراده أنَّه يقع بين هذين المكانين .

ومن ناحية أخرى : وجود لفظ "بين" قبل كلمة " الدخول" ، ومن المعروف أنَّ البينية من المعاني التي لا يعطف فيها إلا بالواو فقط .

وأيضًا ورود البيت في بعض الروايات بالواو ، ومنها الرواية التي رواها المبرد وذكر أنهَّا أصح الروايات(٤) ، والرواية التي رواها الأصمعي وذكر أنَّهـا هي الصواب (٥) ، هذان الأمران أيضًا يؤيدان كون الفاء في البيت بمعنى الواو .

---

١ ــ ينظر : الجنى الداني : ٧٧ .

٢ ــ ينظر : المغني : ١ / ١٨٥.

٣ ــ ينظر : خزانة الأدب : ١١ / ٨. .

٤ ــ ينظر : الكامل في اللغة والأدب للمبرد : ١/ ١٩٩.

٥ ــ ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بتحقيق / السيد أحمـد صقر ، طبعة : دار المعارف ، الطبعة : الرابعة ، بدون تاريخ : ١ / ٤٥٠ ، شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن الحسن المرزوقي بتحقيق/ غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنـان، الطبعـة : الأولى: ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م : ٨٧٠ ، شرح الجمل لابن عصفور : ١ /٢٦٠ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٢٢ ، المغني : ١ / ١٨٤ ، التصريح : ٢ / ١٥٧ ، خزانة الأدب : ١١ / ٦.

الأمر الثاني : ما ذكره ابن عصفور وأبو حيان من أنَّ الفاء في قول الشاعر :

عَفَا ذُو حُسًى مِنْ فَرْتَنَى فَالفَوَارِعُ فَجَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ

قد أفادت الترتيب في الذكر .

وما ذكره أبو حيان من أنَّ الفاء في قولهم : " مُطِرنا مكان كذا فمكان كذا"، و"عفا مكانُ كذا فمكانُ كذا " قد أفادت الترتيب في الذكر.

أقول : ما ذكراه يدل في مضمونه على الفاء بمعنى الواو ؛ لأنَّنا حين نقول إنَّ الفاء قد رتبت في الذكر فقط ، فهذا يعنى أنَّها لم ترتبْ الترتيب الحقيقي الذي الذي استقر أنَّها في أصل معناها تفيده وتدل عليه ، وكل ما أفادته الفاء في هذه الشواهد التي ذكرها الجرمي هو الجمع بين أشياءلم يقصدْ قائلوها ترتيب الثاني بعد الأول ترتيبًا حقيقيًا ، وإنَّما عُطِفَ بها لِمجرد التشريك في الحكم ، بغض النظر عمَّن كان أولًا ومَن جاء بعده ، وهذا في حقيقته هو عين ما تفيده الواو ، والدليل على هذا أنَّها يحسن في مكانها الواو كما قال ابن مالك (١) .

وممَّا يؤكد أيضًا أنَّ الفاء التي للترتيب في الذكر يحسن في مكانها الواو أنَّنا وجدنا ابنَ عصفور ــ الذي يرى أنَّ الفاء لا تكون إلا للترتيب ويصحح مذهب البصريين ويرد على القائلين بأنَّ الفاء قد تأتي لغير الترتيب ــ يقول في موضع آخر إنَّ الفاء حين تكون مرتبة في الذكر تكون إذ ذاك بمنزلة الواو ، ويقول إنَّه يجوز أن تكون الفاء في قول الشاعر :

بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

بمعنى الواو (٢) .

بل وجدنا ابن عصفور يؤكد على كون الفاء بمنزلة الواو في البيت السابق بقوله : " وممَّا يؤكد أن الفاء هنا بمنزلة الواو رواية الأصمعي : بين الدخول وحومل بالواو"(٣) .

---

١ ــ ينظر : شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٠٧.

٢ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٦٠.

٣ ــ شرح الجمل : ١ / ٢٦٠.

وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ القائلين بأن الفاء لا تكون إلا للترتيب ، وأنَّ ما ورد على خلاف ذلك فهو مؤول عندهم ، هم أنفسهم لم يستطيعوا التمسك بهذا القول في جميع الشواهد التي يدل ظاهرها على أنَّ الفاء قد جاءت بمعنى الواو ، وأجازوا ما أجازه غيرهم من أنَّ الفاء قد تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب .

وهنا أريدُ القول إنَّنِي أتفق تمامًا مع ما ذكره أبوحيان من أنَّ العرب لا تقصر الترتيب بالفاء على الزمان فقط بدليل قولهم : " أعلى الناس منزلة في الدنيا الأمير فالوزير" ؛ إذ الفاء في المثال قد رتبت ما بعدها بعد ما قبلها ترتيبًا في المنزلة لا في الزمان ، ولكن مع كون الفاء أفادت الترتيب في المنزلة لا في الزمان، إلا أنَّها في نفس الوقت قد أفادت الترتيب بمدلوله المعنوي ؛ لأنَّ ما بعدها قد جاء بعد ما قبلها حقيقة .

وفي ذات الوقت لا أتفق مع أبي حيان فيما ذكره من أنَّ الترتيب الذكري الذي أفادته الفاء في قولهم :" مُطِرنا مكان كذا فمكان كذا " ، و "عفا مكانُ كذا فمكانُ كذا " ، بمثابة الترتيب في المنزلة الذي أفادته الفاء في قولهم :" أعلى الناس منزلة في الدنيا الأمير فالوزير " ، فيرى أبوحيان أنَّ الجامع بينهما هو أنَّ الفاء في كلٍّ منهما لم تفدْ الترتيب في الزمان ؛ وأرى أنَّ هناك فارقًا بين المثالين في واقع الأمر ؛ لأنَّ الفاء في قولهم : " أعلى الناس منزلة في الدنيا الأمير فالوزير " عندما رتبت ما قبلها وما بعدها بحسب المنزلة أفادت الترتيب بمدلوله المعنوى حقيقة ؛ إذ ما قبلها هو الأول وما بعدها هو الثاني في المنزلة حقيقة، لكن في الفاء في قولهم : " مُطِرنا مكان كذا فمكان كذا " ، و" عفا مكانُ كذا فمكانُ كذا " حين رتبت في الذكر لم يكنْ هذا الترتيب ترتيبًا حقيقيًا ؛ لأنَّ ما بعدها ليس متأخرًا في الحقيقة عمَّا قبلها ، وكلُّ ما في الأمر أنَّ الفاءَ قد جمعت بين هذه الأشياء في الذكر فقط بدون مراعاة لمَنْ كانَ أولًا ومن جاء بعده ، وقد جمعت الفاء بينها لكونها اشتركت في الحكم وهو كونها جميعًا قد أُمْطِرت ، أو كونها جميعًا قد عفت ، وهذا الأمر هو ما يجعلها بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو هي التي

تجمع بين الأشياء التي اشتركت في الحكم بغضِّ النظر عمَّن كان أولًا ومَنْ جاء ثانيًا ؛ لذا أرى أنَّه لا ينبغي لأبي حيان جعل المثالين بمنزلة واحدة .

وبناءً على ما سبق فإنَّني أؤيد الجرمي فيما ذهب إليه من كون الفاء في الأماكن والمطر لا تفيد الترتيب ، وتكون بمعنى الواو ، وما ذكره من الشواهد خيرُ دليلٍ على جوازِ هذا الأمر .

رابعًا :**مذهب بعض الكوفيين** :

ذهب طائفةٌ من الكوفيين إلى أنَّ الفاء لا تفيدُ الترتيبَ مطلقًا بمنزلة الواو(١) ، وقد استدل هؤلاء على صحة مذهبهم بقوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(٢)بعد قوله تعالى (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ)(٣) ، وقالوا إنَّ الفاء لم تفدْ الترتيب في الآية الكريمة ؛ لأنَّ الفعل "يعمل" جاء بصيغة المضارع بعد قوله تعالى (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ)؛ والعمل أنَّما يأتي أولًا ثم يرى صاحبه ثمرته ، وعلى هذا فالفاء لم تفدْ الترتيب وإنَّما جاءت بمعنى الواو .

وقد استدل هؤلاء أيضًا بقول الشاعر(٤) :

---

١ ــ ينظر : شرح الجمل : ١ / ٢٢٩ ، الجنى الداني : ٦٣.

٢ ــ سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨.

٣ ــ سورة الزلزلة آية : ٦.

٤ ــ من الطويل لمتم بن نويرة في ديوانه الذي جمعته / ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الإرشاد ــ بغداد ، طبعة سنة : ١٩٦٨ م : ١١١ برواية : " تُجِيب وتُسْمِعَا " وعلى هذا الرواية فلا شاهد في البيت ، وورد بهذه الرواية أيضًا في المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي بتحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ،/ عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ــ القاهرة ، الطبعة: السادسة ، بدون تاريخ : ٢٦٧ ، وورد برواية : " تجِيب وتَسْمَعَا " في : جمهرة أشعار العرب : ٥٩٨ ، الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري ، دار الحديث ــ القاهرة ، طبعة سنة : ١٤٢٣ هـ : ١ / ٣٢٦ ، ووردت رواية : " تُجِيب فتَسْمَعَا " ــ وهي الرواية التي استشهد بها بعض الكوفيين ــ بلا نسبة في : ضرائر الشعر لابن عصفور بتحقيق/ السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة ، الطبعة: الأولى :١٩٨٠ م : ٢١١ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٤ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٣.

ــ الشاهد : قوله : " تجيب فَسْمَعَا "حيث استدل به بعضُ الكوفيين على أنَّ الفاءَ لا تفيدُ الترتيب ؛ لأنَّ المعنى : " تسمع فتجيب " وإنَّما جاءت بمعنى الواو.

وَأَنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ وَكُنْتَ جَدِيْرًا أنْ تُجِيبَ فَتَسْمَعَا

أي : أنْ تسمع فتجيب ، على هذا فالفاء لم تفدْ الترتيب ، وإنَّما جاءت بمعنى الواو (١) .

كما استدل هؤلاء أيضًا بقول الآخر(٢) :

وَنَعْرُرُ أُنَاسًا عَرَّةً يَكْرَهُونَهَا وَنَحْيَا كِرَامًا أوْ نَمُوتُ فَنُقْتَلُ

أي : أو نقتلُ فنموتُ ، فالفاء لم تُرتب وإنَّما جاءت بمعنى الواو .

ردّ ابن عصفور على القائلين بأنَّ الفاء لا تفيد الترتيب مطلقًا كالواو :

ردَّ ابن عصفور مذهب القائلين بأنَّ الفاء لا تفيدُ الترتيب مطلقًا وتكونُ بمنزلة الواو وحكم على مذهبهم بالفساد قائلًا : " والذي يدل على فساد مذهب هؤلاء أنَّ العربَ تقول : " اختصمَ زيدٌ وعمرٌو " ، ولا تقول : " اختصم زيدٌ فعمرٌو " ، فلو كانت الفاء بمنزلة الواو في جميع المواضع لوجب أنْ يجوز في مثل هذا العطف بالفاء "(٣) .

كما ذكر ناظر الجيش أنَّ ابن عصفور قد خرَّج وأوَّل ما استدل به القائلون بأنَّ الفاء لا تفيد الترتيب مطلقًا في كتابه"شرح الإيضاح": بأنَّ المراد بقوله تعالى(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) : فمَنْ يظهر في صحيفته مثقال ذرة من الخير يره ،كما أنَّ المراد بقول الشاعر : "تُجيب فتسمعَا " : أنْ تُجيب فيتبين من ذلك أنَّك قد سمعتَ دُعائي باسْمك ، والمراد بقول

---

١ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٤.

٢ ــ من الطويل للأخطل في ديوانه بشرح/ مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان، الطبعة : الثانية : ١٤١٤ه ــ ١٩٩٤ م : ٢٣١ ، وبلا نسبة في التذييل والتكميل : ١٣/ ٨٤ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٣.

- اللغة : نَعْرر : نوقعه بهم واقعة منكرة.
- المعنى : نوقع بهؤلاء القوم واقعة يكرهونها وهي القتل ، وعلينا إمَّا العيش بكرامةٍ وإمَّا الموت.
- الشاهد : قوله : " نموت فنقتل " حيث استشهد به بعضُ الكوفيين على الفاءَ لم تفدْ الترتيب ؛ لأنَّ المعنى : نقتل فنموت، وإنَّما جاءت الفاء بمعنى الواو.

٣ ــ شرح الجمل لابن عصفور : ١ / ٢٣١.

الآخر :" نموت فنقتلُ " : أي: نقاربُ أسباب الموت ، وعلى هذا فالفاء قد أفادت الترتيب(١) .

وهنا أودُّ القول أنَّه لم يتسنَ لي الاطلاع على كتاب " شرح الإيضاح " لابن عصفور للتحقق من هذا القول الذي نسبه إليه ناظر الجيش .

كما أودُّ الإشارة إلى أنَّ أبا حيان قد خرَّج الشواهد التي استدل بها القائلون بأنَّ الفاء لا تفيد الترتيب مطلقًا بنفس التخريج الذي نسبه ناظر الجيش لابن عصفور ، لكن أبا حيان لم ينسبه لابن عصفور ، بل ذكره في سياق الردِّ منه على القائلين بأنَّ الفاء لا تفيد الترتيب فقال : " والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ الفاء للترتيب والإيذان أنَّ الثاني بعد الأول ، ويُؤول ما ظاهره خلاف ذلك ..... فأمَّا (فَمَنْ يَعْمَلْ) فالمعنى : فمن يظهر في صحيفة عمله ، ولو لم يقدر ذلك للزم أن يكونَ ما قالوه من تأخر العمل عن الصدور ، وأمَّا " أنْ تُجيبَ فَتَسْمَعَا " فالمعنى: أنْ تُجيب فيتبين من ذلك أنَّك قد سمعتَ دُعائي باسْمك ، وأمَّا " نموتُ فنقتلُ " فالمعنى : نقاربُ أسباب الموت " (٢) .

فسياق كلام أبي حيان السابق يدل على أنَّ التخريج والتأويل لما استدل به بعض الكوفيين إنَّما هو تخريجه وتأويله هو ، وعلى اعتبار صحة ما نسبه ناظر الجيش لابن عصفور ، يكون هذا التخريج والتأويل في الحقيقة إنَّما هو لابن عصفور ، لا لأبي حيان الذي نقل عنه هذا التخريج والتأويل ولم ينسبه إليه .

تعقيب :

وبعد عرض ردِّ ابن عصفور وأبي حيان لمذهب القائلين بأنَّ الفاء لا تفيدُ الترتيب مطلقًا أودُّ القول إنَّني لا أؤيد مذهب القائلين بأنَّ الفاء لا تفيد الترتيب مطلقًا ، كما إنِّني لا أؤيدُ ابن عصفور ــ فيما نُسِب إليه ــ وأبا حيان في التقدير الذي قدراه لمعنى قوله تعالى(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ؛ لأنَّنا لسنا مضطرين إلى هذا التقدير ؛ لأنَّ من المفسرين مَنْ

---

١ ــ ينظر : تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٤٣.

٢ ــ التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٧ بتصرف يسير.

فسَّر هذه الآية الكريمة تفسيرًا يدلُ على كون الفاء للترتيب دون أنْ يُضَمِّنَ الفعل " يعمل " معنى آخر وهو : " يظهر في صحيفة عمله " ، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان الذي قال إنَّ معنى " يعمل " في الآية : أيّ يعمل في الدنيا(١) ، وعلى ما ذكره مقاتل بن سليمان أرى أنَّ المعنى ــ والله أعلم ــ : يصدرُ الناسُ أشتاتًا ليروا أعمالهم فمَنْ يعمل في الدنيا خيرًا يرَ خيرًا في الآخرة ، ومن يعمل في الدنيا شرًّا يرَ شرًّا في الآخرة ، وبذلك تكون الفاء قد أفادت الترتيب ودلت على أنَّ رؤية ثواب العمل في الآخرة تكونُ بعد العملِ في الدنيا .

وقريب ممَّا ذكره مقاتل بن سليمان ما ذكره الطبري من أنَّ الفعل " يعمل" معناه الماضي ، وذكر أنَّه عُبِّر بالمضارع اعتمادًا على فهم السامع ولدلالة الكلام على أنَّ المراد الماضي ؛ وقد علل الطبري لإيثار التعبير بالمضارع دون الماضي بأنَّ في هذا حثًا لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله ، والزجر عن معاصيه(٢) .

وعلى هذا فما ذكره الطبري يدل على أنَّ المراد بـ" يعمل " العمل في الدنيا كما ذكر مقاتل بن سليمان .

وقد تبع مكي بن أبي طالب مقاتل بن سليمان فيما ذكره(٣) .

وبناء على ما سبق يتبين لنا أنَّنا لسنا في حاجة إلى هذا تقدير الفعل " يعمل " بمعنى : " يظهر في صحيفة عمله " ؛ لأنَّ جَعْل الفعل" يعمل" بمعنى الماضي ، وجَعْل المراد منه العمل في الدنيا يخلصنا من لزوم كون العمل متأخرًا عن الصدور .

ومجيء المضارع بمعنى الماضي والعكس قد جاء كثيرًا في القرآن الكريم؛ ولذا فأنا أرى أنَّ هذا أولى من جَعْل قوله تعالى (فمن يعمل) بمعنى : " يظهر في صحيفته ، كما أنَّ جَعْلَ المضاع بمعنى الماضي يجعل الفاء على أصل معناها .

---

١ ــ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٤ / ٧٩١.
٢ ــ ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٤ / ٥٦٢.
٣ ــ ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية : ١٢ / ٨٣٩٤.

وممَّا يؤيد أنَّ الفاء في الآية السابقة قد دلت على الترتيب أنَّنِي لم أجد من المفسرين ــ فيما تهيأ لي الاطلاع عليه ــ من أشار إلى معنى الفاء في الآية الكريمة وذكر أنَّها عاطفة وجاءت لغير الترتيب .

كما أودُّ القول أيضًا إنَّنِي أرى أنَّ الفاءَ قد أفادت الترتيب في قول الشاعر: وَكُنْتَ جَدِيْرًا أنْ تُجِيبَ فتَسْمَعَا ليس لكون المعنى :" أنْ تُجيب فيتبين من ذلك أنَّك قد سمعتَ دُعائي باسْمك " كما ذكر ابن عصفور فيما نُسِب إليه وأبو حيان ؛ بل لأنَّ الرواية في ديوان الشاعر :" تُجِيبِ وَتُسْمِعِا " بالواو والمعنى مع الواو على الترتيب ؛ لأنَّ المعنى أنَّه يُجيب وفي حال إجابته يُسْمِع من حوله إجابته .

وأرى أنَّ الفاء لم تفدْ الترتيب في قول الشاعر :

وَنَحْيَا كِرَامًا أوْ نَمُوتُ فَنُقْتَلُ

وإنَّما اُسْتُعملت بمعنى الواو ، وهذا أمرٌ ظاهرٌ ليس في حاجة إلى تأويل للمعنى لجعل الفاء على أصل وضعها للترتيب .

<u>تعقيب على أقوال النحاة في استعمال الفاء معنى الواو :</u>

وبعد عرض أقوال النحاة في استعمال الفاء بمعنى الواو لغير الترتيب أودُّ القول : إنَّنِي لا أؤيد مذهب البصريين والقائل بأنَّ الفاء لا تستعمل إلا للترتيب ، كما أنَّنِي لا أؤيد مذهب بعض الكوفيين والقائل بأنَّ الفاء لا تفيدُ الترتيب مطلقًا ، وفي ذات الوقت أؤيد القول بأنَّ الفاء قد تستعمل بمعنى الواو في الأماكن والأمطار كما ذكر الجرمي ، وقد تستعمل الفاء بمعنى الواو في مواضع أخرى ولكن بشرط وجود قرينة تدل على أنَّ الفاء لم تفد الترتيب ؛ وذلك لورود الشواهد التي تدل على صحة ذلك ، على الرغم من محاولة المانعين لاستعمال الفاء بمعنى الواو تأويل هذه الشواهد وتخريجها على أوجه أخرى ؛ وذلك لأنَّ هذا التأويل في حقيقة الأمر قد حمَّل المعنى تكلفًا جعله غير مستساغٍ ، وقد كنا في غنى عن هذا التكلف إذا ما جعلنا الفاء بمعنى الواو ؛ خاصة وقد وردت شواهد تؤيد ذلك ، وأكرر هنا ما قلته من قبل :لم يستطع القائلون بأنَّ الفاء لا تكون إلا للترتيب أنفسُهم التمسك بهذا القول في جميع الشواهد التي يدل ظاهرها على أنَّ الفاء قد

أُسْتُعملت بمعنى الواو ، وأجازوا في بعض الشواهد ما أجازه غيرهم من أنَّ الفاء قد تستعمل لغير الترتيب بمعنى الواو ، وما فعله ابنُ عصفور خيرُ دليلٍ على هذا، وهذا إنَّ دل على شيءٍ فإنَّما يدل ويؤكد على جواز استعمال الفاء في بعض المواطن بمعنى الواو .

وأمَّا عن مذهب الفراء والقائل بأنَّ الفاء لا ترتب إذا كان الفعلان قد وقعا معًا كما هو الحال في قولنا : " أعطيتني فأحسنت " ، وقولهم : " شتمني فأساء " ، فأنا أؤيده في أنَّ الفاء في المثالين اللذين ذكرهما لم ترتب لكون الفعلين وقعا معًا ، والترتيب يقتضي المغايرة وأنْ يكونَ أحدُهما سابقًا على الآخر ، وهذا الأمر غير موجودٍ في حال كون الفعلين واقعين معًا ؛ لأنَّ كليهما قد وقعًا معًا في ذات الوقت ، ومن ثَمَّ لا يمكننا القول بأنَّ أحدَهما هو الأول وما بعده هو الثاني .

ولكن من ناحية أُخرى أرى أنَّ الشواهد القرآنية التي حملها الفراء على هذين المثالين وقال إنَّه يجوز فيها التقديم والتأخير لكون الفعلين فيها واقعين معًا وبمعنى واحدٍ ، ليست كهذين المثالين ؛ لأنَّ الفعلين فيها لم يقعا معًا كما أنهما ليسا بمعنى واحدٍ أو كالواحد ، وإنَّما معناهما مختلف وقد بيَّنتُ ذلك من قبل عند الحديث عن مذهب الفراء ، وعلى هذا فما استدل به الفراء من شواهد قرآنية لا تتوافق مع ما ذهب إليه ، وكل ما احتج به من شواهد على صحة مذهبه إنَّما هي شواهد مصنوعة ، ومثل هذه الشواهد لا يمكننا الاكتفاء بها لإقامة القاعدة ، بل لابد من ورود شواهد من كلام العرب الفصحاء تتوافق مع ما قاله ، لكي نقولَ إنَّ ما ذهب إليه الفراء قد وردت على وفقه شواهد من كلام العرب تؤكد صحته .

ومن الشواهد التي أُسْتُعملت فيها الفاء بمعنى الواو لوجود القرينة التي تدل على أنَّ الفاء لم تفدْ الترتيب قول الشاعر : وكُنْتَ جَدِيْرًا أنْ تُجِيبَ فتَسْمَعَا

في رواية " تُجِيبَ فتَسْمَعَا " .

وقول الآخر : وَنَحْيَا كِرَامًا أوْ نَمُوتُ فَنُقْتَلُ .

وقوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) على القول بأنَّ الضمائر تعود لجبريل ــ عليه السلام ــ .

وقوله تعالى(وامْرَأَتُه قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ)(١) فقد ذهب ابن قتيبة والباقولي والسمرقندي والسيوطي(٢) إلى أنَّ الآية على التقديم والتأخير ، والمعنى ــ والله أعلم ــ : فبشرناها بإسحاق فضحكت ، ويؤيد ذلك ما حكاه ابن عباس أنَّ الضحك بعد البشارة بإسحاق ، وعلى هذا تكون الفاء أيضًا قد اُسْتُعمِلت في الآية الكريمة بمعنى الواو .

ما أودُّ قولَه هو: إنَّ استعمال الفاء بمعنى الواو في بعض المواطن إنَّما هو من باب الاتساع في اللغة الذي يدعو إليه الحال ، ويتطلبه المقام ، كما أنَّ القول بجواز استعمال الفاء بمعنى الواو في بعض المواضع و الشواهد يخلصنا من تكلف اللجوء إلى الإضمار في الكثير من الشواهد لكي يستقيم المعنى ، و هذا الإضمار لا يجعل المعنى مستقيما بقدر ما يجعله متكلفًا غيرَ مستساغٍ ؛ لذا أرى أنْ نقف هنا موقفًا واسطًا في استعمال الفاء بمعنى الواو ، فلا نُجيز مطلقًا ولا نمنع مطلقًا ، لكن نقول إذا وجدتْ قرينة تدل على أنَّ الفاء لم تفد الترتيب واُسْتُعملت بمعنى الواو فما المانع من القول بأنَّها قد اُسْتُعملت بمعنى الواو ؟؟ !!

ثانيًا : استعمال الفاء بمعنى " ثُمَّ " للتراخي :

للنحاة في استعمال الفاء بمعنى" ثُمَّ " للتراخي مذهبان :

فذهب جمهور النحاة إلى القول بأنَّ الفاء للترتيب باتصال أيّ : بلا مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وما أوهم خلاف ذلك فهو مؤول عندهم(٣) .

وذهب قوم من النحاة منهم ابن مالك إلى أنَّ " الفاء " قد تستعمل بمعنى" ثُمَّ " للتراخي(٤) .

وقد استدل القائلون بأنَّ الفاء تستعمل بمعنى" ثُمَّ " بعدة شواهد قالوا إنَّ الفاء قد اُسْتُعملت فيها بمعنى" ثُمَّ " للتراخي ومنها :

---

١ ــ سورة هود من الآية :٧١.

٢ ــ ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٣٠، إعراب القرآن للباقولي : ٢ / ٧٢٥ ، بحر العلوم للسمر قندي : ٢ / ١٦١ ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٣ / ٤٠ ، معترك الأقران : ١ / ١٣٠.

٣ ــ ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : ٢ / ٩٩٨.

٤ ــ ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٥٤ ، المغني : ١/ ١٨٤، الهمع : ٣ / ١٩٥.

ــ قوله تعالى(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(١) فقالوا إنَّ الفاءات في قوله تعالى (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) ، وفي قوله تعالى (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا)، وفي قوله (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) قد اُسْتُعملت بمعنى" ثُمَّ " لتراخي معطوفاتها(٢) .

وقد جعل أبو حيان الفاء في قوله تعالى(فَخَلَقْنَا) وقوله تعالى(فَكَسَوْنَا) واقعة موقع " ثُمَّ " لما في معناها من المهلة(٣) .

وأيَّد الفيروزآبادي القول بأنَّ الفاء بمعنى " ثُمَّ " في قوله تعالى(فَخَلَقْنَا) وقوله تعالى(فَكَسَوْنَا) (٤) .

وقد تعددت أقوال السيوطي في معنى الفاء في قوله تعالى(فَخَلَقْنَا) وقوله تعالى(فَكَسَوْنَا) فذكر في كتابه (همع الهوامع) أنَّها بمعنى " ثُمَّ "(٥)، على حين نجده في كتابه(الإتقان في علوم القرآن) يقول إنَّها للتعقيب على بابها(٦) .

وهنا أودُّ القول إنَّني لم أجدْ من المفسرين ــ فيما تهيأ لي من الاطلاع ــ من قال إنَّ الفاء في قوله تعالى(فَخَلَقْنَا) وقوله تعالى(فَكَسَوْنَا) بمعنى" ثُمَّ " .

وقد جعل ابن الحاجب الفاء في الآية الكريمة للتعقيب على أصل معناها فقال : " الفاء فمعناها أنَّ الثاني عقيب الأول من غير مهلة .... والتعقيب فيها على حسب ما يعد في العادة تعقيبا لا على سبيل المضايقة ، فرُبَّ شيئين الثاني عقيب الأول في العادة وإن كان بينهما أزمان كثيرة كقوله تعالى(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

---

١ ــ سورة المؤمنون آية : ١٢ ، ١٣ ، ١٤.

٢ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، المغني : ١ / ١٨٤ ، البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢٩٥ ، مصابيح المغاني : ١٣٢، الهمع : ٣ / ١٩٦ ، دراسات لإسلوب القرآن الكريم القسم الأول : ٢ / ٢٢٧.

٣ ــ ينظر : التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣.

٤ ــ ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٤ /١٥٨.

٥ ــ ينظر : الهمع : ٣ / ١٩٦.

٦ ــ ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٤٧.

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(١) .

تعقيب :

من المعلوم أنَّ الفاء تدل على أَنَّ الثانى يأتي بعد الأَوّل متصلًا به(٢)، وأودُّ الإشارة هنا إلى قول السيرافي الذي تحدث فيه عن معنى الفاء حين قال :" الفاء وُضِعت للاتصال ، ودخول الثاني فما دخل فيه الأول متصلة به كقولك : " دخلت الكوفة فالبصرة " فالثاني بعد الأول وهو متصل به وداخل في معناه فالبصرة داخلة في الدخول مثل الكوفة ، ومعنى ذلك أنَّه لم يقطع سيره الذي دخل به الكوفة حتى وصله باليسر الذي دخل به البصرة ، ولم تحدث بينهما مهلة ولا فتور "(٣) .

فقول السيرافي السابق يدل على أنَّ ما بعد الفاء يأتي متصلًا بما قبلها دون أن يكونَ بينهما مهلة أو فتور ، حتى وإنْ طال زمان حدوث المعطوف عليه كما هو الحال في الدخول من الكوفة إلى البصرة .

وهنا أقول: تبيَّن لنا من قول السيرافي السابق أنَّ معنى التعقيب : أنَّ الثاني يأتي عقيبَ الأول ، ولا يأتي شيءٌ يفصل بين وقوع الأول ووقوع الثاني ، لكن لا مانعَ أنْ يكونَ الزمن الذي يحدثُ فيه المعطوف عليه طويلًا .

وبتطبيق هذا الأمر على الآية الكريمة موضوع الشاهد نجد أنَّ خلق العلقة قد جاء عقيب خلق النطفة ، وخلق المضغة قد أتى عقيب خلق العلقة مباشرة ، وخلق العظام قد جاء عقيب خلق المضغة ، وكسوة العظام باللحم قد جاء عقيب خلق العظام ، فكل مرحلة من مراحل خلق الجنين الواردة في الآية قد جاءت عقيب ما قبلها مباشرة ، ولم يكن بين كلِّ مرحلة وتاليتها انقطاع أو مهلة

١ــ الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب بتحقيق الدكتور / موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني ــ بغداد ، بدون تاريخ : ٢ / ٢٠٦ بتصرفٍ يسير.

٢ــ ينظر : المقتضب : ١ / ١٠ ، الأصول : ٢ / ٥٥ ، معاني الحروف للرماني :٤٣ ، شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢ / ٣٣٠.

٣ــ شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢ / ٣٣٠ بتصرف يسير.

زمانية حدث فيها شيءٌ جعلهما غير متعاقبتين ، وعلى هذا فالمعطوف في الآية الكريمة قد جاء عقيب المعطوف عليه ، لكن المدة التي حدث فيها المعطوف عليه هي التي طالت بعض الوقت ، وهذا لا يمنع من تعاقب المعطوف بعد المعطوف عليه .

ولذا أرى أنَّ الفاء في الآية الكريمة السابقة قد أفادت التعقيب الذي وُضِعت له في أصل معناها ، وليست للتراخي بمعنى " ثُمَّ " كما أجاز البعضُ .

ــ كما استدل القائلون بأنَّ " الفاء " تأتي بمعنى " ثُمَّ " للتراخي بقوله تعالى(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً)(١) فقالوا إنَّ " الفاء " في قوله تعالى" فتصبح" بمعنى" ثُمَّ " ؛ لأن الأخضرار لا يكون عقيب المطر، بل يقع بينهما مهلة وتراخٍ(٢) .

وقد أجاز الرضي أنْ تكون الفاء في الآية السابقة على أصل معناها للتعقيب ، وعلل ذلك بأنَّ اخضرار الأرض يبتدئ بعد

نزول المطر، لكن يتم في مدة ومهلة ،كما أجاز أيضًا أنْ تكون الفاء فيها بمعنى" ثُمَّ" ؛ وعلل ذلك بالنظرِ إلى تمام الاخضرار(٣).

ولم يرتضِ ابن الحاجب القول بأنَّ الفاء في الآية الكريمة السابقة قد جاءت مع المهلة فقال : " هذه الفاء فاء السببية ، وفاء السببية لا يشترط فيها ذلك ، وإنَّما شرطها أنْ يكونَ ما بعدها مسببًا عن الأول ، ثم لو سُلِم ههنا أنَّها لمجرد العطف لم يلزم ما ذكره من نفي المهلة ، فإنَّ ذلك إنَّما يكونُ على حسب ما يعده الناس متعقِّبًا ، والآخضرار بعد الإنزال يعده الناس متعقِّبًا ، ولا يُعد مثل ذلك فيه مهلة ، ألا ترى إلى صحة قولك : تزوج زيدٌ فولِد له ولدٌ ، وإنْ كان ذلك لا يكون إلا بعد مهلة في الوجود "(٤) .

---

١ ــ سورة الحج من الآية : ٦٣.

٢ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٣ ، الجنى الداني : ٦٢ ، المغني :١ / ١٨٤، المساعد : ٢ / ٤٤٨، شفاء العليل: ٧٨١/٢ ، البرهان في علوم القرآن: ٢٩٥/٤ ، شرح الدماميني على المغني : ٢ / ٨٤.

٣ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤١٣.

٤ ــ ينظر : أمالي ابن الحاجب لأبي عمرو عثمان بن الحاجب بتحقيق د/ فخر صالح قداره ، طبعة : دار عمَّار عمّان ــ الأردن ، دار الجيل بيروت ــ لبنان ، بدون تاريخ : ١ / ١٢٣.

وقد جعل السيوطي الفاء في الآية الكريمة السابقة للتعقيب على أصل معناها(١) .

وقد ردَّ الدماميني على ما ذكره ابن الحاجب من أنَّ الفاء السببية لا يشترط فيها التعقيب فقال :" الحق أنَّ الأصل في الفاء السببية استلزام التعقيب ؛ وذلك لأنَّ السبب التام يستعقب مسببه من غير تراخٍ ، ولو كانت الفاء لا تدل ذلك لم يجز دخولها في الجزاء ، كما لم يجز دخول " ثُمَّ "والواو"(٢) .

وهنا أودُّ القول إنَّ القائلين من النحاة بأنَّ " الفاء " في الآية بمعنى " ثُمَّ " قد حملوا الفعل " تصبح " على أنَّ المراد به " تصير" .

ولكنَّ المفسرين عندما تحدثوا عن هذه الآية ذكروا أنَّ قوله " فتصبح " قد يكون المراد به صباح ليلة المطر (٣)، وقد يكون المراد به " تصير"(٤) ، وذكروا أنَّه على القول بأنَّ المراد بـ " تصبح " صباح ليلة المطر فإنَّ الاخضرار الذي يكون صباح ليلة المطر إنَّما يوجد في بعض بلاد الحجاز كمكة وتهامة فقط كما ذكر عِكرمة ، وأمَّا في سائر البلاد فإنَّه يتأخر عن نزول المطر(٥).

وأمَّا على القول بأنَّ " تصبح " بمعنى" تصير" فالاخضرار لا يكون في الصباح وإنَّما يتأخر عن نزول المطر ، وعلى هذا القول فالفاء في الآية الكريمة لم تفدْ التعقيب ، ولذا حاول بعض المفسرين تخريج معنى الآية بحيث تكون فيها الفاء للتعقيب على أصل معناها :

ــ فذهب الزمخشري إلى أنَّ المراد من معنى الآية : استعجالها إثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة(٦) .

---

١ ــ ينظر : الهمع : ٣ / ١٩٢ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٤٧.

٢ ــ شرح الدماميني على المغني : ٢ / ٨٤.

٣ ــ ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية : ٧ / ٤٩٢٥ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٤٥.

٤ ــ ينظر : بحر العلوم : ٢ / ٤٦٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣١ ، التسهيل لعلوم التنزيل :٢ / ٤٥ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٥ / ٢٩٦.

٥ ــ ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣١ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٩٢.

٦ ــ ينظر : الكشاف : ٤ / ١٣١.

ــ وقال أبو حيان(١):" إذا كان الاخضرار متأخرًا عن إنزال المطر فَثَمَّ جمل محذوفة والتقدير: فتهتز وتربو فتصبح مخضرة ، ويبين ذلك قوله تعالى (فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ)(٢) .

ــ وذكر ابن كثير أنَّ الفاء ههنا للتعقيب ؛ لأنَّ التعقيب في كلِّ شيءٍ بحسبه(٣) .

وبعد عرض الأقوال في معنى الفاء في الآية الكريمة السابقة أقول :

ما ذكره ابن الحاجب من أنَّ التعقيبَ إنَّما يكونُ على حسب ما يعده الناس متعقِّبًا فيه نظرٌ ؛ لأنَّ النحاة قالوا إنَّ المراد بالتعقيب اتصال المعطوف بالمعطوف عليه بلا مهلة ، ولم يقولوا إنَّ التعقيب إنَّما يكون على حسب ما يعده الناس متعقِّبًا ، لذا أرى أنَّ الفاء في قوله تعالى" فتصبح" ليس للتعقيب وإنَّما هي بمعنى" ثُمَّ " ؛ لأنَّ المعطوف لم يتصل بالمعطوف عليه بل قد فُصل بينهما بأمر آخر وهو انتفاخ الأرض وارتفاعها قبل أنْ تنبتَ وهو المقصود بقوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)(٤)؛ لأن النبت إذا همَّ همَّ أنْ يظهرَ ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات (٥)، ومن ثَمَّ يرى الناسُ الأرضَ وقد بدأت في الاخضرار ، وبذلك لا يكون اخضرار الأرض متعقِّبًا لنزول المطر ، بل بين هذا وذاك أمر ثالث يمنع كونهما متعاقبين ، لذا أرى أنَّ الفاء في الآية ليست للتعقيب وإنَّما هي بمعنى " ثُمَّ " للتراخي .

١ــ ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٣٣.

٢ــ سورة فصلت من الآية : ٣٩.

٣ــ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير بتحقيق / سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٠ه ــ ١٩٩٩م : ٥ / ٤٥٠.

٤ــ سورة فصلت من الآية : ٣٩.

٥ــ ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٣٨٨ ، بحر العلوم : ٣ / ٢٢٨ ، الكشاف : ٤ / ٢٠١ ، مفاتيح مفاتيح الغيب : ٢٧ /٥٦٧.

ومن ناحية أخرى فإنَّني أرى أنَّ قولهم :" تزوج زيدٌ فولِد له ولدٌ " والذي تناقلته العديد من كتب النحو كشاهد على أن التعقيب الذي تفيده الفاء إنَّما يكون في كل شيءٍ بحسبه فيه نظرٌ ، و أرى أنَّ الفاء في هذا القول بمعنى" ثُمَّ " للتراخي ؛ وذلك لأنَّ المعطوف لم يتصل بالمعطوف عليه اتصالًا مباشرًا ؛ إذ قد فُصِل بينهما بأمر آخر وهو الحَمْل ؛ لذا صار هناك انقطاعٌ بين الزواج وبين الولادة فلا تُعد الفاء للتعقيب ، نعم كان يصح المثال إذ قيل : " تزوج زيد فحملت امرأته فوُلِد له ولدٌ " وحينئذٍ تكونُ الفاء في " فوُلِد " للتعقيب ؛ لأنَّ الحَمْل متصلٌ بالولادة وإنْ كانت مدته طويلة .

وأرى أن المثال الذي ينبغي أنْ يُعد شاهدًا على أنَّ التعقيب إنَّما يكون في شيءٍ بحسبه هو قولهم : " دخلت الكوفة فالبصرة " فالفاء في هذا المثال للتعقيب وإنْ كان دخوله للبصرة بعد دخوله للكوفة يستغرق مدة زمانية حتى يدخل الكوفة، إلا أنَّه لمالم يقطع سيره الذي دخل به الكوفة حتى وصله باليسر الذي دخل به البصرة ، ولم يقع اشتغالٌ بينهما بأمر أجنبي عنهما كان المعطوف والمعطوف عليه متعاقبين .

وأمَّا عمَّا ذكره الرضي من أنَّ " الفاء " في الآية الكريمة يجوز فيها أنْ تكونَ للتعقيب ، ويجوز فيها أنْ تكونَ بمعنى" ثُمَّ " فأقول : لا يتأتي أنْ يجوز في الفاء في الآية السابقة الأمران معًا ؛ لأنَّها إمَّا أن تكون للتعقيب أو للتراخي ، أمَّا أن يجيز فيها الرضي التعقيب والتراخي معًا ، ويجعل كلًّا منهما باعتبار مختلف عن الآخر فأرى أنَّ فيما أجازه نظرًا .

وأمَّا عمَّا ذكره القائلون بأنَّ الفعل" تصبح " إذا كان المقصود به صباح ليلة المطر ، فالاخضرار إنَّما يوجد في مكة وتهامة فقط ، وأمَّا في سائر البلاد فإنَّه يتأخر عن نزول المطر فهؤلاء قد أقروا في مضمون كلامهم بأنَّ ما بعد الفاء وهو الاخضرار يتأخر عمَّا قبلها وهو نزول المطر في سائر البلاد باستثناء مكة وتهامة ، وطالما أنَّ ما بعد الفاء يتأخر عمَّا قبلها فهذا يعني أنَّها لم تفدْ التعقيب ، وإنَّما أفادت التراخي ، ومن ثَمَّ فهي في هذه الحالة بمعنى" ثُمَّ " .

وأمَّا عن الأوجه التي ذكرها القائلون بأنَّ الفعل " تصبح " معناه " تصـــير" لجعل الفاء على أصل معناها للتعقيب فأقول :

ما ذكره الزمخشري من أنَّ هناك استعجالًا من الأرض إثر نزول المـــاء ، فالجواب عنه : أنَّه من الممكن أنَّ الأرض في استعجال لنزول الماء ، لكن مع هذا الاستعجال لابد للأمور أنْ تأخذَ مسارها الطبيعي الذي حدده الله لها وذكـــره فـــي قوله تعالى (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) فالماء ينزل من السماء ويعقبه انتفاخ الأرض وارتفاعها قبل أنْ تنبتَ ، ويعقب هذا إنبات الأرض واخضرارها ، وعلى هذا فالاخضرار لا يحـــدث على استعجال بعد نزول المطر وإنَّما يتأخر عنه ، ويفصل بينهما أمر آخر ، ولذا أرى أنَّ الفاء في الآية السابقة للتراخي بمعنى " ثُمَّ " ؛ لأنَّ المعطوف لـــم يتصـــل بالمعطوف عليه ووفُصِل بينهما بأمر آخر .

وأمَّا عما ذكره أبوحيان من أنَّ في الكلام محذوفًا وأنَّ معنـــى الآيـــة : أنَّ المطر ينزل فتهتز الأرض وتربو فتصبح مخضرة " ، وجعلـــه المعطـــوف عليـــه محذوفًا ، فأقول : الذي دفع أباحيان إلى تقدير محذوف في الآية الكريمة هو أنَّـــه يريدُ أنْ تبقى الفاء على أصل وضعها مفيدة للتعقيب ، وأرى أنَّه ليس هنـــاك داعٍ لمثل هذا التكلف ، والأولى من هذا القول بأنَّ الفاء في الآية الكريمـــة الســـابقة بمعنى" ثُمَّ " ؛ خاصة وقد أجاز أبوحيان استعمال الفاء بمعنى" ثُمَّ " فـــي مواضـــع أخرى(١) ، فما المانع من أنْ يجيزه هنا أيضًا .

وأمَّا عمَّا ذكره ابن كثير من أنَّ الفاء على بابها للتعقيب ؛ لأنَّ التعقيب في كل ِّشيءٍ بحسبه فأرى أنَّ هذا القولَ فيه نظرٌ ؛ لأنَّه قد تبيَّن لنا أنَّ المعطوف في الآية الكريمة لم يتصلْ بالمعطوف عليه ، بل قد فُصل بينهما بأمر آخر وهو انتفاخ الأرض وارتفاعها قبل أنْ تنبتَ ؛ لذا أرى أنَّ الفاء في الآيـــة الكريمـــة ليســـت للتعقيب وإنَّما هي بمعنى " ثُمَّ " للتراخي .

---

١ ــ ينظر : ص : ١٥٦ من هذا البحث.

ــ وقد استدل القائلون بأنَّ" الفاء" تأتي بمعنى" ثُمَّ " للتراخي بقوله تعالى(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)(١) وقالوا إنَّ الفاء في قوله تعالى" فجعله" بمعنى" ثُمَّ " ؛ لأنَّ إخراج المرعى لا يعقبه جعله غثاء أحوى(٢) ، بل بين الغثاء والإخراج وسائط (٣) .

وقد أجاز الزركشي وابن هشام والأشموني أنْ تكونَ الفاء في الآية الكريمة السابقة بمعنى " ثُمَّ "(٤) .

ولم يرتضِ البعضُ القول بأنَّ " الفاء" في الآية بمعنى" ثُمَّ " وقالوا إنَّ المعطوف عليه محذوف وتقديره :فمضت مدة فجعله غثاءً(٥) .

تعقيب :

وبعد عرض أقوال النحاة في معنى الفاء في الآية الكريمة أقول : إنَّني أؤيد القول بأنَّ الفاء فيها بمعنى" ثُمَّ " للتراخي ؛ وذلك لأنَّ المعطوف لم يعقب المعطوف عليه بل قد فُصِل بينهما بأمور كثيرة ؛ لأنَّ المرعي بعد إخراجه يمر بمراحل إلى أنْ يصيرَ غثاءً أحوى ؛ فالمرعى بعد إخراجه يكونُ أخضرَ ثُمَّ يصفر ثم ييبس ويجف ويصيبه المطر فيسوَّد ويتحطم ويحمله السيل كما ذكر المفسرون(٦) ، وقد بيَّن الله تعالى المراحل المختلفة التي يمر بها النبات بعد خروجه في قوله تعالى (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

---

١ ــ سورة الأعلى : آية :٤ ، ٥.

٢ : أي : يابسًا أسود. ينظر : لسان العرب : ١٤ / ٢٠٧ ، تاج العروس : ٣٧ / ٤٩٧.

٣ ــ ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢٩٥ ، التصريح : ٢ / ١٦١ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الأول : ٢ / ٢٢٧.

٤ــ ينظر : : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٢٩٥ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٢٥ ، شرح قطر الندى : ٣٠٣ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٥.

٥ــ ينظر : أوضح المسالك : ٣ / ٣٢٥ ، شرح قطر الندى : ٣٠٣ ، شرح الأشموني : ٢ / ٣٦٥ ، التصريح : ٢ / ١٦١ ، حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٣ / ١٣٨.

٦ــ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : ٤ / ٤١٧ ، البحر المحيط : ١٠ / ٤٥٦ ، الجواهر الحسان : ٥ / ٥٧٧.

يَجْعَلُهُ حُطَامًا)(١) و أيضًا في قوله تعالى (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا)(٢) فالآيتان الكريمتان قد دلتا على أنَّ هناك مرحلةً بين إخراج البنات وبين صيرورته حطامًا وهي التي أشار إليها قوله تعالى (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) ؛ ومن ثَمَّ فالمعطوف في قوله تعالى(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)لم يعقب المعطوف عليه ، بل فُصِل بينهما بأمورٍ أخرى ؛ لذا أؤيد القول بأنَّ الفاءفي هذه الآية الكريمة ليست للتعقيب وإنَّما هي بمعنى" ثُمَّ ".

و أمَّا عمَّا لجأ إليه المانعون لجعل الفاء بمعنى" ثُمَّ " في الآية الكريمة السابقة من تقدير معطوف عليه محذوف فأرى أنَّ تقديرَ المحذوف أمرٌ متكلفٌ لسنا في حاجة إليه ، وأرى أيضًا أنَّ اللجوءَ إلى تقدير محذوف هو أيسر السبل التي يسلكها مَنْ لا يجدُ حجةً قويةً لإثبات صحة ما يراه ، وإذا ما نظرنا إلى ما ذكروه من التقدير وهو قولهم : " أَخْرَجَ الْمَرْعَى فمضت مدة فجعله غثاءً " نجد أنَّ هذا التقدير لا يجعل الفاء في قوله تعالى (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) مفيدة للتعقيب ؛ لأنَّ جعلَ المرعى غثاءً أحوى لا يعقب المدة التي مضت عقب الإخراج ، وإنَّما يعقب ما يليها من المراحل التي يمر بها المرعى إلى أنْ يصيرَ غثاءً أحوى ، وعلى هذا يبقى هناك انقطاعٌ ومهلة بين مضي المدة وبين جعل النبات غثاءً أحوى ، وبناء على هذا لا تكون الفاء في قوله (فَجَعَلَهُ)على تقديرهم مفيدة للتعقيب ، وإنَّما هي أيضًا بمعنى " ثُمَّ " للتراخي .

ومن الشواهد التي استدل القائلون باستعمال" الفاء " بمعنى" ثُمَّ " للتراخي قول الشاعر(٣) :

---

١ ــ سورة الزمر من الآية : ٢١.

٢ ــ سورة : الحديد من الآية : ٢٠.

٣ ــ من الطويل للفرزدق في ديوانه بشرح / علي فاعور ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الأول : ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م : ٤٧١ ، شرح عمدة الحافظ : ٢ / ٦١٢ ، وبلا نسبة في : شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٣٧

والشاهد قوله : " فَعُدْتَ غدًا " حيث استدل بها القائلون بجواز استعمال الفاء بمعنى " ثُمَّ " و قالوا : إنَّ الفاء في قوله " فعدت" قد أفادت التراخي واُستُعملت بمعنى " ثُمَّ ".

إِذا مِسْمَعٌ أَعْطَتْكَ يَوْمًا يَمِينُهُ فَعُدْتَ غَدًا عَادَتْ عَلَيْكَ شِمَالُهَا

فقد وقعت الفاء في قوله " فعدت " موقع " ثُمَّ "(١) .

وهنا أودَّ القول :إنَّه على الرغم من أنَّ المانعين لاستعمال الفاء بمعنى " ثُمَّ " قد حاولوا تخريج الشواهد القرآنية السابقة التي استدل بها القائلون بأنَّ الفاء قد تستعمل بمعنى " ثُمَّ " على أوجه تجعل الفاء على أصل وضعها للتعقيب ، إلا أنَّنِي لم أجد ــ فيما تيسر لي من الاطلاع ــ من ردَّ القول بأنَّ الفاء في البيت السابق بمعنى " ثُمَّ " ؛ ولعل السبب في هذا هو : أنَّ كون الفاء في البيت بمعنى " ثُمَّ " أمرٌ ظاهر ظهورًا جليًا ؛ وذلك لأنَّ ما بعد الفاء لم يتصل بما قبلها ، بل كان بينهما مهلةٌ وانقطاعٌ ، فدل هذا على أنَّ الفاء لم تفدْ الترتيب والتعقيب وإنَّما أفادت الترتيب و التراخي وجاءت بمعنى" ثُمَّ " .

تعقيب :

وبعد عرض الشواهد التي استدل بها القائلون بأنَّ الفاء قد تستعمل بمعنى" ثُمَّ " للتراخي ، وذكر ما رد به المانعون لاستعمال الفاء بمعنى " ثُمَّ " على هذه الشواهد أقول : إنَّني أؤيد القول بجواز استعمال الفاء بمعنى " ثُمَّ " في بعض المواضع ؛ وذلك لوجود الشواهد التي تؤيد هذا الاستعمال والتي يدل ظاهرها دلالة واضحة على أنَّ الفاء فيها قد اُستُعملت للتراخي بمعنى " ثُمَّ " .

١ ــ ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٣٥٤ ، شرح عمدة الحافظ : ٢ / ٦١٢ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ٨٣ ، تمهيد القواعد : ٧ / ٣٤٣٧.

المبحث الخامس : استعمال " بلْ " بمعنى " لكنْ " و " لكنْ " بمعنى " بلْ "

من حروف العطف التي تفيد مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في اللفظ فقط " لكنْ " و" بلْ " ، ولكلٍّ منهما معنى يختص به :

فمعنى" لكِنْ " الاستدراك(١) ، والاستدراك قيل في معناه : إنَّه تعقيب الكلام برفع ما يتوهم أنَّه داخلٌ فيما قبله(٢) ، وقيل : هو مخالفة ما بعد " لكنْ " لما قبلها(٣) ، ولابد مع " لكنْ " من مغايرة ما قبلها لما بعدها نفيًا وإثباتًا من حيث المعنى لا من حيثُ اللفظ نحو :" ما جاءني زيدٌ لكنْ عمرٌو " فعدم مجيء زيدٍ باقٍ على حاله لم يكن الحكمُ به غلطًا ، و إنَّما جئتَ بـ " لكنْ " دفعًا لتوهم المخاطب أنَّ " عَمْرًا " لم يجيْ كـ " زيد "(٤) .

وأمَّا عن معنى " بلْ " فللنحاة في تحديد معنى" بلْ " العاطفة قولان :

<u>القول الأول</u> : ما ذهب إليه سيبويه وابن السراج و الزجاجي والسيرافي وابن جني والعكبري وابن يعيش والرضي وابن مالك في كتابه (شرح عمدة الحافظ) من أنَّ " بلْ " العاطفة معناها الإضراب عن الأول وجعله في حكم المسكوت عنه وإثبات الحكم للثاني ، سواء أكان ذلك الحكم إيجابًا أو سلبًا فنقول في الإيجاب : " قام زيدٌ بل عمرو " ، وتقول في النفي : " ما قام زيدٌ بل عمرو " كأنك أردتَ الإخبار عن " عمرو " فغلطتَ وسبق لسانك إلى ذكر " زيد " ، فأتيت بـ " بلْ " مضربًا عن" زيدٍ " ومثبتًا ذلك الحكم لـ " عمرو " (٥) .

---

١ ــ ينظر : المقتضب : ١ / ١٢ ، الأصول : ٢ / ٥٧ ، حروف المعاني والصفات : ١٥ ، اللمع : ٩٣ ، اللمحة في شرح اللملحة : ٢ / ٧٠٠.

٢ ــ ينظر : شرح المفصل : ٨ / ١٠٦.

٣ ــ ينظر : اللباب : ١ / ٤٢٧.

٤ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٤٧ ، شرح ابن القوَّاس على ألفية ابن معط : ١ / ٧٨٤.

٥ ــ ينظر : الكتاب : ١ : ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، الأصول : ٢ / ٥٧ ، حروف المعاني والصفات : ١٤ ، شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢ / ٣٢٦ ، اللمع : ٩٣ ، اللباب : ١ / ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، شرح المفصل : ٨ / ١٠٥ ، شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٤٥، ٤٤٦ ، شرح عمدة الحافظ : ٢ / ٦٣٠.

وعن معنى " بل " يقول سيبويه : " أما " بلْ " فلترك شيءٍ من الكلام وأخذٍ في غيره"(١) .

وقال في موضع آخر : وتجيء " بلْ " على النسيان والغلط فيتدارك كلامه"(٢)

وقال الرضي : " ومعنى الإضراب : سلب الحكم عمَّا قبلها حتى كأنَّه مسكوت عنه ، ولم يُحكم عليه بشيء ، وجعله لما بعدها ، ففي قولك : " ما جاءني زيدٌ بل عمرٌو " أفادت " بلْ " أنَّ الحكم على زيد بعدم المجيء كالمسكوت عنه ، فيحتمل أنْ يصح الحكم فيكون " زيدٌ " غيرَ جاءٍ ، ويحتمل ألَّا يصح فيكون قد جاءك ،كما كان الحكم على" زيدٍ "بالمجيء في : " جاءني زيدٌ بلْ عمرو" احتمل أنْ يكون صحيحًا وألَّا يكون" (٣) .

وعلى ما ذكره هؤلاء النحاة عن معنى" بلْ " نجد أنَّ ما أُسْنِد للمعطوف عليه بـ "بل " سواء سبقت بنفي أو نهي أو إيجاب غير محقق الحصول ، فيحتمل أنْ يكون قد وقع منه ، ويحتمل أنْ يكونْ غيرَ واقع منه .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ السيرافي وابن يعيش والرضي وابن مالك وأبا حيانا وابن هشام وناظر الجيش والأشموني والشيخ خالد والسيوطي قد نسبوا للمبرد القول بأنّ" بلْ" لا يتكلم بها إلا غالط ، وهي بعد الإثبات والنفي والنهي تكون ناقلةً حكم الإثبات والنفي والنهي لما بعدها فإذا قلت : " رأيتُ زيدًا بلْ عمْرًا " ، إنَّما أردتَ أنْ تقولَ : " رأيت عَمْرًا " فغلطت فتدركت بـ" بل " ، وكذلك في النفي فإذا قلت : " ما رأيت زيدًا بل عمْرًا " إنَّما أردتَ أنْ تقولَ : " ما رأيت عَمْرًا " فغلطت فأضربت عن النفي الأول واعتمدت في النفي على الثاني(٤) .

---

١ ــ الكتاب : ٤ / ٢٢٣.

٢ ــ الكتاب : ١ / ٤٣٤.

٣ ــ شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٤٦.

٤ ــ ينظر : شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢ / ٣٢٧ ، شرح المفصل : ٨ / ١٠٥ ، شرح الرضي على الكافية : ٤ / ٤٤٦ ، شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٣٤ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٥٠ ، المغني : ١ / ١٣٠ ، ١٣١ ، التصريح : ٢ / ١٧٧ ، الهمع : ٣ / ٢١١.

وهنا أودُّ القول إنَّه برجوعي لكتاب (المقتضب) للمبرد وجدته يتحدث عن معنى" بلْ " قائلًا : " بلْ " معناها الإضراب عن الأول والإثبات للثاني نحو قولك : " ضربتُ زيدًا بل عَمْرًا " ، و" جاءني عبدالله بل أخوه ، و" ما جاءني رجلٌ بل امرأة"(١) .

وبإمعان النظر في قول المبرد السابق نجده يشير إلى أنَّ " بلْ " معناها عنده الإضراب عن الأول وإثبات الحكم للثاني ، سواء سبقت بإثبات أو نفي، وليس في قول المبرد السابق إشارةٌ من قريب ولا بعيد إلى هذا القول الذي نسبه إليه النحاة .

وأيضًا أودُّ الإشارة إلى أنَّ المبرد عندما تحدث في كتابه (المقتضب) عن معنى" بل " لم يخرج عن المعنى الذي أقره سيبويه لـ " بل " ، ومن ثَمَّ فإنَّني أرى أنَّ ما نسبه النحاة للمبرد فيه نظرٌ ، إلا أنْ يكونَ المبرد قد صرَّح بهذا القول الذي نُسِب إليه في موضع آخر غير كتابه (المقتضب) .

القول الثاني في معنى " بل " :

وهو ما ذهب إليه ابن مالك في(الألفية) وكتاب (شرح الكافية الشافية) وكتاب (شرح التسهيل) وتبعه عليه ابن الصائغ وأبوحيان والمرادي وابن هشام والأشموني والشيخ خالد والسيوطي من أنَّ " بلْ " معناها الإضراب وحالها مختلف فيه : فإنْ وقع بعدها مفردٌ وليس قبله نفيٌ أو نهيٌ فمعناها : سلب الحكم عمَّا قبلها حتى كأنه مسكوت عنه ، ولم يحكم عليه بشيء ، وجعله لما بعدها ، نحو : " جاء زيد بل عمرو"، والمعنى: بل جاء عمرو ، فإن كان قبل المفرد نفى أو نهي آذنت بتقرير حكمه ، وجعلتْ ضده لما بعدها ففي قولنا : " ما قام زيدٌ بل عمرٌو " فقد قررت نفي القيام عن" زيدٍ " وأثبتت القيام لعمرو، وفي نحو قولنا :" لا تضربْ بشرًا بلْ خالدًا " فقد قررت النهي عن ضرب " بشرٍ" وأمرت بضرب" خالدٍ"(٢).

---

١ ــ المقتضب : ١ / ١٢.

٢ــ شرح الكافية الشافية : ٣ / ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ألفية ابن مالك ، طبعة دار التعاون ، بدون تاريخ : ٤٨ ، شرح التسهيل : ٣ / ٣٦٨ ، اللمحة في شرح الملحة : ٢ / ٦٩٩، الارتشاف : ٤ / ٩٩٥ ، الجنى الداني : ٢٣٧، المغني : ١ / ١٣٠ ، أوضح المسالك : ٣/ ٣٤٧ ، شرح الأشموني : ٢/: ٣٩٠، التصريح : ٢ / ١٧٧ ، الهمع : ٢ / ٢١١.

وعلى هذا فأصحاب هذا القول الثاني يتفقون مع أصحاب القول الأول في أنَّ معنى" بلْ " إذا سبقت بإيجاب هو : سلب الحكم عمَّا قبلها حتى كأنه مسكوتٌ عنه ، ولم يحكم عليه بشيء ، وجعله لما بعدها .

ولكنهم يختلفون معهم في معنى" بلْ " حال سبقها بنفي أو نهي :

فأصحاب القول الأول يرون أنَّ" بلْ " معناها أيضًا سلب الحكم عن المعطوف عليه وجعله مسكوتًا عنه ، مع احتمال كون ما أُسْنِد إليه قد وقع منه بالفعل ، ويحتمل أيضًا أنْ يكونْ غير واقع منه .

بينما يرى أصحاب القول الثاني أنَّه في حال سبقها بنفي أو نهي فمعناها تقرير حكم ما قبلها من نفي أو نهي وإثبات نقيضه لما بعدها ، وعلى هذا فالمعطوف عليه قد حُكِم عليه بشيءٍ سواء بالنفي أو النهي ، وليس الأمر كذلك عند أصحاب القول الأول فالمعطوف عليه عندهم لم يُحْكَمْ عليه بشيءٍ ، بل هو مسكوت عنه .

ومن النحاة مَنْ ذكر أنَّ " بل " تستعمل بمعنى " لكنْ " ، كما تستعمل " لكنْ " بمعنى " بلْ "

أولًا :استعمال " بل " بمعنى" لكنْ " :

ذهب ابن القوَّاس والشيخ مصطفى الغلاييني إلى أنَّ "بلْ " إنْ وقعت بعد النفي والنهي تكون بمعنى" لكنْ " للاستدراك ؛ وذلك لمخالفة ما بعدها لما قبلها(١) .

وهنا أودُّ القول إنَّ ما ذهب إليه ابن القواس والشيخ مصطفى الغلاييني من جعْل " بلْ " بعد النفي والنهي بمعنى" لكِنْ " لكون ما قبلها مخالفًا لما بعدها ، إنَّما يتأتى على رأي مَنْ جعل معنى" بلْ" بعد النفي والنهي لتقرير حكم ما قبلها وإثبات نقيضه لما بعدها .

وإمَّا على رأي مَنْ قال إنَّ معنى" بلْ " بعد النفي أو النهي الإضراب عمَّا قبلها وعدم الحكم عليه بشيءٍ وجعله في حكم المسكوت عليه ، فلا يتأتي على

١ــ ينظر : شرح ابن القوَّاس على ألفية ابن معط : ١ / ٧٨٦ ، جامع الدروس العربية : ٣ / ٢٤٧.

هذا القول جعل " بل " بمعنى" لكِنْ " ؛ لعدم توافقهما في الدلالة ؛ لأنَّ ما قبل" بلْ " عند أصحاب هذا القول ليس مخالفًا لما بعدها .

ثانيًا : **استعمال" لكنْ " بمعنى" بلْ "** :

تستعمل " لكِنْ " بمعنى" بلْ " في النفي والنهي ، كما تستعمل بمعناها في الإيجاب :

أولًا : استعمال " لكِنْ " بمعنى" بلْ " في النفي والنهي :

ذهب ابن مالك إلى أنَّ" لكِنْ" العاطفة قبل المفرد في نفي أو نهي كـ " بلْ " في المعنى ، وذكر أنَّه لو جُعِلت "بلْ " في نحو قولنا : " ما وجدتني عاذلًا لكنْ عاذرًا " ، و" لا تكنْ خاذلًا لكِنْ ناصرًا " بدل " لكنْ " لم يختلف المعنى(١) .

وما ذكره ابنُ مالك يدل على أنَّ " لكِنْ " و" بلْ " عنده في هذا الموضع بمعنى واحدٍ ، وأن معنى المثال متحدٌ مع أيُّهما استعملت .

وهنا أودُّ القول إنَّ ما ذكره ابن مالك من جعل" لكِنْ " في هذا الموضع بمعنى " بل " لا يتأتي إلا على ما ذهب إليه في (شرح الكافية) و (الألفية) و (شرح التسهيل) من أنَّ " بل" العاطفة إذا سبقت بنفي أو نهي فهي لتقرير حكم ما قبلها وجعل نقيضه لما بعدها ، أيّ أنَّ ما قبل " بلْ " يكون مخالفًا لما بعدها ، وهو نفس المعنى الذي تدل عليه " لكِنْ " لذا أجاز جعل" لكِنْ " بمعنى" بلْ " .

ثانيًا :استعمال" لكِنْ "العاطفة للمفرد بعد الإيجاب بمعنى" بل "

اختلف النحاة في جواز استعمال " لكنْ " العاطفة للمفرد بعد الإيجاب بمعنى " بل " على قولين :

القول الأول : وهو ما ذهب إليه الكوفيون من جواز استعمال" لكِنْ " العاطفة للمفرد بعد الإيجاب بمعنى " بل" نحو : " جاءني زيدٌ لكنْ عمرٌو" ؛ لأنَّها في هذه الحالة تكون كـ " بل " في المعنى فتكون مثلها في العطف(٢) .

---

١ ــ ينظر : التسهيل بشرح ابن مالك : ٣ /٣٦٧ ، شرح التسهيل لابن مالك : ٣ / ٣٧٠.

٢ ــ ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤ /٤٤٧ ، اللباب : ١ / ٤٢٨ ، التذييل والتكميل : ١٣ / ١٥٦ ، توضيح المقاصد : ٢ / ١٠١٨ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٤٧ ، المغني : ١ / ٣٢٢ ، شرح الأشموني : ٢/ ٣٨٧ ، التصريح : ٢ / ١٧٧، الهمع : ٣ / ٢١٧.

ولم يذكر الكوفيون شاهدًا من كلام العرب يحتجون به على صحة ما ذهبوا إليه .

وقد أبطل العُكبري ما ذهب إليه الكوفيون من وجهين :

الأول : أنَّ معنى " لكنْ " مخالفٌ لمعنى " بل " .

الثاني : أنَّ " لكنْ " و" بل " لو استويا في العطف والمعنى لأدى ذلك إلى الاشتراك ، والأصل أنْ ينفردَ كلُّ حرفٍ بحكم(١) .

ولم يرتضِ ابن يعيش أيضًا ما قاله الكوفيون ؛ وعلل ذلك بأنَّ " لكنْ " الثاني معها على خلاف معنى الأول من غير إضراب عن الأول ، فإذا قلت : " جاءني زيدٌ " فهو إيجاب ، فإذا وصلته فقلت : " لكِنْ عمرٌو " صار إيجابًا وفسد به الكلام(٢) .

القول الثاني: وهو ما ذهب إليه البصريون من أنَّ" لكِنْ" لا يعطف بها بعد الإيجاب ؛ ولذا فهي لا تستعمل بمعنى" بلْ"(٣).

وقد احتج البصريون لإثبات صحة ما يرونه بأنَّ ما ذكره الكوفيون لم يُسمَعْ ، واحتجوا أيضًا بأنَّ الاستدراك لازمٌ لـ " لكِنْ " ، والاستدراك لا يكون إلا بعد المختلفين ، فإذا كان الأول نفيًا كان الثاني إثباتًا فيصح أنْ يُقدر العاملُ بعدها كقولك : " ما قام زيدٌ لكنْ عمرٌو " أيّ : لكنْ قام عمرٌو ، ولا يصح بعد الإثبات كقولك : " قام زيدٌ لكنْ عمرٌو" ؛ لأنَّك إنْ قدرت :" لكنْ قام عمرو" لم يكنْ الثاني مخالفًا للأول ، وإنْ قدرتَ : " لكنْ ما قام عمرٌو " لم يصحْ ؛ لأنَّك قدرتَ مع العامل ما ليس بعامل ، وحرف العطف إنَّما ينوب عن العامل فقط ، ويدل على ذلك أنَّك لو قلت : " قام زيدٌ لكنْ عمرٌو لم يقمْ " كان جائزًا ، فظهور النفي والفعل بعد الاسم دليلٌ على أنَّه لم يكنْ مقدرًا بعد" لكِنْ "(٤) .

وقد تبع مذهب البصريين الزجاجي وابن جني والعكبري وابن يعيش(٥).

---

١ ــ ينظر اللباب : ١/ ٤٢٨.

٢ ــ ينظر : شرح المفصل : ٨ / ١٠٦.

٣ ــ ينظر : الكتاب : ١ / ٤٣٥ ، الأصول : ٢ / ٥٧ ، اللباب : ١ / ٤٢٨ ، الهمع : ٣ / ٢١٧.

٤ ــ ينظر : اللباب : ١ / ٤٢٨.

٥ــ ينظر : حروف المعاني والصفات : ١٥ ، اللمع : ٣٣ ، اللباب : ١ / ٤٢٨ ، شرح المفصل : ٨/ ١٠٦.

تعقيب :

وبعد عرض قولي النحاة في جواز استعمال " لكنْ " بمعنى " بل " لعطف المفرد في الإيجاب أقول :

إنَّنِي لا أؤيد ما ذهب إليه الكوفيون ؛ لأنَّ مَنْ أجاز استعمال حرفِ عطف بمعنى حرف عطف آخر استند في جواز ذلك إلى ورود شواهد من كلام العرب تؤيد هذا الاستعمال ، والكوفيون هنا لم يذكروا شاهدًا على صحة ما ذهبوا إليه ، بخلاف الحال في المواضع الأخرى التي أجازوا فيه استعمال حرف عطف بمعنى حرف عطف آخر فقد استندوا فيها إلى شواهد من كلام العرب الفصحاء تؤيد ما ذهبوا إليه ، ومن المعروف أنَّ السماع يعتبر حجة في إثبات القواعد ، وأمَّا في حالة عدم سماع شواهد من كلام العرب تؤيد ذلك فلا يمكننا القول بجواز مجيء " لكنْ " بمعنى" بلْ " لعطف المفرد في الإيجاب اعتمادًا على شاهدٍ مصنوعٍ ؛ لأنَّنا في هذه الحالة نجعل كلًّا من " لكنْ " و "بل" في عطف المفرد حال الإيجاب لإفادة نفس المعنى مطلقًا وليس في شواهد معينة ، والأصل أنَّ لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنى اختص به عن غيره إلا في بعض المواضع التي دلت القرائن على استعماله بمعنى غيره من حروف العطف ، فيجور حينئذٍ هذا الاستعمال على سبيل المجاز ، لا أنْ نترك الأمر على إطلاقه هكذا ، وبدون شاهدٍ نستند إليه .

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ المالقي قد ذهب إلى أنَّ " لكِنْ " إذا جاءت حرف ابتداء نحو قوله تعالى(لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ)(١) فإنها تفيد الإضراب بمعنى" بل"(٢). ولم أجدْ من النحاة ــ فيما تهيأ لي من الاطلاع ــ مَنْ قام بالردِّ على ما أجازه المالقي ، ولكن وجدتُ من المفسرين مَنْ قاموا بذلك ، وقالوا إنَّ " لكنْ" في الآية الكريمة السابقة على بابها للاستدراك ، وذكروا أنَّ الاستدراكَ في الآية الكريمة قد وقع من محذوفٍ مقدرٍ ، وذهبوا في تقدير ما وقع منه الاستدراك مذاهبَ :

---

١ ــ سورة النساء من الآية : ١٦٦.

٢ ــ ينظر : رصف المباني : ٢٧٦

ــ فذهب ابن عباس والطبري والسمرقندي و الثعلبي ومكي بن أبي طالب إلى أنَّ التقدير : ما رُوِي أنَّ سبب نزول الآية أنَّ رؤساء مكة أتوا إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فقالوا سألنا يهودًا عن صفتك ونعتك ، فزعموا أنَّهم لا يعرفونك في كتابهم ، فأتِنا بمَنْ يشهد لك بأنَّك نبيٌ مبعوثٌ فنزل :(لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) يعني : إن لم يشهد لك أحد منهم لكنْ الله يشهد(١) .

ــ وذهب ابن قتيبه الدينوري والزمخشري والباقولي والبيضاوي وابن جزي وأبوحيان والسمين وسراج الدين والثعالبي والنيسابوري إلى أنَّ التقدير : أنَّ أهل الكتاب والمشركين لما نزل قوله تعالى (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)(٢) ، قالوا لا نشهد بذلك ، فقال تعالى(لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) ، بمعنى : أنهم لا يشهدون لكن اللَّه يشهد(٣) .

ــ وذهب القرطبي والشوكاني إلى أنَّ المعنى: كأنَّ الكفار قالوا : ما نشهد لكَ يا محمدُ فيما تقول فَمَنْ يشهد فنزل قوله تعالى (لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ)(٤)

ــ وذهب النيسابوري إلى أنَّ هذه الآيات بأسرها جواب عن قول اليهود : لو كان نبيًا لنزل عليه الكتاب جملة ، وهذا الكلام يتضمن أنه هذا القرآن ليس كتابًا نازلًا عليه من السماء فلا جرم قيل (لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) أي : بأنه نازل عليه من السماء(٥) .

---

١ ــ ينظر : جامع البيان : ٩ / ٤٠٩ ، بحر العلوم : ١/ ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣ / ٤١٧، الهداية إلى بلوغ النهاية : ٢ / ١٥٣٦.

٢ ــ سورة النساء من الآية : ١٦٣.

٣ ــ ينظر : ينظر : تأويل مشكل القرآن : ١٤٦ ، الكشاف : ١ / ٥٩٢ ، إعراب القرآن للباقولي :١ / ٣٩ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢ / ١١٠ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٢١٧ ، البحر المحيط : ٤ / ١٤٠ ، الدر المصون : ٤ / ١٦٢ ، اللباب في علوم الكتاب : ٧ / ١٣٨ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٢ / ٣٣٠.

٤ ــ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ١٩، فتح القدير للشوكاني : ١ / ٦٢٢.

٥ ــ ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٢ / ٥٣١.

تعقيب :

على الرغم من اختلاف المفسرين في تقدير المحذوف الذي وقع منه الاستدراك في قوله تعالى(لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) إلا أنَّهم جميعًا اتفقت كلمتهم على أنَّ " لَكِنْ " في الآية الكريمة للاستدراك وليست للإضراب بمعنى" بلْ" ، كما ذهب المالقي ؛ لذا فأنا أؤيد ما قاله المفسرون من أنَّ " لكِنْ " باقية على أصل وضعها للاستدراك وليست للإضراب .

الخاتمة

****

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلق سيدنا محمد، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين .

وبعدُ :

فقد توصلتُ من خلالِ هذا البحث إلى عدة نتائجَ من أهمها :

ــ ضرورة التحقق والتثبت قبل نِسبة أىِّ رأي لصاحبه؛ لأنَّ هناك آراءً نُسِبت لبعض النحاة وهم في حقيقة الأمر لم يقولوها، وينبغي أيضًا ألَّا نعمَ الأحكامَ فنحكم على البصريين جميعا أو الكوفيين جميعًا أنَّهم يرفضون شيئًا ما أو يثبتونه ، مع أنَّ مَنْ يرفضه أو يثبته البعضُ فقط وليس الجميعُ .

ــ ما نُسِب إلى جمهور البصريين من رفضِهم استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعضٍ ، فيه نظرٌ ؛ لأنَّ مِن البصريين مَنْ أجاز استعمال بعض حروف العطف بمعنى بعضها الآخر :

* أجاز الخليلُ استعمالَ" أوْ " بمعنى الواو وبمعنى" بلْ " ، كما أجاز أيضًا استعمال الواو بمعنى " بلْ " .

* أجاز سيبويهِ استعمالَ الواو بمعنى " أوْ " للإباحة .

* أجاز السِّيرافيُّ استعمالَ الواو بمعنى " أوْ " للإباحة ، كما فُهِم من سياق كلامه جواز استعمال" أوْ " بمعنى الواو لمطلق الجمع ، لكنه لم ينصْ على هذا صراحة .

* أجاز الأخفشُ استعمالَ" أوْ" بمعنى" بلْ " للإضراب ، وأجاز أيضًا استعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو لمطلق الجمع .

* أجاز الزجاجُ استعمالَ" أوْ" بمعنى" بلْ" للإضراب .

ــ جواز استعمال حروفِ العطفِ بعضَها بمعنى بعضٍ إنَّما هو من باب المجاز والاتساع في اللغة ، وهذا الأمر يتماشى مع تطور اللغة .

ــ سيبويهِ هو مَنْ سبقَ إلى القول بجواز استعمالِ الواوِ بمعنى" أوْ" للإباحة، وليس الزمخشري كما قال ابن هشام، ولا السيرافي كما قال الدماميني .

ــ أرى أنَّ حرفَ العطف إذا ما دل على معناه الأصلي عن طريق التأويل ، فهذا يعني أنَّه في حقيقة الأمر ليس دالًا على معناه الأصلي ؛ لأنَّه طالما لجأنا إلى التأويل لإقامة المعنى الأصلي لحرف العطف ، فلا يكون إذن مستعملًا في معناه الأصلي الذي وُضِع له ؛ لأنَّه ما دلَ عليه إلا بالتأويل .

ــ اُسْتُعملتْ الواو بمعنى" أوْ" في كونها لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهو أصل المعاني التي وُضِعت لها " أوْ " .

ــ أرى أنَّ "الواو" في قوله تعالى(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)قد اُسْتُعملت بمعنى" أوْ" للإباحة ؛

لأنَّ في إبقاء الواو على أصل معناها لمطلق الجمع فتحًا للمجال لأقوال الرافضة وغيرهم الذين ذهبوا إلى أنَّ المراد بالآية جواز نكاحِ تسعٍ ، بل ذهب البعضُ إلى أنَّ هذه الأعداد تدل على جواز نكاح ثمانِ عشرةَ امرأةً .

ــ أرى أنَّ الواو في قوله تعالى(جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)للتفصيل، وليست على أصل معناها ؛ لأنَّ إبقاءَ الواو على أصل معناها لمطلق الجمع يجعلُ المقصودُ منها الجمعَ بين مثنى وثُلَاثَ ورُبَاعَ فيكون المجموعُ تسعًا، وليس هذا مقصودًا بحالٍ من الأحوال ؛ لأنَّ الله تعالى خاطبَ العربَ بأفصحِ اللغات ، وليس من شأن البليغ أنْ يعبرَ في العدد عن التسعة بـــ (اثنين وثلاثة وأربعة) ، فمن قال: أعطِ زيدًا اثنين وثلاثة وأربعة وهو يريد تسعة كان ذلك أعيا كلام .

ــ استعمال الواو بمعنى" ثُمَّ " وبمعنى" الفاء " قد وقع في كلام العرب ، ولكنه قليلٌ .

ــ جَعْلُ " أوْ" بمعنى الواو إذا أفادت الجمع حال كونها للإباحة والكلام موجبٌ ، لا يعني إطلاقًا أنَّها يلزمُ معها وجوب الجمع بين المتعاطفين ؛ وذلك لأنَّ

معنى الإباحة موجودٌ معها أيضًا حال كونها بمعنى الواو ، والإباحة لا إلزامَ معها بالفعل سواء أكانت مع" أوْ" ، أو حتي مع الواو .

ــ القول بأنَّ الواوَ في حال النهي لا يلزمُها الجمع بين المتعاطفين ، و" أوْ"في حال النهي يلزمها الجمع بينهما، فيه نظرٌ ؛ وذلك لأنَّ الواو هي الأصل في إفادة معنى الجمع بين المتعاطفين ، سواء أكانت في الإثبات أو النفي أو النهي ، وإذا كانت" أوْ "يلزمها الجمع بينهما ، فالواو أولى بذلك من" أوْ " .

ــ أرى أنَّه لا مفرَ من القول بأنَّ " أوْ" التي للإباحة حال إفادتها الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه تكون قد اُستُعملت بمعنى الواو ، وإنْ حاول المانعون لاستعمال" أوْ" بمعنى الواو عدم قبول هذا القول ؛ وذلك لأنَّ العبرة بالتقدير النهائي الذي تكون " أوْ " بمعناه ، وفي التقدير النهائي لما ورد من شواهد قيل إنَّ " أوْ " فيها للإباحة نجد" أوْ" قد قدرت في المعنى بالواو ، وهذا يؤكد كونها بمعنى الواو .

ــ أرى أنَّ القول بأنَّ" أوْ" للإباحة حال إفادتها الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه يتساوي مع القول بأنَّها بمعنى الواو ؛ لأنَّ " أوْ" طالما دلت على معنى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه فقد أفادت بذلك معنى الواو .

ــ أرى أنَّ" أوْ" هي الأصل في إفادة معنى التقسيم وليست الواو ، وعدم استعمال" أوْ" بكثرة في إفادة معنى التقسيم لا ينكر كونها الأصل في هذا المعنى ؛ وذلك لأنَّ " أوْ" أوضح وأجلى في إبراز الأقسام والأنواع وتمييزها من الواو ، فإذا ما قلنا :" الكلمةُ اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ " بـ " أوْ" ، ثُمَّ قلنا : " الكلمةُ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ " بالواو تكون " أوْ " قد ميزت لنا أنَّ هذه هي أقسام الكلمة بوضوحٍ ، بخلاف ما إذا استعملنا الواو فهي لا تُبيِّن هذه الأقسام بجلاء كما فعلتْ " أوْ " .

ــ أرى أنَّ القول بجواز جعْلِ" أوْ" بمعنى" بلْ " للإضراب في بعض المواضع يتوافق مع كون" أوْ" في الأصل لإفراد أحد الشيئين أو الأشياء بالحكم ؛ لأنَّها في هذه الحالة تكون قد أثبت للشيء حكمًا واحدًا فقط وأضربت عن إثبات غيره له .

ــ أرى أنَّ في القول بجواز استعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب سدًا للباب الذي حاول من خلاله أعداءُ الإسلام الطعن في بعض آيات القرآن الكريم .

ــ أرى أنَّ" ثُمَّ " إذا لم تفدْ الترتيب بمعناه الحقيقي فلا تكونُ بمعنى الفاء ؛ لأنَّ الفاء هي الأُخرى تقتضي الترتيب بين معطوفيها ، وإنَّما تكون" ثُمَّ " في هذه الحالة بمعنى الواو لمطلق الجمع .

ــ عدم إفادة" ثُمَّ " للتراخي لا يعني أنَّها بمعنى الفاء؛ إذ قد تكون بمعنى الواو.

ــ أرى أنَّ مَنْ قال إنَّ " ثُمَّ " للحكاية أو للترتيب في الإخبار أو في اللفظ كمَنْ قال إنَّها بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ لأنَّنا حين نقولُ إنَّ " ثُمَّ " للحكاية أو أنَّها قد رتبت في الإخبار أو اللفظ ، فهذا يعنى أنَّها لم ترتبْ الترتيب الحقيقي الذي عُرِفَ أنَّها في أصل معناها تفيده وتدل عليه ، والذي يعني أنَّ الثاني قد جاء حقيقة بعد الأول ، وبذلك تكون كالواو في المعنى .

ــ أرى أنَّ قولَ ابنِ عصفور :" لو كانت" ثُمَّ " بمنزلة الواو لجاز :" اختصم زيدٌ ثُمَّ عمرٌو " ، كما يجوز :" اختصم زيدٌ وعمرٌو" بالواو ، وامتناع ذلك دليلٌ على أنَّها ليست بمنزلة الواو " والذي أفسد به مذهب القائلين إنَّ " ثُمَّ " تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب ، فيه نظرٌ ؛ لأنَّ المجيزين لاستعمال" ثُمَّ " بمعنى الواو لغير الترتيب ليس مرادهم أنَّ " ثُمَّ " تأتي دائمًا بمعنى الواو في كل المواضع التي تستعمل فيها الواو ، ولكن مرادهم أنَّ " ثُمَّ " قد تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب في بعض المواضع فقط .

ــ إنكار القول باستعمال" ثمَّ "بمعنى الواو لمطلق الجمع دفع بعض المفسرين إلى التحيل وفرض الاحتمالات الكثيرة والأقوال الغريبة والمتكلفة في تفسير معنى بعض الآيات القرآنية ؛ لجعل " ثُمَّ " على أصلها وضعها لإفادة الترتيب في هذه الآيات الكريمات ،وقد ترتب على ذلك أنْ وُجِدت العديدُ من الأقوال المختلفة في تفسير المعنى المراد من هذه الآيات ، مع أنَّ القول بجواز استعمال" ثُمَّ "بمعنى الواو لغير الترتيب ينأى بنا عن كل هذه الاختلافات الواردة في تفسير هذه الآيات الكريمات .

ــ أرى أنَّ القولَ إنَّ " ثُمَّ " تستعملُ للتباين في المنزلة أو للاستبعاد هو بمنزلة القول إنَّ " ثُمَّ " قد تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ إذ في كلا القولين تكون" ثُمَّ " قد فارقت معناها الأصلي الذي وُضِعت له ، ومَنْ أجاز استعمال" ثُمَّ " للتباين أو الاستبعاد ينبغي عليه أنْ يجيزَ القول باستعمالها بمعنى الواو لغير الترتيب .

ــ لم يستطعْ القائلون إنَّ الفاء لا تكون إلا للترتيب ، وإنَّ ما ورد على خلاف ذلك يؤول التمسكَ بهذا القول طويلًا في جميع الشواهد التي يدل ظاهرها على أنَّ الفاءَ قد جاءت بمعنى الواو لغير الترتيب ، وأجازوا ما أجازه غيرهم من أنَّ الفاء قد تأتي بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ ولعلهم وجدوا في هذا القول خلاصًا لهم من الأقوال المتكلفة التي قيلت في تخريج هذه الشواهد .

ــ أرى القولَ إنَّ الفاءَ تستعملُ للترتيب في الذكر يتوافق مع القولِ بأنَّها تستعمل بمعنى الواو لغير الترتيب ؛ لأنَّ الفاء حين ترتب في الذكر لا يكونُ هذا الترتيبُ ترتيبًا حقيقيًا ؛ لأنَّ ما بعدها ليس متأخرًا في الحقيقة عمَّا قبلها ، وكلُّ ما في الأمر أنَّ الفاءَ قد جمعت بين المعطوف والمعطوف عليه في الذكر فقط ، بدون مراعاة لمَنْ كانَ أولًا ومَنْ جاء بعده ، وهذا هو ما يجعلها بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو هي التي تجمع بين الأشياء التي اشتركت في الحكم بغضِّ النظر عمَّن كان أولًا ومَنْ جاء ثانيًا .

ــ أرى أنْ نقف موقفًا واسطًا في جعل الفاء بمعنى الواو ، فلا نجيز مطلقًا ولا نمنع مطلقًا ، ولكن إذا وجدتْ قرينةٌ تدل على أنَّ الفاءَ لم تفدْ الترتيب واُستُعملت بمعنى الواو فما المانع من القول إنَّها بمعنى الواو ، خاصة أنَّ القولَ بجواز استعمال الفاء بمعنى الواو يخلصنا من تكلف اللجوء إلى الإضمار الذي من شأنه جعل المعنى متكلفًا غيرَ مستساغٍ .

ــ أرى أنَّ الشواهد القرآنية التي استدل بها الفراءُ على أنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه مع الفاء إذا كانا فعلين بمعنى واحدٍ لم تفدْ الفاء الترتيب ، ويجوز معها تقديم أيُّهما وتأخير الآخر وهي قوله تعالى(وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

فَجاءَها بَأْسُنَا) ، وقوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) ، وقوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) ، لا تصلح دليلًا لما أراده ؛ لأنَّ الفعلين فيها لم يقعا معًا ، كما أنهما ليسا بمعنى واحدٍ أو كالواحد ، وإنَّما معناهما مختلف .

ــ أرى أنَّ قولهم :" تزوج زيدٌ فوُلِد له ولدٌ " والذي تناقلته العديدُ من كتب النحو كشاهدٍ على أن التعقيبَ الذي تفيده الفاء إنَّما يكونُ في كلِّ شيءٍ بحسبه ، فيه نظرٌ ؛ وذلك لأنَّ المعطوف لم يتصل بالمعطوف عليه اتصالًا مباشرًا ؛ إذ قد فُصِل بينهما بأمر أجنبي وهو الحَمْل ؛ لذا صار هناك انقطاعٌ بين الزواج وبين الولادة ؛ ومن ثَمَّ فلا تُعدُ الفاءُ للتعقيب ، وأرى أنَّ الأولى جعْل الفاء في هذا المثال بمعنى" ثُمَّ " للتراخي ، وأرى أنَّ المثال الذي ينبغي أنْ يُعدَ شاهدًا على أنَّ التعقيبَ الذي تفيده الفاء إنَّما يكون في كلِّ شيءٍ بحسبه هو قولهم :" دخلت الكوفة فالبصرة " إذا لم يقطعْ سيره الذي دخل به الكوفة حتى وصله باليسر الذي دخل به البصرة ، ولم يقع اشتغالٌ بينهما بأمرٍ أجنبي عنهما ؛ وذلك لأنَّ المعطوف والمعطوف عليه يكونان في هذه الحالة متعاقبين وإنْ طالت مدةُ حدوثِ المعطوفِ عليه .

ــ أرى أنَّ القول بأنَّ التعقيبَ إنَّما يكونُ على حسب ما يعده الناسُ مُتعقِّبًا، فيه نظرٌ ؛ لأنَّ النحاة قالوا إنَّ المراد بالتعقيب اتصال المعطوف بالمعطوف عليه بلا انقطاعٍ ، ولم يقولوا إنَّ التعقيبَ إنَّما يكونُ على حسب ما يعده الناس مُتعقِّبًا .

ــ أرى أنَّ اللجوء إلى تقدير محذوف لاستقامة المعنى ، هو أيسر السبل التي يسلكها مَنْ لا يجدُ حجةً قويةً لإثبات صحة ما يراه .

ــ أرى أنَّ " لكنْ " لا يجوز أنْ تستعملَ بمعنى" بلْ " لعطف المفرد في الإيجاب ؛ لعدمِ ورودِ شواهدَ من كلام العرب الفصحاءِ تؤيدُ ذلك ، ولا يعتدُ في إثبات القاعدة بالشواهد المصنوعة التي وضعها النحاةُ .

ــ القول بأنَّ " بلْ " بعد النفي والنهي تستعمل بمعنى" لكِنْ " ، لكون ما قبلها مخالفًا لما بعدها ، إنَّما يتأتى على رأي مَنْ جَعَلَ" بلْ" بعد النفي والنهي لتقرير حكم ما قبلها وإثبات نقيضه لما بعدها ، وإمَّا على رأي مَنْ قال إنَّ " بلْ "

دائمًا للإضراب عمَّا قبلها وعدم الحكم عليه بشيءٍ ، وجعله في حكم المسكوت عليه ، فلا يتأتي لنا على هذا القول جعل"بلْ " بمعنى" لكِنْ " ؛ لعدم توافقهما في الدلالة ؛ لأنَّ ما قبل" بلْ " عند أصحاب هذا القول ليس مخالفًا لما بعدها .

ــ أرى أنَّ القولَ الذي نسبه بعضُ النحاة للمبرد من أنَّ "بلْ" لا يتكلمُ بها إلا غالطٌ ، وهي بعد الإثبات والنفي والنهي تكون ناقلةً حكم الإثبات والنفي والنهي لما بعدها ، فيه نظرٌ ، لأنَّ المبرد عندما تحدث عن معنى" بلْ" ذكر أنَّ معناها الإضراب عن الأول وإثبات الحكم للثاني ، سواء سبقت بإثبات أو نفي أو نهي ، ولم يُشِرْ المبرد من قريبٍ ولا بعيدٍ إلى هذا القول الذي نسبه إليه بعض النحاة .

ــ تعددت أقوالُ بعضِ النحاة في جواز استعمال حروف العطف بعضها بمعنى بعض ، فأجازوا في بعضها ومنعوا في بعضها الآخر ومن هؤلاء : السيرافي الذي أجاز أنْ تكونَ" الواو" و" أوْ" بمعنى واحدٍ للإباحة ، وجعل هذا من باب المجازِ والاتساعِ في اللغة ، وفُهِم من سياق كلامه جواز استعمال" أوْ " بمعنى الواو لمطلق الجمع ، لكنه لم ينصْ على هذا صراحة ، ومع هذا نجدُه يمنعُ في غيرهما من حروف العطف أنْ يستعمل حرفُ عطف بمعنى حرفِ عطفٍ آخر .

ــ ومن النحاة مَنْ تعددتْ أقوالُهم في استعمال حرفِ عطف بمعنى حرفِ عطف آخر، فأجازوا هذا الاستعمال في مواضع ، ومنعوه في مواضع أُخرى ، ومن هؤلاء :

ــ ابن جني الذي تعددت أقواله في استعمال" أوْ " بمعنى الواو : فأجاز في أحد قوليه استعمال" أوْ" بمعنى الواو في الإباحة وغيرها ؛ تمشيًا مع نظرية تدرج اللغة ، ومنع في قول آخر له هذا الاستعمال ؛ تمشيًا مع ما يراه من أنَّ الأولى إقرار الألفاظ على أوضاعها الأُوُ، ما لم يَدْعُ داعٍ إلى الترك والتحول لمعنى آخر .

ــ كما أجاز ابن جني استعمال" أوْ " بمعنى" بلْ " للإضراب في مواضع ، ومنعه في مواضع أخرى .

ــ ابن عصفور الذي أجاز استعمالَ الفاء بمعنى الواو في مواضع ، بينما منع هذا الاستعمال في مواضع أخرى .

ــ أبو حيان الذي أجاز استعمال" أوْ " بمعنى الواو في بعض المواضـــع ، ومنع هذا الاستعمال في مواضع أُخرى .

ــ كما أجاز أبوحيان استعمال " ثُمَّ " بمعنى الواو في مواضع ، ومنع هــذا الاستعمال في مواضع أُخرى .

ــ كما أجاز أبو حيان استعمال الفاء بمعنى" ثُمَّ" في مواضع ، ومنع هــذا الاستعمال في مواضع أخرى .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

ثبت المصادر والمراجع

****

ـ ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجيّ الزبيدي بتحقيق د/ طارق الجنابي ، عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م .

ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي بتحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة سنة : ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

ـ أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصَّاص بتحقيق / محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، طبعة سنة : ١٤٠٥ هـ .

ـ أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله بن العربي بتحقيق / محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة: الثالثة: ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي بتحقيق د / رجب عثمان محمد ، ومراجعة د/ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، (د. ت) .

ـ الأزمنة والأمكنة لأبي على أحمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ،الطبعة: الأولى : ١٤١٧هـ .

ـ الأُزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي بتحقيق / عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة : الثانية : ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ .

ـ أساس البلاغة للزمخشري بتحقيق/ محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

ـ الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج بتحقيق /عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة لبنان ـ بيروت ، (د . ت) .

ـ الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ،طبعة سنة : ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ـ لبنان ، طبعة سنة : ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٩٥م .

ـ إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس بتحقيق/عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى :١٤٢١ م .
ـ إعراب القرآن لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني بتحقيق د/فائزة بنت عمر المؤيد ، مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ، الطبعة: الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م .
ـ ألفية ابن مالك لمحمد بن عبدالله جمال الدين الطائي الجياني ، طبعة : دار التعاون ، (د . ت) .
ـ الأمالي لأبي علي القالي ، عنى بترتيبها / محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، الطبعة : الثانية : ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م .
ـ أمالي ابن الحاجب لأبي عمرو عثمان بن الحاجب بتحقيق د / فخر صالح قدارة ، طبعة : دار عمَّار عمّان ـ الأردن ، دار الجيل بيروت ـ لبنان ، (د . ت) .
ـ أمالي ابن الشجري لهبة الله بن علي بن محمد العلَوِيّ بتحقيق د / محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى :١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ م .
ـ الانتصار للقرآن لمحمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني بتحقيق د/ محمد عصام، دار الفتح ـ عمان ، دار ابن الحزم ـ بيروت، الطبعة : الأولى :١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
ـ الانتصاف من الإنصاف للدكتور / محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي بتحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨هـ .
ـ الأوائل لأبي هلال العسكري ، دار البشير ـ طنطا ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري بتحقيق / يوسف الشيخ محمد ، طبعة دار الفكر ، (د. ت) .
ـ الإيضاح لأبي علي الفارسي بتحقيق د/ كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة : الثانية :١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م .
ـ الإيضاح في شرح المفصل لأبي عمرو عثمان بن الحاجب بتحقيق د/ موسى بناي العليلي، مطبعة العاني ـ بغداد ، (د .ت) .

ـ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ، (د . ط) ، (د . ت) .
ـ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي بتحقيق / صدقي محمد جميل ، دار الفكر ـ بيروت ، طبعة سنة :١٤٢٠ هـ .
ـ البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي بتحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة : الأولى : ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .
ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، بتحقيق / محمد علي النجار ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة ، طبعة سنة :١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .
ـ البيان في شرح اللمع للشريف عمر بن إبراهيم الكوفي بتحقيق د/ علاء الدين حموية ، دار عمار الأردن ـ عمان، الطبعة: الأولى : ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م
ـ البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، طبعة سنة: ١٤٢٣هـ .
ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق/ إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، (د . ت) .
ـ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد الزبيدي ، دار الهداية ، (د. ت) .
ـ التبصرة والتذكرة لأبي محمد عبد الله بن إسحاق الصيمري بتحقيق د/ فتحي أحمد مصطفى ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
ـ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري بتحقيق/ علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى الحلبي ، (د. ت) .
ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع العدواني بتحقيق د/ حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (د . ت) .
ـ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية ـ تونس ، طبعة سنة : ١٩٨٤هـ ـ
ـ التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن حمدون بهاء الدين البغدادي ، دار صادر بيروت، الطبعة : الأولى : ١٤١٧ هـ .

ـ التذكرة السعدية في الأشعار العربية لمحمد بن عبدالرحمن العبيدي بتحقيق/ عبدالله الجبوري ، المكتبة الأهلية بغداد ، طبعة سنة : ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م .
ـ تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي بتحقيق د/ عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .
ـ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي بتحقيق د/حسن هنداوي ، دار كنوز أشبيليا ـ الرياض ، الطبعة : الأولى : ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦ م .
ـ التسهيل بشرح ابن مالك بتحقيق د / عبد الرحمن السيد ، / محمد بدوي المختون، الطبعة : الأولى :١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .
ـ التصريح بمضمون التوضيح في النحو للشيخ خالد الأزهري ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة : الأولى : ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني بتحقيق د/ محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر : كلية الآداب ـ جامعة طنطا ، الطبعة : الأولى :١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .
ـ تفسير عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني بتحقيق / محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩ ه .
ـ تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني بتحقيق / ياسر بن إبراهيم ، / غنيم بن عباس ، دار الوطن الرياض ـ السعودية ، الطبعة : الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
ـ تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي حققه / أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، / محمد بن مصطفى الكنز ، دار الفاروق الحديثة مصر ـ القاهرة ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير بتحقيق/ سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٠ه ـ ١٩٩٩م .
ـ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي بتحقيق د/ مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة: الأولى:١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .
ـ تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي بتحقيق / عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٣هـ .

ـ تفسير يحيي بن سلام ليحيي بن سلام بن أبي ثعلبة البصري بتحقيق د/ هند شلبي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م .
ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش بتحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار السلام ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .
ـ تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف بتحقيق د/ خليفة محمد ، كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي الجماهيرية الليبية ـ طرابلس ، الطبعة : الأولى :١٤٢٥ هـ ـ ١٩٩٥ م .
ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس جمعه /مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، طبعة : دار الكتب العلمية ـ لبنان ، (د . ت) .
ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي بتحقيق د / بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة : الأولى: ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .
ـ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري بتحقيق/ محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة : الأولى:٢٠٠١ م .
ـ توجيه اللمع للعلامة أحمد بن الحسين بن الخباز بتحقيق د/ فايز زكي محمد ، دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م .
ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق /عبد الرحمن علي سليمان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م .
ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي بتحقيق / عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة: الأولى :١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ .
ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري بتحقيق / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى :١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي بتحقيق / أحمد البردوني ، / إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، الطبعة : الثانية : ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
ـ الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي بتحقيق د/ فخر الدين قباوة ، الطبعة : الخامسة : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م .

ـ جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي بتحقيق/ علي محمد البجادي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، (د . ت) .
ـ الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق د/ فخر الدين قباوة ، / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ م .
ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي بتحقيق الشيخ / محمد علي معوض ، الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة:الأولى : ١٤١٨ هـ .
ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة : الأولى : ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ .
ـ الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي بتحقيق / بدر الدين قهوجي ، / بشير جويجابي ، دار المأمون للتراث دمشق ـ بيروت ، الطبعة : الثانية :١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ .
ـ حروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي بتحقيق د/ علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٩٨٤م .
ـ الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج بن الحسن أبو الحسن البصري بتحقيق/ مختار الدين أحمد، عالم الكتب ـ بيروت،(د .ت) .
ـ حماسة الخالديين لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي و أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي بتحقيق / د محمد علي دقة ، وزارة الثقافة ـ الجمهورية العربية السورية ، طبعة سنة : ١٩٩٥ م .
ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي بتحقيق/ عبد السلام هارون ، الطبعة : الرابعة : ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
ـ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : الرابعة، (د . ت) .
ـ دراسات لأسلوب القرآن للدكتور / محمد عبد الخالق عِضيمة ، دار الحديث ـ القاهرة ، (د . ت) .
ـ درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي بتحقيق د/ محمد مصطفى ، جامعة أم القرى ـ معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة ، الطبعة : الأولى :١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م .

ـ درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي بن محمد الحريري البصري بتحقيق/ عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ـ ١٩٩٨هـ .
ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي بتحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ـ دمشق ،(د .ت) .
ـ ديوان ابن الرومي بشرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الثالثة :١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م .
ـ ديوان أبي دؤاد الإيادي بشرح وتحقيق / أنوار محمود الصالحي ، د / أحمد هاشم السامرّائي ، دار العصماء ، الطبعة الأولى : ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ .
ـ ديوان أبي نواس بتحقيق د/ بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية أبو ظبي ـ الإمارات ، الطبعة : الأولى :١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠ .
ـ ديوان الأخطل بشرح / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الثانية : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
ـ ديوان امرئ القيس بشرح / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .
ـ ديوان عقيل بن علّفة المريّ جمعه د / شريف راغب علاونة ، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان ـ الأردن ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م .
ـ ديوان عمرو بن أحمر الباهلي بتحقيق د / حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ، (د . ت) .
ـ ديوان عمرو بن معد يكرب جمعه ونسقه/ مطاع الطرابيشي ، مجمع اللغة العربية ـ دمشق ، الطبعة : الثانية : ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ ديوان لبيد بن ربيعة بشرح /حمدو طمَّاس ، دار المعرفة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤ م .
ـ ديوان متم بن نويرة جمعته / ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الإرشاد ـ بغداد ، طبعة سنة : ١٩٦٨ .
ـ ديوان النابغة الذبياني بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة : الثانية ، (د . ت) .

ـ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري صححها/ إبراهيم اليازجي ، مطبعة أمين هندية ـ مصر، الطبعة : الأولى:١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧م .
ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي بتحقيق/ أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ، (د . ت) .
ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي بتحقيق / علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٥هـ .
ـ زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي بتحقيق / عبد الرازق المهدي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢هـ .
ـ زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الخضري القيرواني ، دار الجيل ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق الأميرية ـ القاهرة ، طبعة سنة :١٢٨٥ هـ .
ـ سر صناعة الإعراب لابن جني ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة : الأولى :١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد عبدالله البكري الأندلسي بتحقيق/ عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، (د . ت) .
ـ سنن أبي داود بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة : ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ـ القاهرة ، الطبعة: العشرون : ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

ـ شرح أبيات سيبويه للسيرافي بتحقيق د / محمد علي الريح هاشم ، دار الفكر للطباعة والنشر القاهرة ـ مصر ، طبعة سنة : ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .
ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسي نور الدين الأشموني ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
ـ شرح ألفية ابن معطٍ لابن القواس بتحقيق د/ علي موسى ، مكتبة الخريجي ـ الرياض ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ .
ـ شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين محمد بن عبدالله بتحقيق د / عبد الرحمن السيد ،/ محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .
ـ شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الشرح الكبير بتحقيق د/ صاحب أبو جناح ، (د . ط) ، (د . ت) .
ـ شرح الدماميني على مغني اللبيب بشرح وتعليق / أحمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
ـ شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني بتحقيق / غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .
ـ شرح ديوان الحماسة ليحيى بن علي بن محمد المعروف بالخطيب التبريزي ، كتب حواشيه / غريد الشيخ ، وضع فهارسه / أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .
ـ شرح الرضي على الكافية بتحقيق د/ إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى:١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م .
ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف جمال الدين ، بتحقيق / عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع ـ سوريا ، (د . ت) .
ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لمحمد بن عبد المنعم الجَوجَري القاهري بتحقيق / نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٤م .
ـ شرح شواهد المغني للسيوطي ذُيل بتصحيح / محمد محمود الشنقيطي ، لجنة التراث العربي ، (د . ت) .

ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك بتحقيق/ عدنان الدوري ، مطبعة العاني ـ بغداد ، طبعة سنة : ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧م .
ـ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام بتحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة : الحادية عشرة :١٣٨٣م .
ـ شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي بتحقيق د / إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الثانية : ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ .
ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك حققه وقدم له أ.د/ عبد المنعم هريدي ، جامعة أم القرى ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث ـ مكة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، (د . ت) .
ـ شرح كتاب سيبويه للسيرافي بتحقيق / أحمد حسن مهدلي ،/ علي سيد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م .
ـ شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري ، دار الحديث ـ القاهرة ، طبعة سنة : ١٤٢٣هـ .
ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس ، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .
ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة : الرابعة : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ الصناعتين لأبي هلال العسكري بتحقيق/ علي محمد البجاوي ، /محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت ، طبعة سنة ١٤١٩ هـ .
ـ ضرائر الشعر لابن عصفور بتحقيق/ السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة : الأولى :١٩٨٠ م .
العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٤ ه . ـ
ـ علل النحو لابن الورَّاق بتحقيق/ محمود جاسم ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .
ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة: الخامسة :١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

ـ عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا الحسني العلوي بتحقيق/ عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، (د . ت) .
ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم برهان الدين الكرماني المعروف بتاج القراء ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري بتحقيق / زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٦ هـ .
ـ فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب بيروت ـ لبنان، الطبعة : الأولى : ١٤١٤ ه .
ـ الفرج بعد الشدة للمحسن بن علي التنوخي البصري بتحقيق/ عبود الشالجي ، دار صادر ـ بيروت ، طبعة سنة : ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .
ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد عبد الله البكري الأندلسي بتحقيق/ إحسان عباس ، مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٩٧١م .
ـ فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي بتحقيق /عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢ م .
ـ الكافية بشرح الرضي لابن الحاجب بتحقيق د / إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى :١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م .
ـ الكامل في اللغة والأدب للمبرد بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ، الطبعة الثالثة : ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م .
ـ الكتاب لسيبويه بتحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة الطبعة : الثالثة : ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة : الثالثة:١٤٠٧هـ .
ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي بتحقيق/ أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢هـ .
ـ اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري بتحقيق د/ عبد الإله نبهان ، ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الأولى : ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي بتحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود ،/ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة: الأولى : ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
ـ لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة : الثالثة :١٤١٤هـ .
ـ لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن القشيري بتحقيق/ إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ، الطبعة : الثالثة ، (د . ت) .
ـ اللغات في القرآن لعبد الله بن الحسين السامري بتحقيق/ صلاح الدين المنجد ، مطبعة الرسالة ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .
ـ اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن حسن شمس الدين المعروف بابن الصائغ بتحقيق / إبراهيم بن سالم الصاعدي ، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ، الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .
ـ اللمع في العربية لابن جني بتحقيق / فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ـ الكويت ، (د . ت) .
ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري بتحقيق/ محمد فؤاد ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، طبعة سنة :١٣٨١ هـ .
ـ مجالس ثعلب بشرح وتحقيق د/عبد السلام هارون، دار المعارف ـ مصر، (د . ت) .
ـ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي بتحقيق/ محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٨ هـ .
ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية بتحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢ هـ .
ـ المحكم والمحيط الأعظم لابن سِيده بتحقيق / عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة : الأولى:١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .
ـ المخصص لابن سِيده بتحقيق/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة :الأولى:١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م .

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي بتحقيق / يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م .
ـ المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي بتحقيق د/ شريف النجار ، دار عمَّار الأدرن ـ عمان، الطبعة :الأولى :١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .
ـ المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل بتحقيق/ محمد كامل بركات ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
ـ مسند أبي داود الطيالسي بتحقيق د/ محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ـ مصر ، الطبعة : الأولى: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل حققه/ شعيب الأرنؤوط ،/ عادل مرشد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى :١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١ م .
ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري بتحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ مُشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب الأندلسي بتحقيق د/ حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة: الثانية: ١٤٠٥ .
ـ مصابيح المغاني في حروف المعاني لمحمد بن علي الموزعي المعروف بابن نور الدين ،ضبطه د/ يحيي مراد ، (د . ت) ، (د . ط) .
ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي بتحقيق/ عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة : الأولى :١٤٢٠ هـ .
ـ معاني الحروف لعلي بن عيسي الرماني بتحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق جدة ـ المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثانية :١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
ـ معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش بتحقيق د/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م .
ـ معاني القرآن ليحيي بن زياد الفراء بتحقيق/ أحمد يوسف النجاتي ،/ محمد علي النجار، د/عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية ـ مصر ، الطبعة : الأولى، (د . ت) .
ـ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج بتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني لمسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق / المستشرق د / سالم الكرنكوي ، / عبد الرحمن اليماني ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ـ الدكن ، الطبعة : الأولى : ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م .
ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ معجم قواعد اللغة العربية في النحو والتصريف لعبد الغني الدقر ، دار القلم ـ دمشق ، الطبعة : الأولى: ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، طبعة سنة: ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م .
ـ مفاتيح الغيب لأبي عبدالله محمد بن عمر فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠ ه .
ـ المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي بتحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر ،/ عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة :السادسة ، (د . ت) .
ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية لبدر الدين محمود العيني بتحقيق د/ على محمد فاخر ، د/ أحمد محمد السوداني ، د/ عبد العزيز محمد فاخر ، دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى : ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م .
ـ المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني بتحقيق د / كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد ـ العراق ، طبعة سنة : ١٩٨٢ م .
ـ المقتضب لأبي العباس المبرد بتحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ـ بيروت ، (د . ت) .
ـ نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤١٢ه ـ ١٩٩٢ م .
ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ، الطبعة : الأولى : ١٣٠٢ه .
ـ الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري بتحقيق /محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .
ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، بتحقيق/ صفوان عدنان ، دار القلم ، الدار الشامية ـ دمشق ـ بيروت ، الطبعة: الأولى : ١٤١٥هـ .

ـ الوحشيات(الحماسة الصغرى)لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي بتحقيق/ عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، (د .ت) .
ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي بتحقيق وتعليق/ عادل أحمد عبد الموجود ،/ علي محمد معوض ، د/ أحمد محمد صيرة ، د/ أحمد عبد الغني الجمل ، د/ عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة : الأولى :١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م .
ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي بتحقيق / عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ـ مصر ، (د . ت) .

فهرس الموضوعات

****

م	الموضـــوع	الصفحة
١.	ملخص	٧٤٩٣
٢.	ABSTRACT	٧٤٩٤
٣.	المقدمة .	٧٤٩٥
٤.	التمهيد .	٧٤٩٧
٥.	المبحث الأول : استعمال "الواو" بمعنى غيرها من حروف العطف.	٧٤٩٨
٦.	* استعمال "الواو" بمعنى "أوْ" .	٧٤٩٨
٧.	* استعمال "الواو" بمعنى "ثُمَّ" .	٧٥١١
٨.	* استعمال "الواو" بمعنى "الفاء" .	٧٥١٤
٩.	المبحث الثاني : استعمال "أوْ" بمعنى غيرها من حروف العطف .	٧٥٢٩
١٠.	* استعمال "أوْ" بمعنى "الواو" .	٧٥٢٩
١١.	* استعمال "أوْ" بمعنى "بلْ" .	٧٦٠٥
١٢.	المبحث الثالث : استعمال "ثُمَّ" بمعنى غيرها من حروف العطف .	٧٦٢٦
١٣.	* استعمال "ثُم" بمعنى "الواو" .	٧٦٢٦
١٤.	* استعمال "ثُمَّ" بمعنى "الفاء"	٧٦٦٩
١٥.	المبحث الرابع : استعمال "الفاء" بمعنى غيرها من حروف العطف .	٧٦٧٥
١٦.	* استعمال "الفاء" بمعنى "الواو" .	٧٦٧٥
١٧.	* استعمال "الفاء" بمعنى "ثُمَّ" .	٧٧٠٢
١٨.	المبحث الخامس : استعمال "بلْ" بمعنى "لكِنْ" و "لكنْ" بمعنى "بلْ" .	٧٧١٣
١٩.	* استعمال "بلْ" بمعنى "لكنْ" .	٧٧١٦
٢٠.	* استعمال "لكنْ" بمعنى "بلْ" .	٧٧١٧
٢١.	* الخاتمة .	٧٧٢٢
٢٢.	* ثبت المصادر والمراجع .	٧٧٣٠
٢٣.	* فهرس الموضوعات .	٧٧٤٥